دكتور
محمود محمد رسلان

الفِرَقْ .. فى الميزان

بحوث ممهدة لدراسة الفرق وأثرها فى المجتمعات



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله ومن أهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد :

فهذه دراسة عن الفرق ضمنتها الحديث عن فرق أهل الكتاب توخيت فيها الإيجاز قدر الامكان ، وقد لا يتمكن الانسان من الاحاطة بها فى حياته لأنها تضرب فى بطون التاريخ منذ أزمان طويلة ، ولكل فرقة مشايعون ومؤيدون ومعارضون وناقدون وصدق الله العظيم حيث يقول :

" وكان الإنسان أكثر شئ جدلا "(1)

ثم عرجت بالحديث عن الفرق الإسلامية فوجدت بينها تضاربا ، وتنافرا وكل فرقة تدعى أنها على الحق ، وغيرها على الباطل ، وظهر لى من هذه الدراسة المختصرة أن هذه الفرق نأى بها سوء التفكير فأبعدها عن حظيرة الإيمان والإسلام الرشيد ، حتى وجدت بينها وبين فرق أهل الكتاب تشابها كبيرا مما لا يدع مجالا للشك أن بعض الذين دخلوا فى الإسلام كانوا بين أمرين :

(أ) إما أنهم دخلوا الإسلام وهم متأثرون بعقيدتهم الفلسفية القديمة فحاولوا تحقيق أغراضهم الخبيثة فى الإسلام .

(ب) وإما أنهم لم يهتدوا بنور الإسلام ، فلم يمس شغاف قلوبهم لأنهم أصلا غير مؤمنين به ، فخرجوا منه كما دخلوا فيه ، فجعلوا العقل إمامهم يخوض فى كل شئ حتى خاض فى الذات العليا تباركت وتقدست .

ثم ختمت هذه الدراسة بفرقة أهل السنة والجماعة فكانت بردا وسلاما وأمنا واطمئنانا ، على كل قلب مؤمن .

---

(1) سورة الكهف : 54 .

أما أهمية دراسة هذه الفرق فيرجع إلى أنها تفيد المسلم من عدة أمور منها :

أولا : تعرفه سبب ظهور الفرق السابقة على الإسلام وما آلت إليه ، وما حدث بين أتباعها من اختلافات .

ثانيا : سيطرت رجال الدين من أهل الكتاب السابقين على الإسلام على مجريات الحياة العامة ، حتى جاء وقت تحكمت الكنيسة فيه على الرقاب والأرزاق مما جعل الناس ينفرون من الدين ورجاله ، مما تسبب عنه فصل الدين عن الدولة فى أوربا ، حتى سمعنا بعض الأصوات تردد هذه المقولة الظالمة فى ديار المسلمين !

ثالثا : صدق حديث رسول الله ﷺ الذى أخبر فيه عن افتراق اليهود والنصارى ، والمسلمين ، ووضع العلامة المميزة للفرقة الناجية .

رابعا : معرفة دواعى التفرق وخطره على قوتهم حتى يتنبه المسلمون ويستيقظوا فلا يحل بهم ما حل بغيرهم .

خامسا : أسباب التفرق عند أصحاب الفرق يرجع إلى :

(أ) السيطرة وحب الرئاسة ، والظهور بالجدل كما حدث فى العصور الوسطى ، وعند الفرق الإسلامية .

(ب) الحقد والحسد من انتشار الدين الحق ، وقوة أهله ، فيظهر الحاقدون على مسرح الحياة لضرب الدين حتى ينفض الناس من حوله كما حدث للموحدين فى المسيحية والإسلام فى القديم والحديث .

سادسا : لعبت الفرق الإسلامية – وما زالت – دورا كبيرا فى عرقلة مسيرة الإسلام ، وانشغل المسلمون بالجدل العقيم والحروب فيما بينهم فتأخروا وتقدم غيرهم .

سابعا : أثر هذه الفرق القديمة ، يشاهدها المسلم فى هذه الأيام من ادعاء البعض النبوة ، أو الطعن فى الأنبياء وكتبهم ، أو التشكيك فى الوحى ، وقلما نجد صاحب بدعة اليوم إلا وبينه وبين هذه الفرق شبه قريب مما يدل على خطر هذه الفرق وأن دراستها

مما يساعد المسلم على معرفة ألاعيب الحاقدين والمتربصين بدينه فيكون على بينة من هؤلاء ، فيحرص على عقيدته حتى لا تزلزلها الأحداث ولا تنال منها البدع والأهواء .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

« ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم »

الممتحنة ٤ ، ٥ .

دكتور محمود محمد رسلان



الفرق بين أمة الدعوة وأمة الإجابة :

مقدمة

نعرف منها أحوال الفرق ، وكيف نزنها وما هى الفرقة الناجية ، والفرق بين أمة الدعوة وأمة الإجابة ، وأيهما وقع فيها الإختلاف ؟ ومن ثم فلابد من ميزان دقيق نزن به هذه الفروق ، فبأى ميزان نأخذ ؟ هل نزنها بميزان اليهود ؟ كيف ؟ وقد افتروا على الله وقالوا :

" عزير بن الله " . التوبة : ٣٠ .

" إن الله فقير ونحن أغنياء " . آل عمران ١٨١ .

" أرنا الله جهرة " . النساء : ١٥٣ .

هل نزنها بميزان النصارى ؟ كيف ؟ وقد قالوا على الله قولا عظيما :

" المسيح بن الله " . التوبة ٣٠ .

" إن الله ثالث ثلاثة " . المائدة ٧٣ .

ثم انتقاص كل منهما فى عقيدة الآخر :

" قالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ " البقرة ١١٣ .

ثم يوجه القرآن التحذير لهما معا بقوله :

" يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق " . النساء : ١٧١ .

" انتهوا خيرا لكم " النساء : ١٧١ .

" يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون " آل عمران : ٩٩ .

فهل ممكن أن نزن الفرق التى ظهرت فى الأرض بميزان اليهود والنصارى بعد حكم

الله عليهم ؟ كلا ، إذن لا مفر من أن نزن الفرق بميزان الإسلام الذى قال دستوره القرآن الكريم :

" ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله .. " . المؤمنون ٩١ .

" وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد .. " . النحل : ٥١ .

" قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد " . سورة الإخلاص .

والذى لا يحابى أحدا ، ولا يميل إلى أحد على حساب آخر فهو القائل :

" وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى .. " . الأنعام : ١٥٢ .

" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى .. " . المائدة : ٨ .

" ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا .. " . المائدة :٢ .

ومن ثم فإن الميزان الذى نزن به الفرق لا يحيد ، ولا يظلم ؛ لأنه الحق الذى أنزله الله لعباده " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " . الإسراء ١٠٥ .

كما رضيه لخلقه " ورضيت لكم الإسلام دينا " المائدة : ٣ .

وميزان الإسلام للفرق فى أنه : يوضح صحيحها من سقيمها وباطلها من فاسدها فيشد أزر الصحيح ويتوعد الفاسد .

لكن ما هو الدافع لوجود الفرق الإسلامية ؟ أما كان لهم فيما مضى من الأمم عظة وعبرة ؟ ويتبين الجواب فيما قلناه سابقا مضافا إليه ، حقد الأعداء من توحد المسلمين واتساع رقعة الإسلام شيئاً فشيئاً ، وعدم تمسك المسلمين بتعاليم الخالق سبحانه فى قوله : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " ويقول رسول الله ﷺ : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " أخرجه الشيخان وأحمد .

والذى حذر من الفرقة فقال : " لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " متفق عليه .

فالجدير بالملاحظة أن أعداء الإسلام كلما وجدوا تقاربا بين المسلمين أقاموا العراقيل فى طريقهم " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " .

وظل كيدهم يعمل ليلا ونهارا حتى ظهرت هذه الحركات على السطح وعملت كل حركة على حمل الجماعة الأخرى على اتباعها فى المنـهج مدعية أنها هى الفرقة الناجية وسائر الفرق ضالة وبذلك تكون هالكة وفى النار ، فاستغل الأعداء هذه الدعوات بالفرقة فأذكوها واستأجروا الأقلام الضالة ووعاظ السلاطين ليعمقوا الفتنة وركزوا فى فتنتهم هذه على كتب(١) : الملل والنحل ، وتاريخ المذاهب الإسلامية ومن لف لفها من أصحاب المصنفات الإسلامية فى القرون الماضية جاعلين محورهم فى تفريق الأمة ما أخرجه الترمذى : " لتأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل تفترق على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا ما هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى " والسهو الذى وقع فيه الذين كتبوا فى الملل والنحل وتاريخ المذاهب أنهم جعلوا الفرقة فى أمة الإجابة أى أهل القبلة وليس لهم دليل فيما ذهبوا إليه من فهم سوى إضافة الأمة إلى النبى ﷺ فى قوله : " أمتى " مع أن الأدلة تفيد بأن أمة النبى محمد ﷺ هى جميع البشرية منذ بعثه الله إلى قيام الساعة ، والفرقة المذكورة فى الحديث واقعة فى أمة الدعوة لا أمة الإجابة والمقصود هنا الخلود فى النار لا الدخول فيها ، لكن مع إعمال الفكر نجد أن الفرقة فى أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، والاحتكام هنا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ففى القرآن (فلا وربك لا

---

(١) انظر لحسين محمد على جابر : الطريق إلى جماعة المسلمين .

يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلمواتسليما)[1] .

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)[2] – وقوله تعالى : (وإذا جاءهُمْ أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا)[3] .

وقوله تعالى : (وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب) . الشورى : ١٠.

وروى عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وأبو النصر السجزى فى الإبانة قال حسن غريب ، والخطيب التبريزى وقال فيه الإمام النووى فى أربعينه : هذا حديث حسن صحيح .

وما ذهب إليه شراح حديث افتراق الأمة سالف الذكر وأهل كتاب الملل والنحل ليس له دليل من كتاب ولا سنة ، يتبين ذلك فيما سيأتى .

فالذى ذهب له كتاب الملل والنحل والفرق فى جعل الفرقة فى أمة الإجابة ، قول بلا دليل والحكم يجعل المسلمين خالدين فى النار فلا يبقى بعد ذلك أمة للجنة لأن كل فرقة من الفرق الإسلامية تدعى أنها الفرقة الناجية وسائر الفرق والمذاهب الأخرى فى النار وبمقتضى هذا ستكون جميعها فى النار وهذا متناف مع كتاب الله وسنة رسوله ؛ لأن الأدلة القرآنية والحديثية سواء بالمنطوق والمفهوم تجعل الفرقة فى أمة الدعوة لا أمة الإجابة لما يلى :

---

(١) ، (٢) ، (٣) الآيات ٥٩ – ٦٥ – ٨٣ – من سورة النساء .

عندما وقعت الفتن فى القرن الأول بين أصحاب رسول الله ﷺ ، ادعت كل جماعة من الجماعات التى تشققت لها الأمة الإسلامية أنها هى الفرقة الناجية ، والفرقة التى تحمل لواء الحق ، وترمى من خالفها بالضلالة والخروج من الإسلام ، وعندما تجسدت هذه الفرق فى أوساط العامة نصب كل دعاة مذهب وفكرة لهم منبرا يجسد أفكارهم ، ودحض أفكار الغير ، وأخذ الجميع يقيمون الأدلة النقلية والعقلية على صحة ما ذهبوا إليه ، وفساد ما ذهب إليه خصمهم وصارت هذه القضايا جزءا من قضايا العامة بل الكثير يعتبرها الدين وأن الدفاع عنها مما كتبه الله عليه !

وبهذا استحلوا دماء بعض فزهقت الأرواح ورملت النساء ويتم الأطفال ، وهدمت بلدان وقرى[1] ، مع أن الرسول ﷺ قال كما روى أبو موسى ، وأبو بكرة : " إذا ألتقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه ، فالقاتل والمقتول فى النار ، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟

قال : لأنه كان حريصا على قتل صاحبه " . أخرجه الشيخان وأحمد .

أما موقفنا من هذا الصراع فهو عدم الخوض فيما حدث بين أمتنا فى الماضى إلا خيرا ، ونعتذر بقول سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

" تلك أمة سلمت من دمائها سيوفنا فلتسلم منها ألسنتنا " ، بل إن الله عز وجل أراحنا فقال :

" تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون " البقرة : ١٤١ .

---

(١) راجع تاريخ المذاهب والتاريخ العام فى الكتب الآتية :

أ- البداية والنهاية جـ ١٤ صـ ٧٦ .

ب- مرآة الجنان جـ ٣ صـ ٣٤٣ .

جـ- شذرات الذهب جـ ٦ صـ ٢٦٠ .

وانظر للأستاذ سقاف على الكاف حقيقة الفرقة الناجية صـ ١٧ .

وقال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

" ثلاث مضلات : أئمة مضلة ، وجدال منافق بالقرآن ، وزلة عالم " .

وقال الإمام بن عبد البر : " شبّه الحكماء زلة العالم بانكسار السفينة ؛ لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير " . الجامع : ٢/١١١ .

وقال الحافظ بن رجب[1] الحنبلى رحمه الله عند شرحه لحديث (الدين النصيحة) :

(ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله وهو مما يختص به العلماء : رد الأهواء المضلة بالكتاب والسنة على موردها ، وبيان دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلّها ، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء وبيان دلالة الكتاب على ردها) .

فإن قلت : فما علامة كون هذا القول زلة وهفوة ؟

ما رواه البيهقى ١٠ / ٢١٠ خبرا عن معاذ رضى الله عنه وهو من أصدق القول وأحكمه ، قال يزيد بن عميرة أحد سادات التابعين ومن خاصة أصحاب معاذ :

كان معاذ يقول كلما جلس مجلس ذكر : الله حكم عدل .

فقال يوما فى مجلس جلسه : وراءكم فتن يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، الحر والعبد ، والرجل والمرأة ، والكبير والصغير ، فيوشك قائل أن يقول : فما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ والله ما هم بمتبعى حتى ابتدع لهم غيره !

فإياكم وما ابتدع ، فإن ما ابتدع ضلالة ، واحذروا زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على فم الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق ؟

قال يزيد بن عميرة : قلت له : وما يدريني يرحمك الله أن الحكيم يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق يقول كلمة الحق ؟

---

(١) جامع العلوم والحكم صـ ٧٠ .

قال معاذ : اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التى تقول : ما هذه ؟ ولا ينبئنك ذلك منه ، فإنه لعله أن يراجع ويلقى الحق إذا سمعه فإن على الحق نورا) .

قال البيهقى : فاخبر معاذ بن جبل أن زيغة الحكيم لا توجب الإعراض عنه ، ولكن يترك من قوله ما ليس عليه نور ، فإن على الحق نورا - يعنى والله أعلم - دلالة من كتاب أو سنة أو إجماع ، أو قياس على بعض هذا)(١)

ثم نعود لتوضيح هذا السؤال هل الفُرقة فى أمة الدعوة ، أو فى أمة الإجابة ؟

قد يكون أول من كتب عن الفُرقة فى أمة الإجابة فى القرون الأولى ونقل كلامه ابن الجوزى فى تلبيس إبليس فى الفرق التى افترق المسلمون عليها من غير دليل وجعلها من أمة النار :

* أبو الحسن الأشعرى فى كتابه : مقالات الإسلاميين (ت ٣٢٤ هـ) ثم

* عبد القاهر بن طاهر البغدادى فى كتابه : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ت ٤٢٩ هـ) ثم :

* ابن حزم الأندلسى الظاهرى فى كتابه : الفصل فى الملل والنحل (ت ٤٥٠ هـ) وجاء على أثرهم محمد عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستانى فى كتابه : الملل والنحل (ت ٥٤٨ هـ) ثم جاء : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى فى تقسيمه للفرق فى أمة الإجابة فى كتابه تلبيس أبليس (ت سنة ٥٩٧ هـ) لكونه عد فى الفرق التى جعلها فى النار من أمة الإجابة حيث قال : فإن قيل : وهل هذه الفرق معروفة ؟

فالجواب : إننا نعرف الافتراق وأصول الفرق ، وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها ، فقد ظهر من أصولها : الحرورية ، والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية .

---

(١) نقلا عن حقيقة الفرقة الناجية صـ ١٧ .

وهذه الفرق الست أصل الضلالة ، وانقسمت كل فرقة منها على اثنتى عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وأما من كتب فى افتراق أمة الإجابة متابعين للسابقين من غير ترو فأعداد كثيرة نختار منهم :

١- على نور الدين العزيزى ، صاحب كتاب (السراج المنير) شرح الجامع الصغير للسيوطى المتوفى عام ١٠٧٠ هـ .

٢- العلامة الشيخ الحفنى المضاف شرحه مع شرح العزيزى فى السراج المنير شرح الجامع الصغير .

٣- محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى فى كتابه (تحفة الأحوذى فى شرح سنن الترمذى المتوفى ١٢٥٣ هـ) .

وإليك ما قاله العزيزى فى كتابه الآنف الذكر(١) حيث قال :

(قوله على ثلاث وسبعين فرقة) وكلها فى النار إلا أهل السنة والجماعة . أ . هـ . بخط الشيخ عبد البر (قوله على ثلاث وسبعين فرقة) ولا نحيط بتفصيلها فالمذكور فى التوحيد ست عقائد منها :

عقيدة الجبرية ، والقدرية ، والحرورية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، وكل واحدة تفرع عنها اثنا عشر تفاصيلها عندهم قال العزيزى ، وقال ابن رسلان(٢) :

قيل : إن تفصيلها عشرون : منهم : عشرون روافض ، وعشرون خوارج وعشرون قدرية ، وسبعة مرجئة ، وفرقة نجادية ، وهم أكثر من عشر فرق ، ولكن يعدون واحدة ، وفرقة ضرارية ، وفرقة جهمية ، وثلاث فرق كرامية ، فهذه ثنتان وسبعون فرقة .(٣)

---

(١) جـ ١ صـ ٢٥٦ .

(٢) هو البلقينى شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير صالح الكنانى ، مجتهد عصره ، وعالم المائة الثامنة . راجع للإمام السيوطى حسن المحاضرة جـ ١ ص ٣٢٩ ، ط الأولى . ط الحلبى ١٣٨٧ .

(٣) نقلا عن حقيقة الفرقة الناجية صـ ٧١ .

اذكاء نار الفرقة بين المسلمين :

هذه الفرق التى ذكرها المصنفون قد اندثرت ، بل كثير منها لا أصل لها ، ولم يبق فى هذه الأرض إلا الحق ، والحق هنا : كلام الله وسنة رسوله ، وقد سَنّ الله لنا قانونا ثابتا لا يتغير ، ولا يتبدل حيث قال فى محكم التنزيل :

" فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض " الرعد : ١٧.

" بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .. " الأنبياء : ١٨ .

فما على المسلمين إلا أن يتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن يعضوا عليهما بالنواجذ ، ولا يرضوا عنهما بديلا ، فقد جاء الحق وظهر الباطل ولا يزال الله يعصمهم ما داموا متمسكين بالحق .

أما الذين يشعلون نار الفرقة من جديد فهم أذناب لهذه الأصول التى اندحرت ليشغلوا المسلمين عن واجبهم ومستقبل دينهم وتطبيق شريعته ، وهم طائفة مأجورة طوعت أقلامها فى إذكاء نار الفرقة ، والخلاف بين الجماعات الإسلامية والمذاهب الإسلامية لتظهر خلافات الفتنة ، ويظهر التناحر بين صفوف المسلمين من جديد فى الوقت الذى يبنى فيه أعداؤهم نفسه علميا وعسكريا وماديا ، وهذه الأقلام المأجورة صدر عنها فى هذا المجال عديد من الكتب لا تحصى ولا تعد ، منها ما ينبش الماضى ، ومنها ما يكفر من سواه من الجماعات والمذاهب[1] والعجيب فى هؤلاء أنهم ممن ينتسبون إلى الإسلام ، فليتق الله أصحاب هذه الأقلام فى أمتهم ، ولا يبيعوا عقيدتهم بثمن بخس بل الواجب عليهم – إن كانوا مسلمين حقا – أن يطوعوا أقلامهم لوحدة المسلمين وتآخيهم بدلا من المكر الذى يبيتونه لهذه الأمة خاصة وأن الله سبحانه دعا لوحدة المسلمين فى قوله : " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " الأنبياء :٩٢ .

---

(١) انظر المرجع السابق صـ ٢٤ .

" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " آل عمران : ١٠٣ .

وقول الرسول ﷺ :

" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "(١) .

وقوله ﷺ :

" مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "(٢) .

لكن لماذا يتفرق المسلمون فى الوقت الذى يؤكد القرآن الكريم على أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعا فهم أولى أن يحتضنوا دينهم ويحافظوا عليه . والدليل على ما نقول: أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً .

(١) أخرجه الشيخان والترمذى .

(٢) أخرجه الشيخان وأحمد .

الإسلام هو دين الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام

أما الدين فهو عند الله : الإسلام

لقوله سبحانه : " إن الدين عند الله الإسلام[1] "

وقوله : " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين[2] "

وتظهر مكانة الإسـلام وحقيقته من موقفه من الأديان الأخرى وعلاقته بها فيما يلى : -

أولا : إذا أخذنا كلمة الإسلام بمعناها القرآنى نجدها لا تترك مجالا لهذا التساؤل عن العلاقة بين الإسلام وسائر الأديان السماوية الأخرى ، لماذا ؟

لأن الإسلام فى لغة القرآن ليس اسما لدين خاص ، وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباعهم .

فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : " وأمرت أن أكون من المسلمين "[3]

ويعقوب عليه السلام يوصى بنيه بقوله : " فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون "[4]

وأبناء يعقوب يجيبون أباهم بقولهم : " نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون "[5]

وموسى عليه السلام يقول لقومه : " يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين "[6] .

---

(١) آل عمران : ١٩ .
(٢) آل عمران : ٨٥ .
(٣) يونس : ٧٢ .
(٤) البقرة : ١٣٢ .
(٥) البقرة : ١٣٣ .
(٦) يونس : ٨٤ .

ويوسف عليه السلام يقول : " رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين " يوسف : ١٠١ .

والحواريون يقولون لعيسى عليه السلام : " آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون "(١) .

وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يدعوان الله قائلين : " ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك .. " البقرة : ١٢٨ .

بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن : " قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين "(٢) .

وبالجملة نرى اسم الإسلام قاعدة عامة تدور فى القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية ، إلى عصر نبوة محمد ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها فى قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ﷺ يبين لهم أنه لم يشرع لهم دينا جديدا ، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم :

" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "(٣) .

ثم نجد الإسلام يسرد سيرة الأنبياء ، وأتباعهم ينظمهم فى سلك واحد ، ويجعل منهم جميعا أمة واحدة لها إله واحد ، كما لها شريعة واحدة :

" إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون "(٤)

---

(١) آل عمران : ٥٢ ، وراجع للدكتور محمد عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٨٣ .

(٢) القصص : ٥٣ .

(٣) الشورى : ١٣ .

(٤) الأنبياء : ٩٢ .

ثانيا : ما هذا الدين المشترك المسمى بالإسلام ، والذى هو دين كل الأنبياء والمرسلين ؟ الجواب :

إن من يقرأ القرآن يعرف تماما حقيقة هذا الدين : أنه هو التوجه إلى الله رب العالمين فى خضوع خالص لا يشوبه شرك ، وفى إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أى لسان ، وفى أى زمان أو مكان ، دون تمرد على حكمه ، ودون تمييز شخصى ، أو طائفى ، أو عنصرى بين كتاب وكتاب من كتبه ، أو بين رسول ورسول من رسله ومن ثم يقول القرآن :

" وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين(١) "

ويقول : " آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون(٢) "

فإذا كان الإسلام بمعناه القرآنى الذى وصفناه لا يصلح أن يكون محلا للتساؤل عن علاقة بين وبينه وسائر الأديان السماوية ، إذ لا يسأل عن العلاقة بين الشئ ونفسه فهاهنا وحدة لا انقسام فيها ، ولا اثنينية .

ثالثا : كلمة الإسلام قد أصبح لها فى عرف الناس مدلول معين ، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التى جاء بها محمد ﷺ أو التى استنبطت مما جاء به ، كما أن كلمة اليهودية أو الموسوية تخص شريعة موسى ، وما اشتق منها ، وكلمة النصرانية أو المسيحية تخص شريعة عيسى وما تفرع منها .

مع أن الإسلام هو القاسم المشترك بين هذه الأديان ، والمهيمن عليها لقوله سبحانه : " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه " . المائدة : ٤٨ .

---

(١) البينة : ٥ .
(٢) البقرة : ١٣٦ .

رابعا : السؤال الذى يطرح نفسه الآن : انما هو عن الإسلام بمعناه العرفى الجديد أى بينه وبين : الموسوية ، والمسيحية ، وبمعنى آخر بين الإسلام واليهودية ، والنصرانية والإجابة على هذا السؤال يقتضى البحث فيه على مرحلتين كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز :

المرحلة الأولى : علاقة شريعة الإسلام بالشرائع السماوية السابقة ، وهىَ فى صورتها الأولى لم تبعد عن منبعها ، ولم يتغير فيها شئ بفعل الزمان ولا بيد الانسان .

المرحلة الثانية : فى علاقته بها بعد أن طال عليها الأمد ، وطرأ عليها شئ من التطور .

أما عن المرحلة الأولى :

فالقرآن يعلمنا أن كل رسول يرسل ، وكل كتاب ينزل ، قد جاء مصدقا ومؤكدا لما قبله ، فالانجيل مصدق ومؤيد للتوراة ، والقرآن مصدق ومؤيد للانجيل والتوراة ، ولكل ما بين يديه من الكتب ، راجع الآيات : (٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ من سورة المائدة) : قال سبحانه : " وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ... " .

وقد أخذ الله الميثاق على كل نبى إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره .

قال سبحانه : " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا: أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين " (آل عمران : ٨١) .

غير أن سؤالاً يطرح نفسه فحواه :

أليست قضية هذا التصادق الكلى بين الكتب السماوية أن تكون الكتب المتأخرة تجديد للمتقدمة وتذكير بها ، فلا تبدل فيها معنى ، ولا تغير حكما ، وإلا كيف يقال : أنها تصدق .. الخ بينما هى تبدل وتعدل ، وإذا كان من قضية التصادق الكلى بين الكتب ألا يغير المتأخر منها شيئا من المتقدم فهل الواقع هو ذلك ؟

الجواب :

ليس الواقع ذلك ، فقد جاء الانجيل بتعديل بعض أحكام التوراة ، إذ أعلن عيسى - عليه السلام - أنه جاء ليحل لبنى اسرائيل بعض الذى حرم عليهم (١) .

قال سبحانه : " ومصدقا لما بين يدى من التوارة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون(٢) " .

وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل والتوراة إذ أعلن أن محمدا جاء ليحل للناس كل الطـيبات ، ويحرم عليـهم كل الخبائث ، ويضع عـنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم .. قال سبحانه : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون(٣) "

ولكن يجـب أن يفهم أن هـذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم ، ولا إنكارا لحكمة أحكامه فى ابانها ، وانما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب ، وأجلها المقدر ....

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان بتصرف صـ ١٨٥ وما بعدها .

(٢) آل عمران : ٥٠ .

(٣) الاعراف : ١٥٧ .

مثل ذلك : مثل ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم إلى الطفل فى الطور الأول من حياته فقرر قصر غذائه على اللبن ، وجاء الثانى إلى الطفل فى مرحلته التالية فقرر له طعاما لينا وطعاما نشويا خفيفا ، وجاء الثالث فى المرحلة التى بعدها فأذن له بغذاء قوى كامل .

لا ريب أن ها هنا اعترافا ضمنيا من كل واحد منهم بأن صاحبه كان موفقا كل التوفيق فى علاج الحال التى عرضت عليه .. نعم أن هناك قواعد صحية عامة فى النظافة والتهوية والتدفئة ، ونحوها لا تختلف باختلاف الأسنان ، فهذه لا تعديل فيها ولا تبديل ، ولا يختلف فيها طب الأطفال والناشئين عن طب الكهول الناضجين .

هكذا الشرائع السماوية كلها صدق وعدل فى جملتها وتفصيلها ، وكلها يصدق بعضها بعضا من ألفها إلى يائها ، ولكن هذا التصديق على ضربين :

(أ) تصديق القديم مع الأذن ببقائه واستمراره .

(ب) وتصديق له مع بقائه فى حدود ظروفه الماضية ، ذلك أن الشرائع السماوية تحتوى على نوعين من التشريعات :

١- تشريعات خالدة :

لا تتبدل بتبدل الأماكن ، والأوضاع كالوصايا التسع[١] ، ونحوها فإذا فرض أن أهل شريعة سابقا تناسوا هذا الضرب من التشريع جاءت الشريعة اللاحقة بمثله ، أى أعادت مضمونه تذكيرا وتأكيدا له .

٢- تشريعات موقوتة :

بآجال طويلة أو قصيرة ، فهذه تنتهى بانتهاء وقتها وتجئ الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع الناشئة الطارئة .

---

(١) انظر ص ٥٠ .

ولولا اشتمال الشريعة السماوية على هذين النوعين ما اجتمع فيها العنصران الضروريان لسعادة المجتمع البشرى : عنصر الاستمرار الذى يربط حاضر البشرية بماضيها .

وعنصر الانشاء والتجديد ، الذى يعد الحاضر للتطور والرقى اتجاها إلى مستقبل أفضل وأكمل .

.... نرى شريعة التوراة مثلا قد عنيت بوضع المبادئ الأولية لقانون السلوك : لا تقتل .. لا تسرق .... الخ ، ونرى الطابع البارز فيها هو طابع تحديد الحقوق وطلب العدل والمساواة بينها .. ثم نرى شريعة الانجيل تجئ بعدها فتقرر هذه المبادئ الأخلاقية وتؤكدها ، ثم تترقى فتزيد عليها آدابا مكملة :

" لا تراء الناس بفعل الخير ، أحسن إلى من أساء إليك " ، فنرى الطابع البارز فيها : التسامح ، والرحمة والايثار ، والاحسان ...

وأخيرا تجئ شريعة القرآن فتقرر المبدأين كليهما فى نسق واحد :

" ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون(١) " .

مقدرة لكل منهما درجته فى ميزان القيم الأدبية مميزة المفضول منهما والفاضل :

" وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله(٢) "

" وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين(٣) " .

ثم نرى شريعة الإسلام أيضا : قد أضافت إليهما فصولا جديدة صاغت فيها قانون آداب اللياقة ، ورسمت بها مناهج السلوك الكريم فى المجتمعات الرفيعة فى التحية والاستئذان ، والمجالسة ، والمخاطبة إلى غير ذلك ...

(١) النحل : ٩٠ .
(٢) الشورى : ٤٠ .
(٣) النحل : ١٢٦ .

كما نرى ذلك واضحا فى سورة النور ، والحجرات ، والمجادلة .

هكذا نرى الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ، ولبنات متراكمة فى بنيان الدين والأخلاق ، وساسة المجتمعات وعدم الفرقة فيها وكانت مهنة اللبنة الأخيرة منها أنها أكملت البنيان ، وملأت ما بقى من فراغ ، وأنها فى الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية الذى يمسك أركان البناء .. وصدق الله حين وصف خاتم أنبيائه محمد ﷺ بأنه :

" جاء بالصدق وصدق المرسلين(١) " .. وحين وصف اليوم الأخير من أيامه ، بأنه كان إتماما للنعمة واكمالا للدين : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى(٢) ... " .

وصدق رسول الله ﷺ حين صور الرسالات السماوية فى جملتها أحسن تصوير فقال :

" مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين(٣) " .

إنها إذا سياسة حكيمة رسمتها يد العناية الآلهية لتربية البشرية تربية تدريجية لا طفرة فيها ولا ثغرة ولا توقف فيها ولا رجعة ، ولا تناقض فيها ولا تعارض ، بل تضافر وتعانق ، وثبات واستقرار ، ثم نمو واكتمال(٤) ، حتى تنتظم حركة الحياة ..

---

(١) الصافات : ٣٧ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) البخارى : كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين .

(٤) الدين ... صـ ١٨٧ وما بعدها .

وننتقل الآن إلى المرحلة الثانية والأخيرة :

المرحلة الثانية :

العلاقة بين الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية الأخرى بعد أن طال عليها الأمد فنالها شئ من التطور والتحرر .

رأينا فى المرحلة الأولى كيف كان القرآن يعلن عن نفسه دائما أنه جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب(١) .

كما قال سبحانه : " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه(٢) " .

.... قال ابن عباس : المهيمن الأمين ، فالقرآن أمين على كل كتاب قبله .... وقال ابن جريج : القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل(٣) .

ونرى الآن هذه الصفة التى أضيفت إلى القرآن وهى أنه جاء " مهيمنا " على تلك الكتب أى حارسا أمينا عليها .. ومن قضية الحراسة الأمينة على تلك الكتب ألا يكتفى الحارس بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير ، بل عليه فوق ذلك أن يحميها من الدخيل الذى عساه أن يضاف إليها بغير حق ، وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التى عساها أن تكون قد أخفيت منها .

وهكذا كان من مهمة القرآن أن ينفى الزوائد ، وأن يتحدى من يدعى وجودها فى تلك الكتب " قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين(٤) "

---

(١) راجع الدين .. صـ ١٨٨ .
(٢) المائدة : ٤٨ .
(٣) راجع هذه الآية فى تفسير ابن كثير سورة المائدة ..
(٤) آل عمران : ٩٣ .

كما كان من مهمته أن يبين ما ينبغى تبيينه مما كتموه منها :

" يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب(١) "

مما سبق يتضح لنا أن العقيدة الإسلامية تتسم بطابع الانصاف ، والتبصير فتجعل المسلم لا يقبل جزافا ، ولا ينكر جزافا ، وأن يصدر دائما عن بصيرة وبينة فى قبوله ، أو رده ، ليس هذا خاصا بموقف العقيدة الإسلامية من الديانات السماوية ، بل هو شأنها أمام كل رأى وعقيدة ، وكل شريعة وملة ، حتى الديانات الوثنية نرى القرآن يحللها ، ويفصلها ، فيستبقى ما فيها من عناصر الخير ، والحق والسنة الصالحة وينحى ما فيها من عناصر الباطل والشر والبدعة(٢) .

والخلاصة :

أن هذا هو موقف الإسلام من الديانات الأخرى من الوجهة النظرية .

أما من الوجهة العملية فإنه يحتاج إلى بحث :

فهل يقف منها موقف السكوت والاغضاء ، اكتفاء بالأمر الواقع ؟

أم هل يقف منها موقف المحارب المقاتل الذى لا يهدأ له بال حتى يطهر الأرض منها ومن أهلها ؟

هناك من الكتاب الغربيين من يجيبنا بالشق الأول ، ومنهم : جوتييه فى كتاب : أخلاق وعوائدهم : قال : ان المسلم أنانى ، وأن الإسلام يشجعه على هذه الأنانية ، فالمسلم لا يعنيه ضل غيره أم اهتدى ، سعد أم شقى ، ذهب إلى الجنة أم إلى السعير .

وأكثر الكاتبين يجيبون بالشق الثانى : فالإسلام فى نظر هؤلاء يريد أن يفرض

(١) المائدة : ١٥ .

(٢) الدين صـ ١٨٨ بتصرف .

نفسه على الناس بحد السيف ، والقرآن فى نظرهم يأمر المسلم بأن يضرب عنق الكافر أينما لقيه ...

الواقع أن كلا الفريقين لم يصب كبد الحقيقة فى تصوره لموقف الإسلام .

ليس الإسلام فاترا ولا منطويا على نفسه ، كما زعم القائلون فالدعوة الحق والخير ركن أصيل من أركان الإسلام ، والنشاط فى هذه الدعوة فريضة مستمرة فى كل زمان ومكان ، يأمر الله نبيه بتبليغ كلامه ، وبأن يبذل جهده فى هذا التبليغ :

" وجاهدهم به جهادا كبيرا[1] " .

والقرآن يحرض المؤمنين على هـذه الدعوة : " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله[2] ... " .

بل يجعل الفلاح والنجاة وقفا على هؤلاء الدعاة :

" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون[3] " .

" إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر[4] " .

ولكن الإسلام فى الوقت نفسه ليس كما يزعم الأكثرون عنيفا ولا متعطشا للدماء ، وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة ، فنبى الإسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هى محاولة فاشلة بل هى مقاومة لسنة الوجود ، ومعاندة لارادة رب الوجود .

---

(١) الفرقان : ٥٢ .
(٢) فصلت : ٣٣ ، وانظر الدين .... مرجع سابق ص ١٩٠ .
(٣) آل عمران : ١٠٤ .
(٤) العصر : ٢ ، ٣ .

" ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين(١) " .

" وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين(٢) " .

" ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين(٣) ".

" انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء(٤) " .

ومن هنا نشـأت القاعدة الإسـلامية المحكمة المبرمة فى القرآن قاعدة حرية العقيدة : " لا إكراه فى الدين(٥) " .

ومن هنا رسم القرآن اسلوب الدعوة ومنهاجها فجعلها دعوة بالحجة والنصيحة فى رفق ولين :

" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة(٦) " .

على أن الإسلام لا يكتفى منا بهذا الموقف السلمى السلبى ، وهو عدم إكراه الناس على الدخول فيه ، بل يتقدم بنا إلى الأمام فيرسم لنا خطوطا إيجابية نكرم بها الإنسانية فى شخص غير المسلمين(٧) .

وصية غالية :

هل ترى أسمى وأنبل من تلك الوصية الذهبية التى يوصينا بها القرآن فى معاملة الوثنية التى هى أبعد الديانات عن الإسلام ، فضلا عن الديانات التى تربطنا بها أواصر

---

(١) هود : ١١٨ .
(٢) يوسف : ١٠٣ .
(٣) يونس : ٩٩ .
(٤) القصص : ٥٦ .
(٥) البقرة : ٢٥٦ .
(٦) النحل : ١٢٥ .
(٧) الدين ... ص ١٩٠ ، ١٩١ .

الوحى السماوى ؟

اقرأ فى سورة التوبة من الآية السادسة :

" وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه "

فترى ماذا ؟

ترى أنه لا يكتفى منا بأن نجير هؤلاء المشركين ونؤويهم ، ونكفل لهم الأمن فى جوارنا فحسب ، ولا يكتفى منا بأن نرشدهم إلى الحق ونهديهم طريق الخير وكفى ، بل يأمرنا بأن نكفل لهم كذلك الحماية والرعاية فى انتقالهم حتى يصلوا إلى المكان الذى يأمنون فيه كل غائلة .

ثم هل ترى أرحم وأعدل ، وأحرص على وحدة الأمة وتماسكها من تلك القاعدة الإسلامية ، التى لا تكتفى بأن تكفل لغير المسلمين فى بلاد الإسلام حرية عقائدهم وعوائدهم ، وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم ، بل تمنحهم من الحرية والحماية ومن العدل والرحمة قدر ما تمنحه للمسلمين من الحقوق العامة ، هذه القاعدة :

" لهم ما لنا وعليهم ما علينا "

ثم هل ترى أوسع أفقا ، وأرحب صدرا ، وأسبق إلى الكرم ، وأقرب إلى تحقيق السلام الدولى والتعايش السلمى بين الأمم من تلك الدعوة القرآنية التى لا تكتفى فى تحديد العلاقة بين الأمم الاسلامية ، وبين الأمم التى لا تدين بدينها ، ولا تتحاكم إلى قوانينها لا تكتفى فى تحديد هذه العلاقة بأن تجعلها مبادلة سلم بسلم(١) ..

" وإن جنحوا للسلم فاجنح لها "(٢) ..

" فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا عليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا "(٣)

---

(١) راجع الدين ... صـ ١٩٢ .

(٢) الانفال : ٦١ .

(٣) النساء : ٩٠ .

بل تندب المسلمين أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر ، وعدل وقسط :

" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين(١) " ..

ليس هذا هو كل شئ فى تحديد الموقف الانسانى النبيل الذى يقفه الاسلام عمليا من غير أتباعه ... ولضيق المقام نكتفى بكلمة واحدة :

إن الإسلام لا يكف لحظة واحدة عن مد يده لمصافحة أتباع كل ملة ونحلة فى سبيل التعاون على إقامة العدل ، ونشر الأمن وصيانة الدماء أن تسفك وحماية الحرمات أن تنتهك ولو على شروط يبدو فيها بعض الاجحاف ..

ناهيك بالمثل الرائع الذى ضربه لنا رسول الله ﷺ فى هذا المعنى حين قال فى الحديبية :

" والله لا تدعونى قريش إلى خطة توصل فيها الأرحام وتعظم فيها الحرمات إلا أعطيتهم إياها(٢) "

هذا هو مبدأ التعاون العالمى على السلام .. يقرره نبى الإسلام .. ورسول السلام(٣) .. ﷺ ..

وبعد :

فإن الدين هو لحم الإنسان ودمه يحافظ عليه محافظته على لحمه ودمه ، بل من المسلمين من يفضل الشهادة إذا كان فيها حياة الدين وسلامته ، على لحمه ودمه .

---

(١) الممتحنة : ٨ .

(٢) سيرة النبى ص لابن هشام : ٣ / ٢٦٧ .

(٣) الدين : صـ ١٩٢ ..

فإذا ضعفت مكانة الأديان فى النفوس ، وسيطرت الأهواء على العقول ظهرت الفرق الضالة المضلة .... ومن ثم يقيض الله سبحانه من بين هذه الفرق فرقة هادية مهدية تسير على هدى رسول الله محمد ﷺ مقتدية بتعاليم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فما هى الفرق الضالة المهلكة ؟

وما هى الفرقة الناجية ؟

هذا ما سنطالعك به إن شاء الله تعالى :

وقبل الحديث عن الفرق والحكم عليها

نذكر أول شبهة أو أول بذرة وضعت فى الأرض منذ الخليقة والتى تتمثل فى :

أول شبهة وقعت فى الخليقة وأثرها فى بنى الإنسان :

شبهة إبليس عليه لعنة الله ، ومصدرها : استبداده بالرأى فى مقابلة النص ، واختياره الهوى فى معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التى خلق منها ، وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين .

" قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين " .(١)

وانشعبت(٢) من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت فى الخليقة وسرت فى أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال .

وتلك الشبهات مسطورة فى كتب أهل الكتاب(٣) ، ومتفرقة على شكل مناظرة بين

---

(١) ص : ٧٦ .

(٢) افترقت وتباعدت .

(٣) التوراة ، والأناجيل : لوقا ، ومارقوس ، ويوحنا ، ومتى .

إبليس ، وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود وامتناعه منه .

نقل عن إبليس قوله : سلّمت أن البارى تعالى إلهى وإله الخلق عالم قادر ، ولا يسأل عن قدرته ومشيئته ، فإنه مهما أراد شيئا قال له :

كن فيكون ، وهو حكيم ، إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة .

قالت الملائكة : ما هى ؟ وكم ؟ قال لعنه الله : سبع .

السؤال الأول : إنه - أى الله سبحانه وتعالى - علم قبل خلقى أى شئ يصدر عنى ويحصل منى ، ولم خلقنى أولا ، وما الحكمة فى خلقه إياى ؟

الثانى : إذ خلقنى على مقتضى إرادته ومشيئته فلمَ كلفنى بمعرفته وطاعته ؟ وما الحكمة فى التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية ؟

الثالث : إذ خلقنى ، وكلفنى فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت فلم كلفنى بطاعة آدم والسجود له ؟

وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد أن لايزيد ذلك فى معرفتى وطاعتى ؟

الرابع : إذ خلقنى وكلفنى على الإطلاق ، وكلفنى بهذا التكليف على الخصوص فإذا لم أسجد فلم لعننى وأخرجنى من الجنة ؟

وما الحكمة فى ذلك بعد أن لم أرتكب قبحا إلا قولى : لاأسجد لك ؟

خامسا : إذ خلقنى وكلفنى مطلقا وخصوصا فلما لم أطع فلعننى وطردنى ، فلم طرّقنى[1] إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستى[2] ، فأكل من الشجرة المنهى عنها ؟ وأخرجه من الجنة معى ، وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو منعنى من دخول

(١) أى جعل لى طريقا ، والمعنى : أنت الذى جعلت لى الطريق إليه .

(٢) الوسوسة مرض يحدث من غلبة السوداء ، ويختلط معه الغرض ، ووسوس الشيطان له : حدثه بشر راجع الملل والنحل جـ ١ ص ١٥ هامش تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل .

الجنة لاستراح منى آدم وبقى خالدا فيها ؟

السادس : إذ خلقنى وكلفنى عموما وخصوصا ، ولعننى ثم طرقنى إلى الجنة ، وكانت الخصومة بينى وبين آدم فلم سلطنى على أولاده حتى أراهم من حيث لايروننى[1] ؟

وتؤثر فيهم وسوستى ، ولايؤثر فىّ حولهم وقوتهم ، واستطاعتهم وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم[2] عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة .

السابع : سلمت هذا كله خلقنى وكلفنى مطلقا ومقيدا ، وإذا لم أطع لعننى وطردنى وإذا أردت دخول الجنة مكننى ، وطرّقنى ، وإذا عملت عملى أخرجنى ثم سلطنى على بنى آدم فلم اذا استمهلته أمهلنى[3] ؟ فقلت :

أنظرنى إلى يوم يبعثون قال : إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو أهلكنى فى الحال استراح آدم ، والخلق جميعا منى ؟ وما بقى شر ما فى العالم ؟

أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر ؟

قال شارح الإنجيل :

فأوحى الله تعالى إلى الملائكة عليهم السلام بالجواب التالى :-

قالوا له : إنك فى تسليمك الأول أنى إلهك ، وإله الخلق غير صادق ولا مخلص ، إذ لو صدقت أني إله العالمين ما احتكمت علىّ بلِمَ ، فأنا الله الذى لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل ، والخلق مسئولون .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « إنه يراكم هو وقبيلة من حيث لاترونهم » .
(٢) أى يحولهم عنها ويصرفهم .
(٣) أى سألته المهلة والتأخير .

ومن المعلوم الذى لامراء فيه أن كل شبهة وقعت لبنى آدم فى الدنيا ، فإنما هى من إضلال الشيطان الرجيم(١) ، ووساوسه نشأت من شبهاته ، وإذا كانت الشبهات محصورة فى سبع عادت كبار البدع والضلالات إلى سبع ولايجوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ ، والكفر هذه الشبهات ، وإن اختلفت العبارات ، وتباينت الطرق فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور ، ويرجع جملتها إلى أنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق ، وإلى الجنوح إلى الهوى فى مقابلة النص .

فكل من جادل نوحا ، وهودا ، وصالحا ، وإبراهيم ، ولوطا ، وشعيبا ، وموسى وعيسى ، ومحمدا عليهم الصلاة والسلام نسجوا على منوال اللعين الأول .

وكل من يطعن فى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن ، أو فى صحابة رسول الله ﷺ ، فهو ممن نسج على منوال اللعين الأول .

وكل من يكذب بآية من القرآن الكريم ، أو يطعن فى كتاب الله ، أو يسخر منه أو يستهزئ به فهو ممن نسج على منوال اللعين الأول إبليس ، وقرينه فى إظهار شبهاته ، وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم وإنكار أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم إذ لافرق بين قولهم : « أبشر يهدوننا ؟ »(٢) وبين قوله :

« أأسجد لمن خلقت طينا ؟ » .(٣)

وعن هذا صار مفصل الخلاف ، ومحز الافتراق كما هو فى قوله تعالى : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا ؟ »(٤)

فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى كما قال المتقدم فى الأول :

« ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال : أنا خير منه »(٥) .

(١) الرجيم : الملعون المطرود من رحمته تعالى . الملل والنحل جـ ١ ص ١٦ هامش ١ .
(٢) التغابن : ٦ .
(٣) الاسراء : ٦١ .
(٤) الاسراء : ٩٤ .
(٥) الاعراف : ١٢ .

وقال المتأخرون من ذريته :

« أنا خير من هذا الذى هو مهين »[1] .

وكذلك لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين . « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم »[2] .

« فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل »[3] .

فاللعين الأول لما أن حكّم العقل على من لا يحكم عليه العقل لزمه أن يجرى حكم الخالق فى الخلق ، أو حكم الخلق فى الخالق .

والأول : غلو[4] .

والثانى : تقصير .

فثار من الشبهة الأولى : مذاهب :الحلولية ، والتناسخية[5] ، والمشبهة ، والغلاة من الروافض حيث غالوا فى حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال التى هى من أخص صفات الله عز وجل .

وثار من الشبهة الثانية : مذاهب : القدرية ، والجبرية ، والمجسمة حيث قصروا فى وصفه تعالى ، فوصفوه بصفات المخلوقين .

فالمعتزلة : مشبهة الأفعال ،

والمشبهة : حلولية الصفات ، وكل واحد منهم أعور بأى عينية شاء ، فإن من قال إنما يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه مايقبح منا فقد شبه الخالق بالخلق .

---

(١) الزخرف : ٥٢ .

(٢) البقرة : ١١٨ .

(٣) يونس : ٧٤ .

(٤) الغلو : التشدد والتكلف حتى يجاوز الحد .

(٥) الذين يعتقدون أن النفس الناطقة تنتقل من بدن إلى آخر . الملل والنحل جـ ١ ص ١٨ هامش .

ومن قال يوصف البارى تعالى بما يوصف به الخلق ، أو يوصف الخلق بما يوصف به البارى تعالى عز شأنه ، وتقدس اسمه ، فقد اعتزل عن الحق .

وسِنخ[1] القدرية طلب العلة فى كل شئ ، وذاك من سنخ اللعين الأول ، إذ طلب العلة فى الخلق أولا : « لم خلقنى ؟ » .

والحكمة فى التكليف ثانيا : « لم كلفنى ؟ » .

والفائدة فى تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثا : « لم كلفنى بطاعة آدم والسجود له ؟ » وعنه نشأ مذهب الخوارج إذ لا فرق بين قولهم لا حَكم إلا الله ولا يحكم الرجال ، وبين قوله : لا أسجد إلا لك ، أأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ؟ .

وبالجملة : « كلا طرفى قصد الأمور ذميم » .

فالمعتزلة غالوا فى التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفى الصفات ، والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام ، والروافض غالوا فى النبوة ، والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول .

والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال .

وأنت إيها القارئ الكريم ترى أن هذه الشبهات التى وقعت وتقع من أصحاب الفرق فى القديم ، والحديث ، والخضوع لأهواء العقل ... كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول ، وتلك فى الأول مصدرها ، وهذه فى الآخرة مظهرها .

فهل ترك الله سبحانه الإنسان نهبا لمكائد الشيطان ووسوسته ؟ كلا ، فقد أنزل الله جلت قدرته الآيات تترى تحذر الإنسان وتخوفه من كيد الشيطان ، ووسوسته ، ومكره فمن لايخشى التحذير ، ويتجنب المحذور ، فقد أورد نفسه موارد الهلكة والبوار ، وجعل اللعين إبليس قرينه وقائده إلى غضب الله القوى القهار .

---

(١) السنخ بكسر السين : الأصل .

يقول الله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين »[1]

« يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة »[2] .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر »[3] .

---

(١) الأنعام : ١٤٢ .

(٢) الأعراف : ٢٧ .

(٣) النور : ٢١ . وإليك نظرة أخرى فى إسالة إبليس من الله وطلب أجره لعبادته بعد طرده وفيها يطلب إبليس الأجر والمقابل من الله نظير عبادته .

روى المجلسى رضى الله عنه فى البحار جـ ١٤ ص ٦٣٣ س ٤ فى حديث طويل عن الصادق ﷺ قال : أول من قاس إبليس واستكبر . والاستكبار أول معصية عصى الله بها ثم قال : فقال ابليس : يارب اعفنى من السجود لآدم ، وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، قال الله تعالى : لا حاجة لى إلى عبادتك ، إنما أريد من حيث أريد لا من حيث تريد .

فأبى إبليس أن يسجد فقال الله تعالى : « أخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين » ، قال إبليس : يارب وكيف وأنت العدل الذى لا تجور ، ولا تظلم فثواب عملى بطل ؟ قال الله عز وجل : لا ، ولكن سلنى من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك فأعطيك .

مطالب إبليس :

كان أول شئ طلبه إبليس :

أ- البقاء إلى يوم الدين . فقال الله تعالى : قد أعطيتك ، قال :

ب- سلطنى على ولد آدم ، قال سلطتك . قال :

جـ- أجرنى فيهم مجرى الدم فى العروق . قال : قد أجريتك . قال :

د- لا يولد لهم ولد إلا ولد لى اثنان .

هـ- وأراهم من حيث لا يرونى .

و- وأتصور لهم فى كل صورة شئت ، فقال الله قد أعطيتك . قال يارب زدنى . قال : جعلت لك ولذريتك فى صدورهم أوطاناً . قال رب : حسبى ، ثم قال إبليس : فوعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين .

ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين .

دور آدم عليه السلام :

قال ... لما أعطى الله تعالى إبليس ما أعطاه من القوة ، وجاء دور آدم عليه السلام قال : يارب سلطت أبليس على ولدى ، وأجريته فيهم مجرى الدم فى العروق ، وأعطيته ما أعطيته فما لى ولولدى ؟ =

وشبه النبى ﷺ كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من الأمم السالفة فقال :

« القدرية مجوس هذه الأمة » .

وقال « المشبهة يهود هذه الأمة » ،

« والرافضة نصاراها » . سيأتى تخريج لهذه الأحاديث فى ص ١٦٥ ، ١٧٢ من هذا البحث .

وحذر النبى ﷺ أمة الإسلام من الانحراف حتى لايقعوا فيما وقعت فيه الأمم السابقة من الضلال والغلو ، وسيطرُت وسوسة الشيطان عليهم ..

فقال :

« لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذوا القُذّة بالقُذّةِ ، والنعل بالنعل حتى لو دخلوا حجرضب لدخلتموه »(١) . وهذا تحذير واضح كل الوضوح للمسلمين .

ففى هذه الشبهات لفتة فى غاية الأهمية لكل إنسان فهذا إبليس سافر فى تساؤلاته ، وقح فى كلامه متلاعب بالألفاظ . إذ ليس من حقه أن يوجه السؤال إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن عجب أن تجد مثل هذه الصور تتكرر لدى بعض البشر فى مختلف

= فقال الله عز وجل : لك ولولدك .

أ– السيئة بواحدة .

ب– والحسنة بعشر أمثالها . قال يارب : زدنى قال :

جـ– التوبة مبسوطة إلي حين تبلغ النفس الحلقوم . قال يارب : زدنى .

د– قال الله عز وجل : اغفر ولا أبالى قال آدم : حسبى .

راجع دائرة المعارف المسماة . بمقتبس الأثر ومجدد ما دثر للشيخ محمد حسين الشيخ سليمان الأعلمى جـ ٥ ص ١٨١ – ١٨٢ ط الأولى ١٩٦١ = ١٣٨٠ هـ . والطاهرية بقم .

(١) القذة : بضم القاف وتشديد الذال : ريشة السهم ، وفى رواية لتركبن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة .

قال ابن الأثير : يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان راجع الشهرستانى : الملل والنحل : جـ ١ ص ٢١ هامش ١ .

العصور والأزمان ، وإن اختلفت الأشخاص . كما سنطالعك فى ثنايا الحديث عن الفرق .

أحاديث افتراق الأمة والجمع بين رواياتها :

١- أخرج الترمذى فى صحيحه فى باب الإيمان قال : حدثنا الحسين بن حريث أبو عماد ، حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال :

« تفرقت اليهود على أحدى وسبعين أو اثنين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » . قال أبو عيسى حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح .

٢- عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمّه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وإن بنى اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم فى النار الا ملة واحدة »

قالوا : من هى يارسول الله ؟ قال : « ما أنا عيه وأصحابى »[1] .

قال الترمذى : حديث حسن غريب لايعرف إلا من هذا الوجه .

وفى سنن أبى داود رضى الله عنه :

٣- عن أبى داود قال : حدثنا أحمد بن حنبل ، ومحمد بن يحى ، قال : ثنا أبو المغيرة ، ثنا صفوان ، ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا بُقية قال : ثنا صفوان نحوه قال : ثنا أزهر بن عبد الله الحرازى عن أبى عامر الهوزانى عن معاوية بن أبى سفيان أنه قام فينا فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال :

---

(١) سيأتى الحديث عنهما فى ص ١٧٣ .

« ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة » .

٤- عن أبى داود فى باب السنة قال : حدثنا وهب بن بقية عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق النصارى على أحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » .

وهذه الأحاديث رواها ابن أبى الدنيا - أيضا - عن عوف بن مالك وأبو داود والترمذى ، وكذا الحاكم وابن حبان وصححه(١) .

وفى سنن ابن ماجه رضى الله عنه :

٥- عن ابن ماجه قال : حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى ، ثنا عباد بن يوسف ، ثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة واحدة فى الجنة وسبعون فى النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة ، والذى نفسى محمد بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة واحدة فى الجنة ، وثنتان وسبعون فى النار » قيل يا رسول الله من هم ؟

قال : « الجماعة » .

٦- عن ابن ماجه أيضا قال : حدثنا هشام بن عمار ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن بنى اسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة »(٢) .

(١) انظر كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ إسماعيل محمد العجلونى .. جـ ١ ص ١٦٩ . تعليق أحمد القلاس . حلب . نشر دار التراث القاهرة .

(٢) راجع الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر الاسفرائينى تحقيق وتعليق محمد محى الدين عبد الحميد ص ٧ هامش ٥ .

وفى سنن أحمد رضى الله عنه :

حدثنا عبد الله حدثنى أبى ، ثنا وكيع ، ثنا عبد العزيز بن الماجشون عن صدقة بن يسار عن العميرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بنى إسرائيل قد افترقت على ثنتين وسبعين فرقة ، وأنتم تفترقون على مثلها كلها فى النار إلا فرقة » .

٨- حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

« إن بنى اسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة ، وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة» قالوا : يا رسول الله ، من تلك الفرقة ؟ قال : « الجماعة » .

أما أحاديث ابن النجار فمنها :

٩- ما صححه الحاكم بلفظ غريب وهو :

« ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة » .

وفى رواية عن الديلمى : « الهالك منها واحدة » .

قال العلماء : هى الزنادقة(١) .

١٠- وذكر بهامش الميزان عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ بلفظ : « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، كلها فى الجنة إلا واحدة وهى الزنادقة »

وفى رواية عنه أيضا :

« تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة ، إنى أعلم أهداها ، الجماعة » .

وبهامش الميزان ، كما ذكره اسماعيل العجلونى فى كشف الخفاء بأنه مذكور فى تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ بن حجر ولفظه :

(١) انظر كشف الخفا ..

١١- « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة وهى الزنادقة» أسنده عن أنس قال : أخرجه أبو يعلى(١) .

ومن وجه آخر عن أنس بلفظ أهداها فرقة : « الجماعة » أخرجه أبو يعلى .

وشهد لهذه الأحاديث ، حديث البخارى رضي الله عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه :

« كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟

قال : « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » .

وأخرج الإمام أحمد بسنده أن أبا أمامة الباهلى مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله » .

رواه الإمام أحمد جـ ٥ / ٢٥٨ وراجع تفسير ابن كثير جـ ٨ / ٤١١ ط الشعب .

الجمع بين هذه الروايات :

قد يحدث إشكال عند البعض فى اختلاف منطوق الأحاديث الواردة فى الباب حيث ورد فى أحاديث الترمذى ، وأبى داود ، وابن ماجه وأحمد التعدد فى أمة الدعوة ، وورد فى ماروآه ابن النجار ، ومسند الفردوس ، ومسند أبى يعلى التعدد فى أمة الإجابة ، وإيضاح ذلك لإزالة الإشكال بأن الأمة تنقسم إلى قسمين : أمه الأجابة ، وأمه الدعوة ، والكفر كما ورد ملة واحدة والإسلام ملة واحدة ، فإذا ورد التعدد فى الفريقين فكان المقصود الغاية . والغاية : مَنْ هم أهل الجنة ؟ ومَنْ هم أهل النار ؟

فمن كان على كلمة التوحيد فهو من أهل الجنة ، ومن كان على خلاف ذلك فهو من أهل النار ، ومصير البشرية جمعاء جنة أو نار(٢) ، كما قال ربنا تبارك وتعالى : « فريق

(١) وراجع المقدسى فى : أحسن التقاسيم عند ذكره للفرق .

(٢) راجع حقيقة الفرقة الناجية ص ٢٧-٣٠ مرجع سابق .

فى الجنة وفريق فى السعير » .

ملاحظة : ومعنى قول النبى ﷺ : افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة أى كانت البشرية تعج بعديد من الفرق والنحل حتى أتى سيدنا موسى عليه السلام فزاد ملة وهى أمة الأجابة ، الذين أجابوا دعوة التوحيد التى أتى بها سيدنا موسى ، ويظهر لك كثرة النحل من قبل ديانة سيدنا موسى فى كتب الملل والنحل ومنها كتاب الشهرستانى والفصل لابن حزم ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى الذى ذكر فيه مئات من النحل فى كتابه من بين عباد للأوثان ، وللأنسان والنجوم والجان والنار والأرواح والحيوان والعقول العشرة عند اليونان وغيرها من هذه الملل والنحل التى أحصيت والتى لم تذكر فى المدونات ، أما للجهل بها ، أو لقلة أتباعها وتأثيرها ، وهؤلاء جميعا من أمة الدعوة ، ودخل بينهم بعد بعثة نبينا محمد ﷺ : أهل الكتاب : اليهود والنصارى لتحريفهم دينهم ، وجعلهم العبادة لغير الله سبحانه بالشرك والوثنية ، فجعل اليهود عزيراً بن الله ، وعبدوا العجل ، وجعل النصارى عيسى ابن مريم ابن الله ، وقالوا: بالأقانيم الثلاثة وعبدوا الصليب(١) .

ومن ثم :

فإن اليهود من أهل النار خالدين فيها ، ويلحق بهم النصارى لعلمهم نبوة محمد ﷺ وبالإسلام ، وإعراضهم عن الإيمان به ، بل معادته، والكيد له وللإسلام ، يثبت ذلك قول النبى ﷺ لما رواه أبو هريرة وهو :

« والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة ولا يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »(٢) .

بعد ما تقدم ندخل فى الحديث عن فرق أهل الكتاب ونبدأها باليهود :

---

(١) راجع حقيقة الفرقة الناجية ص ٣٧ .

(٢) أخرجه مسلم وأحمد .

الكلام عن اليهودية وفرقها

صاحب هذه الديانة موسى بن عمران – عليه السلام – الذى أخرج شعب بنى أسرائيل من أرض مصر فى سنة (١٤٩١) ق م ، وهو الذى أعطاه الله الألواح الحجرية المكتوب فيها الوصايا العشر ... والشريعة التى جاء بها موسى عليه السلام ودونها فى خمسة أسفار تسمى بالتوراة ، وعند النصارى تسمى بالعهد العتيق وضموا إليه كتبهم الدينية المسماة بالعهد الجديد .

وإطلاق العهد الجديد على الأناجيل دليل ثابت وأكيد على أن صاحبه ليس بإله ولا ابن إله ، فقد طرأ عيسى عليه السلام على الكون ، ومن طرأ على الكون فهو حادث ، ومن ثم فإن الجواب على سؤال :

لماذا أطلقوا عليه اسم العهد الجديد ؟

لأن صاحبه جاء من عدم . فقد جاء والعالم كائن من حوله ، وخاطب الناس وخاطبوه ، وأخبر قومه أنه مرسل إليهم من الله سبحانه وتعالى : « يابنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة .. »[١] ومن تحقق فيه الحدوث وجب عليه العدم .

تقسيم العهد القديم : ينقسم العهد القديم الى ثلاثة أقسام :

أ- تاريخى

ب- طقسى

ج- دنيوى

والتاريخى قسمين :

---

(١) الصف : ٦ .

١- ماكتبه موسى عليه السلام

٢- ماكتبه أحبار هذا الشعب وعلماؤه وأنبياؤه غير موسى عليه السلام .

أما ماكتبه موسى فيخبر عن خلق العالم ، ويظهر منه أنه كان قبل المسيح بأربعة آلاف سنة على مقتضى التوراة العبرانية .

أما التاريخى : فيحتوى على الحروب التى أجراها يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام ، مع ملوك الأرض وشعوبها وتغلبه عليهم وتقسيم أراضيهم وأملاكهم على بنى اسرائيل ، وانتقال الحكم من بعده إلى القضاة ثم الى الملوك الذين كان أولهم شاول قيس من سبط بنيامين ، وثانيهم داود النبى من سبط يهوذه ، وبعده ابنه سليمان الذى بنى بيت الله الشهير فى أورشليم ، وإليه كانوا يحجون .

أما الطقسى : فيتضمن تكريس هارون أخى موسى وبنيه لخدمة الكهنوت ، وما يتعلق بالشرائع والقوانين لتقديس اللاويين ، وتعيين ما ينبغى اعطاؤه لهم من الأملاك، والعشور ، والنذور ، وغلات البيادر (١) .

من أخبار الفرق اليهودية :

بعد موت سليمان بن داود عليهما السلام ، وكانوا يلقبونه بملك اسرائيل جلس ابنه رحبعام على تخت المملكة فى سنة ٩٧٥ ق .م فأقام عشرة أسباط من أسباط اسرائيل حججا على هذا الملك صارت سببا الى تمردهم عليه ، وخلع طاعته ، ومن ثم انقسمت المملكة الى قسمين :

إحداهما : تدعى اسرائيل ، وهى التى تألفت من العشرة الأسباط المذكورين كما سيأتى فى ص ٤٦ .

---

(١) كتاب سوسنة سليمان فى أصول العقائد والأديان : تأليف نوفل أفندى نوفل ص ١١٦ ، ١١٧ - مكتبة الأزهر تحت رقم خاص ٤٣٣٥ وعام ٤٥٨١٠ . ط بيروت ١٨٧٦ .

والثانى : مملكة يهوذا ، وهى المؤلفة من سبطى يهوذا وبنيامين اللذين بقيا خاضعين لرحبعام .

وكان أول من تملك على مملكة اسرائيل رجل يقال له يربعام خاف من رجوع رعاياه الى طاعة رحبعام ملك يهوذا إذا صعدوا إلى أورشليم فى الأعياد الاحتفالية ليعبدوا الله فى الهيكل ، ويقربوا ذبائحهم هناك ولذلك أقام فى مملكته عجلين من ذهب وجعل رعاياه يعبدونهما تحت اسم إله اسرائيل ، ورتب لهم أعيادا احتفالية ، وكهنة ، ومن ثم دامت هذه المملكة نحو مائتين وخمسين سنة إلى أن افتتحها (شلمناصر) ملك أشور وسبى العشرة الأسباط المذكورين الى بلاده ومن هناك تبددوا الى ممالك شتى ولم يعودوا الى أرض الله البتة ، ثم أرسل ملك أشور ، فعوضهم عن تلك الأراضى قبائل من وثنى بلاده ليتحدوا مع الذين بقوا مع شعب الأرض فيها ويعمر مدينة السامرة ، وأرض اسرائيل ثانية ، وارسل معهم كاهنا من سبى اليهود ليعلمهم سنة الله فجعلوا الله سبحانه بين آلهتهم وعبدوه كواحد من الأوثان .

وأما مملكة يهوذا فدامت تحت سلطة رحبعام وخلفائه من نسل داود الى سنة (٥٨٨ ق م) ومن ثم افتتحها بختنصر ملك بابل ، وجلا أيضا كثيرين من أهاليها الى بابل قصبة مملكته لكن بعد ان اقاموا فيها سبعين سنة رجعوا الى أورشليم ، وجددوا عمارتها وقيام الهيكل ، وكانوا وقتئذ منقسمين الى فرقتين :

إحداهما : تمسكت بالكتب المقدسة فقط وسميت صاديكيم أى الصديقين ، ومنها نسل السامريون والصدوقيون .

والأخرى : أضافت الى ذلك تقليدات المشايخ ، وبسبب ماظن فيها من القداسة قيل لها : خاسيديم أى التقيون ، ومنها انتسل الفريسيون ، والأسينيون وصادف وقتئذ هذا الانقسام امتداد الفلسفة اليونانية فتشعبت اليهود فى آرائها ، الى فرق متعددة ، وطوائف شتى نذكر منها أشهرها(١) .

---

(١) انظر سوسنة سليمان ص ١٢٤ - ١٢٥ ، وراجع للشيخ عطية الشوادفى : دراسات فى التوراة ص ٦١ ، ٦٢ .

فرقة الصدوقية ، والخاسديمية :

لما شرع منشئوا مملكة يهوذا فى قيام الهيكل بأورشليم بعد رجوعهم من بابل كان سكان أرض اسرائيل المبعوثون فى الأصل من مملكة آشور قد استخلصوا من العبادات الباطلة ، وأرادوا أن يتفقوا مع اليهود على بناء ذلك الهيكل فلم يرض اليهود المذكورون بذلك ، فانقاد حينئذ سكان السامرة الى فرقة الصاديكيم التى سبقت الإشارة إليها ، ولم يتمسكوا إلا بأسفار موسى الخمسة ، وهى المسماة بالتوراة ، ورفضوا كل ماعدا ذلك ، وبنوا هيكلا على جبل جرزيم بالقرب من مدينة نابلس ، ومنذ ذلك الوقت بدأت العداوة بين الفئتين وانقطع التعامل بينهما حتى الآن(١) .

الصدوقيون :

زعم بعض علماء اليهود أنهم تسموا بذلك نسبة الى رئيسهم (صادوق) الكاهن الذى كان سنة (٢٨٠ ق . م) وقد انعكفوا على تعاليم أبيكوروس الفيلسوف اليونانى ، ويقال له أبيقور .

ولم يقبلوا سوى أسفار موسى الخمسة كالسامريين فاعترفوا بوجود الله لكنهم انكروا قيامة الموتى ، ووجود الأرواح مطلقا ملائكة أو شياطين وخلود النفس(٢) .

الخاسديمية : إحدى فرق اليهود ممن تشعب بينهم أخيرا على ماذكرنا فيما مر ضممناهم الى هذه الفرق ، وربما لم يكن لهم اشتراك معها فى النسبة ، وإنما ذكروا فى الانجيل وداموا الى أن قد بث الجنود الرومانية ، وافتتحت أورشليم تحت راية (تيطس قيصر) ، وأحرقت الهيكل ، وبددت الشعب اليهودى فى أقطار الأرض(٣) .

---

(١) سوسنة سليمان ص ١٢٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٧ .

الفريسيون : أكبر طوائف اليهود ، وأقدمها ، وتسميتهم هذه عبرانية تدل على معنى التميز والافراز ، ويراد بذلك افرازهم عن الشعب باعتبار القداسة المنسوبة إليهم وقد أخذوا الرصانة التى كانوا يتصفون بها عن زينون الفيلسوف رئيس فرقة الاسطوانيين ، واتبعوا رأى كريسيوس ، أحد تلامذة هذه الفرقة .

وقد ازدهرت هذه الفرقة على عهد اسكندر رجانيوس المكابى الذى تولى المملكة فى سنة (١٠٤ ق. م) .

والكتبة ويقال لهم : الناموسيون أيضا لم يكونوا من قبيلة مخصوصة ولكنهم كانوا ينسخون الكتب المقدسة ويميلون الى مطالعة العلوم والفنون ، ويفسرون الشريعة ، ويهذبون الشعب ، وهم يوافقون الفريسيين فى الديانة .

والأسينيون : الذين قاموا سنة (٢٠٠ ق. م) وهم فرع من الفريسيين لكنهم كانوا أضيق عيشة منهم ، وينسبون الى الفيثاغوريين ، أو الى الكينيكيين ، ولعلهم الكلبيين . قال بعضهم :

والثانى أصح لأنهم بعد أن جردوا ذلك التعليم من بعض تلك العيشة الصارمة والقساوة التى كانوا يوبخون بها عيوب العامة ابتعدوا عن ذلك النوع الوخم من تلك العيشة التى كانت من تعاليم الفلسفة الكينيكية ، واعتادوا أن يكرروا الغسل والنظافة كل يوم وكان لهم من عوائد الفيثاغوريين حب الصمت والوحدة ، وكانوا يميزون أنفسهم عن عامتهم بنوع من العيشة الأستيكية ماعدا اجتهادهم بدرس الأدب .

ولهم همة واجتهاد غريب بدرس علم الطب وتعليمه ، والفحص عن القوة المولدة للحشائش والجمادات ، وكان بعضهم يسكن فى المدن ، وبعضهم يختفون فى القفار ولا يحضرون الهيكل ليقربوا ذبائح ، ويسجدوا فيه لأن أماكنهم كانت بعيدة ، وكانوا يؤمنون بالسعادة بعد الموت ، ولكنهم يرتابون فى القيامة .

وكانوا يمتنعون غالبا عن الزواج ، ويتبنون الفقراء ليهذبوهم فى قواعدهم وإذا أراد واحد أن يدخل بينهم يمتحنونه ثلاث سنين ، فإذا قبلوه يلزم أن يحزم أمره على عبادة الله واستعمال العدل ، ولا يخفى شيئا من أسراره عن الجمعية ، ولا يظهر شيئا منها للغير ولو تحت القتل ، وكانوا يحتقرون الأموال ويشتركون فى أمتعتهم ، ويأكلون معا ، ويكثرون التقشف ، ويلبسون ملابس بسيطة وكانوا مشهورين بالكد والإحسان الى الفقراء والخضوع للحكام والصدق ولا ينطقون بقسم إلا عند دخولهم فى هذه الجمعية وكانت نعم ولا تغنيان عندهم عن اليمين[1] .

ويقال إن القديس يوحنا المعمدان نبغ بينهم :

والهيرديون : وهم طائفة سياسية بين اليهود لا دينية .

وقيل : إنهم كانوا يستعملون كثيرا من عوائد الوثنيين لكى يتعطف بهم هيرودس ، والرومانيون .

والجليليون : وهم طائفة دينية وسياسية معا ، وقائدهم الأول كان يهوذا الجليلى ظهر سنة (١١) بعد الميلاد وخالف أمر أوغطسوس قيصر فى اكتتاب اليهود ، وكان يقول لتابعيه :

إن اليهود ليس لهم ملك غير الله .

والليبرتيون : يظن أنهم من اليهود ، أو من المتهودين من الأمم الذين تمتعوا بحقوق الرومانيين وقيل :

إنه كان لهم مجمع مختص بهم فى أورشليم[2] .

---

(١) المرجع نفسه ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨ .

احتراق الهيكل فى أورشليم :

بعد أن افتتح تيطس القيصر الرومانى أورشليم ، وأشعلت العساكر الرومانية النار فى ذلك الهيكل العظيم ، وهدمته الى أساساته ، تفرق اليهود ، وبطلت الذبائح والمحرقات وتلاشى ذكر الكهنوت ، وكان ذلك بعد سبى بابل (٤٩٠) بأربع مائة وتسعين سنة ، وبعد ميلاد المسيح بواحد وسبعين سنة ، وكان الله أعلن ذلك الى دنيال النبى بقوله فى الإصحاح التاسع من نبوته وهو وقتئذ فى سبى بابل ، (سبعون أسبوعا قضيت على شعبك ، وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية ، وتتميم الخطايا ، والكفارة الآثم ، وليوتى بالبر الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوءة ، ولمسح قد وس القديسين)(١) .

واليهود ... يرون بأن المسيح لم يأت مبطلا أو ناسخا لهذه الديانة وإنما هو متمم لها إذ أنها وضعت وقتية مؤجلة الى زمن مجئ المسيح المخلص ، فيكون ماجاء فيها من الطقوس التى ترمز عنه ، وتشير اليه قد كفت لمجئ المرموز نفسه ولذلك لا يلتزمون بحفظ شئ منها إلا ما استثنته التعاليم الانجيلية ، كالامتناع عن أكل الدم المخنوق ، وماعدا هذا فهم ملتزمون بتصديقه .

ويتفق جماعة التقليديين ، والانجيليين من اليهود ويفترقون عن الذين أنكروا المسيح بأمور جوهرية منها :

أولا : أن الله الموحد بالذات ذو ثلاثة أقانيم : آب وابن وروح قدس ، وأنه إله لكل مخلوقاته ، وليس لشعب اليهود فقط !!

ثانيا : أن المسيح هو الأقنوم الثانى أى الابن فهو إله وإنسان معا ، وليس هو إنسانا مجردا فقط كما يظن اليهود ولذلك كان ملكه روحيا أبديا لا جسديا ، وخلاصه متعلق بالنفس وليس بالعتق من الأحكام العالمية الأجنبية .

---

(١) المرجع نفسة ص ١٢٩ .

ثالثا : العتق من لعنات الناموس الموسوى بواسطة هذا المخلص فإن المؤمنين به يقدرون أن يتبرروا من كل ما لم يقدروا أن يتبرروا منه بناموس موسى .

رابعا : الاعتقاد التام بالقيامة الأخيرة ، وبدينونة الأحياء والأموات العامة(١) .

والحياة الأبدية الخالدة للذين فعلوا الصالحات فى فردوس النعيم ، وللذين فعلوا السيئات فى جهنم النار التى لا تطفأ .

وأما الذين أنكروه ولم يريدوا أن يؤمنوا به فهم البقية الباقية من اليهود تفرقت بعد فتوح أورشليم ، وخراب ذلك الهيكل العظيم(٢) .

ومن غريب أمر اليهود ما جاء فى التلمود ......

من بحوث التلمود :

هل يجوز قتل البرغوث أو القملة فى يوم السبت أم لا ؟

هل يجوز حمل الساعة أيضا ، لأنه يعد حملا والحمل ممنوع فى ذلك اليوم لكن يجوز أن تعلق الساعة فى العنق ، فهو ملبوس وليس حملا وأن الله سبحانه نادم على خلقه الشمس أفضل من القمر ، وأنه يبكى ويسب نفسه على مالحق اليهود من هذا الخراب والشتات !!!

إلغاء اللغة العبرية :

قضى مجمع حاخامى اليهود الذى التأم فى مدينة (فيلادلفيا) بأمريكا فقد قرر قراره بما يلى :

ابطال استعمال اللغة العبرانية فى طقس العبادة لكونها لغة غير مفهومة .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

كما رفضوا أيضا تعليم قيامة الأجساد وصرحوا بأن الكهنوت الموسوى قد مضى ولم يبق الآن سوى كهنوت شعب بنى اسرائيل العمومى .

اشتقاق كلمة (اليهود) ومعناها :

أما اشتقاقها فهو من قولهم : هاد إذا رجع .

ولزمها هذا الاسم من قول موسى عليه السلام : « إنا هدنا إليك » أى رجعنا وتضرعنا .

ومنتحلها اليهود المتمسكون بشريعة موسى عليه السلام .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه :

وهم أعم من بنى إسرائيل . وكتابهم الذى يتمسكون به « التوراة » وهو الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام .

وأما معناها : فقول :

أبو جعفر النحاس فى « صناعة الكتاب من أنها مشتقة من قولهم : ورت نارى ووريت ، وأوريتها اذا استخرجت ضوءها : لأنه قد استخرج بها أحكام شرعة موسى عليه السلام ، وكان النحاس يجنح الى أن لفظ التوراة عربى ، والذى يظهر أنه عبرانى معرب : لأن لغة موسى عليه السلام كانت العبرانية ، فناسب أن تكون من لغته التى يفهمها قومه ، قال الشهرستانى فى « الملل والنحل » :

وهى أول منزل على بنى اسرائيل وسمى كتابا ، إذ ماقبلها من المنزل إنما كان مواعظ ونحوها . قال صاحب حماة :

وليس فيها ذكر القيامة ولا الدار الآخرة ، ولا بعث ، ولا جنة ولا نار ، وكل وعيد يقع فيها إنما هو بمجازات دنيوية ، فيوعدون على مجازات الطاعة بالنصر على الأعداء ، وطول العمر ، وسعة الرزق ونحو ذلك .

ويوعدون على الكفر والمعصية بالموت ومنع القطر والحميات والحرب ، وأن ينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ونحو ذلك[1] .

يشهد لهذا قوله تعالى :

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » النساء : ١٦١ فجعل سبحانه وتعالى الظلم سببا للتحريم .

قال : وليس فيها أيضا ذم الدنيا ، ولا طلب الزهد فيها ، ولا صلوات معلومة ، بل فى التوراة الموجودة بأيديهم الآن نسبة أمور الى الأنبياء عليهم السلام من الأسباط وغيرهم لا تحل حكايتها .

أسفار التوراة :

تضم التوراة بين دفتيها خمسة أسفار :

أولها : يشتمل على بدء الخليقة والتاريخ من آدم عليه السلام الى يوسف عليه السلام .

ثانيها : فيه استخدام المصريين بنى اسرائيل ، وظهور موسى عليه السلام عليهم وهلاك فرعون ، ونصب قبة الزمان وهى قبة (كان ينزل على موسى فيها الوحى) وأحوال التيه ، وإمامة هارون عليه السلام ، ونزول العشر كلمات فى الألواح على موسى عليه السلام ، وهى شبه مختصر مما فى التوراة يشتمل على أوامر ونواه وسماع القوم كلام الله تعالى ، وقد أخبر الله تعالى عنها بقوله « وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ » .

قال مجاهد : وكانت الألواح من زمردة خضراء ، وقال ابن جبير : من ياقوتة حمراء ، وقال أبو العالية : من زبرجد ، وقال الحسن : من خشب نزلت من السماء ،

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٣ ، وراجع دراسات فى التوراة مصدر سابق .

ويقال : انها كانت لوحين ، وانما جاءت بلفظ الجمع : لأن الجمع قد يقع على الأثنين كما في قوله تعالى :

« وإن كان له إخوة » والمراد اثنان .

ثالثها : فيه كيفية تقريب القرابين على سبيل الإجمال .

رابعها : فيه عدد القوم وتقسيم الأرض بينهم ، وأحوال الرسل الذين بعثهم موسى عليه السلام من الشام ، وأخبار المن والسلوى والغمام .

وخامسها : فيه أحكام التوراة بتفصيل المجمل ، وذكر وفاة هارون ثم موسى عليهما السلام ، وخلافة يوشع بن نون عليه السلام بعدهما .

ذكر الشهرستاني وغيره أن في التوراة البشارة بالمسيح عليه السلام ثم بنبي الإنسانية محمد ﷺ ، بل ربما وقعت البشارة بهم جميعا في موضع واحد ، كما في قوله :

إن الله تعالى جاء من طور سيناء ، وظهر من ساعير ، وعلن بفاران .

فطور سيناء إشارة الى رسالة موسى عليه السلام ، وساعير هي جبال بيت المقدس حيث مظهر المسيح عليه السلام ، وفاران جبال مكة حيث ظهر النبي ﷺ (١) .

قال الشهرستاني : ولما كانت الأسرار الإلهية ، والأنوار الربانية ، في الوحي والتنزيل ، والمناجاة والتأويل على ثلاث مراتب :

مبدأ ، ووسط ، وكمال : وكان المجئ أشبة شئ بالمبدأ والظهور أشبه بالوسط ، والعلن أشبه بالكمال ، عبر في التوراة عن ظهور صبح الشريعة والتنزيل بالمجئ على طور سيناء ، وعن طلوع شمسها بالظهور على ساعير ، وعن بلوغ درجة الكمال والاستواء بالعلن على فاران ، وقد عرفوا النبي ﷺ بوصفه في التوراة حق المعرفة :

---

(١) وفي معجم البلدان لياقوت : وأشرق من ساعير ، واستعلن ... الخ وراجع فصل البشارات في كتاب فجر الدعوة الإسلامية للمؤلف .

« فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

وقد ذكر المفسرون عن ابن عباس رضى الله عنه أن موسى عليه السلام لما ألقى الألواح عند رجوعه الى قومه انكسرت فلم يبق منها إلا سدسها .

ويروى أن التوراة كانت سبعين وسق بعير ، وانها رفع منها ستة أسباعها وبقى السبع ، ففى الذى بقى الهدى والرحمة ، وفى الذى رفع تفصيل كل شئ[1] .

من هم اليهود ؟

أصل اليهود من الجنس السامى وهم أحفاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكانوا يسمون قديما بالعبرانيين ، وقد اختلف فى هذه النسبة ، فقيل نسبة الى مدينة عبرا التى تقع شرقى الفرات ، وقيل : ان هذه التسمية جاءت من اسم ابرام ، وقيل : من عابرا اسم الجد الخامس لابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقيل من العبور وهو الانتقال ولعله القريب من الصواب[2] .

ثم سموا بالاسرائيلين نسبة الى اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام واشتقاق هذا الاسم مشكوك فيه ، والمصطلح عليه « فى غير الاسلام » انه امير مع الله ، ولكن بتحليل اللفظ العبرى « إسرائيل » يكون المعنى : غالب الله القادر .

ثم سمــوا باليهود ومعنى لفــظ يهود فى اللغة العربية اما من هاد بمعنى رجع وتاب ، واما من التهود بمعنى التحرك عنـد القراءة ، وقيل نـسبة الى يهوذا أكبر ولد يعقوب عليه السلام ، وقلبت الذال دالا عند التعريب .

والباحث فى تاريخ اليهود تعترضه صعوبات جمة ، لعدم استكمال مصادر البحث وبعضها رهن الكشف المتجدد والتنقيب المتعاقب فى بابل وأشور ومصر .

---

(١) راجع صبح الأعشى : جـ ١٣ ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) راجع للشيخ عطية الشوادفى : دراسة فى التوراة ص ٢٤ .

ولم يكتب المؤرخون المحدثون الا رسائل قصيرة عن هذه العصور وخاصة ما كتب باللغة العربية(١) .

أما العهد القديم فيتكلم عن أصل العبرانيين منذ الطوفان فيقول :

« كان الناس أمة واحدة بعد الطوفان وأن بعض مهاجرى الشرق وصلوا فى رحلتهم الى سهل سنعار » (٢).

علاقة اليهود بالعرب

ترجع علاقة اليهود بالعرب الى زمن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقد أودع الله النور الوارد من آدم عليه السلام الى ابراهيم عليه السلام ، ثم تشعب هذا النور منه على شعبين : شعب بنى اسرائيل ، وشعب فى بنى اسماعيل وكان النور المنحدر منه الى بنى اسرائيل ظاهرا ، والنور المنحدر منه الى بنى اسماعيل مخفيا ، ويستدل على الظاهر بظهور الاشخاص ، والمخفى بالمناسك والعلامات . وقبلة الفرقة الأولى : بيت المقدس ، وقبلة الفرقة الأخرى : بيت الله الحرام .

وشريعة الأولى ظواهر الأحكام ، وشريعة الثانية : رعاية المشاعر الحرام ، وكان خصماء الفريق الاول : الكافرون مثل فرعون وهامان ، ومن على شاكلتهما ، وخصماء الفريق الآخر : المشركون مثل عبدة الأصنام والأوثان .

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) سهل سنعار هو الجزء الأدنى لدجلة والفرات ويقال له : بلاد سومر ، وعُقاد وهو سهل خصب طوله سبعون ميلا ومناخه كمناخ البحر الأبيض المتوسط وفى وسطه أقيمت مدينة نيبور ، وبها أقيم برج أبليل آلهة الهواء ،وهو بناء يشبه الهرم المدرج وفى قاعدته محل العبادة والقرابين وبه غرف لرجال الدين ، وغرفة للملك باعتباره الرئيس الدينى الأعلى وفى اعلى البرج غرفة الاله وحول هذا المعبد بنيت دور العمال محاطة بسور .

راجع : لحسن مراد : مذكرات دار العلوم – نقلا عن : دراسات فى التوراة ص ٢٤ هامش ٤ .

وكان يمثل الفريق الاول اليهود والنصارى ، ويمثل الفريق الآخر المسلمون .

والكلام الآن عن اليهود والنصارى فهاتان الأمتان من كبار أمم أهل الكتاب ، وكانت أمة اليهود أكبر لأن الشريعة كانت لموسى عليه السلام وجميع بنى اسرائيل كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام احكام التوراة والانجيل النازل على المسيح عليه السلام ، وقد اشتمل على رموز وأمثال ومواعظ وزواجر ، وأما غيرها من الشرائع والأحكام فهى مأخـوذة من التوراة أى أن الانجيل لم يختص بأحكام ، ولا استنبط حلالا ولا حراما(١)

ومن هنا فان حجة اليهود فى عدم انقيادهم لعيسى عليه السلام ، انه فى نظرهم كان مأمورا بمتابعة موسى وموافقة التوراة فغير وبدل وعدوا عليه تلك التغيرات منها : تغيير السبت الى الأحد ، ومنها تغيير أكل لحم الخنزير وكان حراما فى التوراة ، ومنها الختان وغير ذلك .

والمسلمون قد بينوا أن الأمتين قد بدلوا وحرفوا ، والدليل أن عيسى عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسى عليه السلام ، وكلاهما مبشر بمقدم نبى الرحمة محمد ﷺ ويرجع السبب فى بنيان أسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة المنورة لنصرة رسول آخر الزمان فأمروهم بمهاجرة أوطانهم بالشام الى تلك القلاع والبقاع ، فلما ظهر الحق وجاء نبى آخر الزمان من الشعبة الأخرى من نسل اسماعيل تركوا نصرته فلعنهم الله .

قال سبحانه : « (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) »(٢) .

---

(١) الشهرستانى الملل والنحل ص ٤٠ هامش الفصل لابن حزم .

(٢) البقرة : ٨٩ .

وترجع تسمية اليهود الى قولهم :

هاد الرجل أى رجع وتاب ، وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام : « (إنا هدنا إليك) »(١) أى رجعنا وتضرعنا ، وهم أمة موسى عليه السلام - كما سبق - .

وكتابهم التوراة ، وهو أول كتاب نزل من السماء أعنى أن ماكان ينزل على ابراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء ماكان يسمى كتابا بل صحفا وقد ورد فى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال : « (ان الله تعالى خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده) »(٢) .

فاثبت لها اختصاصا آخر سوى سائر الكتب وقد اشتمل ذلك على أسفار فيذكر مبدأ الخلق فى السفر الاول ، ثم يذكر الاحكام والحدود والأحوال والقصص والمواعظ ، والأذكار فى سفر سفر . أما الالواح فهى مختصر لما فى التوراة يشتمل على الاقسام العلمية والعملية كما قال جل جلاله : « وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ »(٣) . (موعظة) اشارة الى تمام القسم العلمى ، « وتفصيلا لكل شئ » اشارة الى تمام القسم العملى .

افتراق اليهود :

افترق اليهود على طوائف كثيرة -كما سبق- المشهور منها طائفتان :

الطائفة الأولى : المتفق على يهوديتهم وهم القراءون . وهم وإن كانوا فرقتين : أى قرائين وربانيين فإنهم كالفرقة الواحدة ، إذ توراتهم واحدة ، ولا خلاف فى أصل اليهودية بينهم . وقد اتفق الجميع على استخراج ستمائة وثلاث عشرة (٦١٣) فريضة من التوراة يتعبدون بها .

---

(١) الاعراف : ١٥٦ .

(٢) هذا الحديث عزاه السيوطى الى الدارقطنى فى الصفات ، والخرائطى فى مساوئ الاخلاق دون غيرهما من المصادر المتفق على صحتها اشارة الى ضعفه .

راجع كنز العمال : جـ ٦ رقم ١٥١٣٦ ، ١٥١٣٧ .

(٣) الاعراف : ١٤٥ .

ثم كلهم متفقون على نبوة موسى وهارون ويوشع عليهم السلام ، وعلى نبوة ابراهيم واسحاق ويعقوب : وهو إسرائيل ، والأسباط : وهم بنوه الأثناعشر الآتى ذكرهم فيما بعد ، وهم ينفردون عن الطائفة الثانية الآتى ذكرها : وهى السامرة بنبوة أنبياء غير موسى وهارون ويوشع عليهم السلام ، وينقلون عن يوشع تسعة عشر كتابا زيادة على التوراة يعبرون عنها بالنبوات تعرف بالأول .

ثم الربانيون ينفردون عن القرائين بشروح موضوعة لفرائض التوراة المتقدمة الذكر وضعها أحبارُهم ، وتفريعات على التوراة ينقلونها عن موسى عليه السلام .

ويتفق الربانيون ، والقراءون على :

أ- أنهم يستقبلون صخرة بيت المقدس فى صلاتهم .

ب- يوجهون نحوها موتاهم .

ج- وعلى أن الله كلم موسى عليه السلام على طور سيناء .

وهو جبل فى رأس بحر القلزم فى جهة للشمال على رأس جزيرة فى آخره ، داخل بين ذراعين يكتنفانه (١) .

وهم يختلفون فى أمرين :

الأمر الأول : القول بالظاهر والجنوح الى التأويل .

فالقراءون يقفون مع ظواهر نصوص التوراة ، فيحملون ما وقع فيها منسوبا الى الله تعالى : من ذكر الصورة ، والتكلم ، والاستواء على العرش ، والنزول على طور سيناء ونحو ذلك على ظواهره ، ويشبههم فى هذا قول الظاهرية من المسلمين وينجرون من ذلك الى القول بالتشبيه والقول بالجهة .

---

(١) صبح الأعشى : جـ ١٣ ص ٢٥٧ ، والشهرستانى : الملل والنحل جـ ٢ ص ٢٠ .

والربـــانيون يذهبون الى تـــأويل ما وقـــع فى التوراة من ذلك كله ويقلدهم فى هذا الأشعرية من المسلمين(١) .

الأمر الآخر : القول بالقدر :

فالربـــانيون يقـــولون : بأن لا قدر سابق ، وأن الأمر أنف ، ويسير فى هذا الخط القدرية من المسلمين .

والقراءون يقولون : بسابق القدر ، الذى تقول به الأشاعرة .

أما ما عدا هذا فكلا الفريقين يتفقون فى :

أ- أن الله تعالى قديم أزلى واحد قادر .

ب- انه تعالى بعث موسى بالحق ، وشد أزره بأخيه هارون .

ج- يعظمون التوراة التى هى كتابهم أتم التعظيم ، حتى أنهم يقسمون بها كما يقسم المسلمون بالقرآن الكريم .

د- يعظمون العشر كلمات التى أنزلت على موسى عليه السلام فى الألواح الجوهر وهى مختصر مافى التوراة ، مشتملة على أوامر ونواه وسماع كلام الله تعالى ، ويحلفون بها ، كما يحلفون بالتوراة .

هـ - يعظمون قبة الزمان وماحوته : وهى القبة التى كان ينزل على موسى عليه السلام فيها الوحى ، كما سبق .

ومن أعظم أنواع الكفر عندهم تعبد فرعون وهامان لعنهما الله .

(وكان اسم فرعون موسى فيما ذكره المفسرون : الوليد بن مصعب ، وقيل :

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٧

مصعب بن الريان ، واختلف فيه : فقيل كان من العمالقة . وقيل من النبط . وقال مجاهد: كان فارسيا ، وهامان وزيره) .

والتبرى من إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام ، ومعنى اسرائيل فيما ذكره المفسرون : عبد الله كأن « إسرا » عبد ، و« إيل » اسم الله تعالى بالعبرانية ، وقيل : إسرا من السر ، وكأن إسرائيل هو الذى شدده الله وأتقن خلقه .

ومن أعظم العظائم عندهم :

أ- الأخذ بدين النصرانية .

ب- وتصديق مريم عليها السلام فى دعواها أنها حملت من غير أن يمسها بشر .

جـ- ويرمون السيدة مريم بأنها حملت من يوسف النجار وهو رجل من أقاربها كان يخدم بيت المقدس معها ، ويرون تبرئتها من ذلك جريرة لا تغتفر .

ويستعظمون الوقوع فى أمور منها :

١- القول بإنكار خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام وسماعه له .

٢- تعمد طور سيناء الذى كلم الله تعالى موسى عليه بالقانورات ، ورمى صخرة بيت المقدس التى هى قبلتهم بالنجاسة ، ومشاركة بختنصر فى هدم بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل ، والقاء العذرة على مظان أسفار التوراة .

٣- الشرب من النهر الذى ابتلى به قوم طالوت ملك بنى اسرائيل ، والميل الى جالوت ملك الكنعانيين : وهو الذى قتله داود عليه السلام ، ومفارقة شيعة طالوت الذين قاموا معه على جالوت[1] .

وذلك أنه لما رفعت التوراة وتسلط على بنى اسرائيل عدوهم من الكنعانيين الذين ملكهم جالوت ، كانت النبوة حينئذ فيهم فى شمعون ، وقيل فى شمويل ، وقيل فى يوشع

---

(١) صبح الأعشى : جـ ١٣ ص ٢٥٩ .

بن نون ، فقالوا له : إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ، فقال لهم ما أخبرالله تعالى به :

« إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا »[1].

ولم يكن من سبط المُلك ، إذ كان الملك من سبط معروف عندهم ، فقيل : كان سقاء ، وقيل : كان دباغا ، فأنكروا ملكه عليهم ، وقالوا : كما أخبر الله تعالى :

« أنى يكون له الملك علينا ؟ »[2] .

فلما فصل طالوت بالجنود أراد الله تعالى أن يريه من يطيعه فى القتال ممن يعصه فسلط عليهم العطش وابتلاهم بنهر من حولهم ، قيل : هو نهر فلسطين ، وقيل : نهر بين الأردن وفلسطين ، فقال لهم طالوت : « إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين .

ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء »[3] .

٤– انكار الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إليهم : وهم موسى وهارون ، ويوشع ومن بعدهم من أنبيائهم عليهم السلام ومن قبلهم : من ابراهيم واسحاق ويعقوب صلوات الله عليهم والأسباط الاثنى عشر الآتى ذكرهم والدلالة على دانيال النبى عليه السلام حتى قتل ، واخبار فرعون مصر بمكان ارمياء النبى عليه السلام عند اختفائه بها ، والقيام مع البغى والفواجر يوم قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فى المساعدة عليه .

(١) البقرة : ٢٤٧ .

(٢) البقرة : ٢٤٧ .

(٣) البقرة : ٢٤٩ – ٢٥١ .

ومن الامور التى يستعظمون الوقوع فيها ايضا :

ا- القول بأن النار التى أضاءت لموسى عليه السلام من شجرة العوسج بالطريق عند مسيره من مدين حتى قصدها وكانت وسيلة الى كلام الله تعالى له نار إفك لاوجود لها ، وكذلك أخذ الطرق على موسى عليه السلام عند توجهه الى مدين فارا من فرعون ، والقول فى بنات شعيب اللاتى سقى لهن موسى عليه السلام بالعظائم ، ورميهن بالقبيح .

ب- الاجلاب والحشد مع سحرة فرعون على موسى عليه السلام والقيام معهم فى غلبته ، والتبرى ممن آمن منهم بموسى عليه السلام .

حـ- قول من قال من آل فرعون : اللحاق اللحاق لندرك من فر : من موسى وقومه عند خروجهم كما أخبر الله سبحانه عن ذلك بقوله :

« فأتبعوهم مشرقين . فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون » .(١)

د- الاشارة بتخليف تابوت يوسف عليه السلام بمصر حين أراد موسى عليه السلام نقله الى الشام ليدفنه عند آبائه : إبراهيم واسحاق ويعقوب وذلك أنهم جعلوا تابوته فى أحد شقى النيل فأخصب وأجدب الجانب الآخر ، فحولوه الى الجانب الآخر فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الاول فجعلوه وسط النيل فأخصب جانباه جميعا ، الى أن كان زمن موسى عليه السلام وضرب النيل بعصاه فانفلق عن التابوت ، فأخذ فى نقله الى الشام ليدفنه عند آبائه ، فأشار بعضهم ببقائه بمصر فوقع فى محظور لمخالفة موسى عليه السلام فيما يريده .(٢)

هـ- التسليم للسامرى وتصديقه على الحوادث التى أحدثها فى اليهودية .

---

(١) الشعراء : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٦٠ .

و- نزول أريحا : مدينة الجبارين من بلاد فلسطين ، والرضا بفعل سكنة سدوم من بلاد فلسطين أيضا وهم قوم لوط .

ز- مخالفة أحكام التوراة التى ورد الحث فيها عليها ، واستباحة السبت بالعمل فيه والعدو فيه : إذ استباحته عندهم توجب هدر دم مستبيحه من حيث إنه مسخ من مسخ باستباحته قردة وخنازير ، والله سبحانه يقول :

« وقلنا لهم لاتعدو فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » .

ح- انكار عيد المظلة وهو سبعة أيام أولها الخامس عشر من تشرى ، وعيد الحنكة وهو ثمانية أيام يوقدوم فى الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا وفى الليلة الثانية سراجين وهكذا حتى يكون فى الليلة الثامنة ثمانية سرج وهما من أعظم أعيادهم .

ط- القول بالبدء على الله فى الأحكام ، وهو أن يخطر له غير الخاطر الأول وهو تعالى منزه عن ذلك ، ورتبوا عليه منع نسخ الشرائع ، ويزعمون أن النسخ يستلزم البداء ، وهو مما اتفق كافة اليهود على منعه .

ى- اعتقاد أن المسيح عليه السلام هو الموعود به على لسان موسى عليه السلام المذكور بلفظ المشيحا وغير ذلك ، ويستعظمون الانتقال من دين اليهودية الى ماسواها من الأديان ، إذ عندهم أن شريعة موسى عليه السلام هى التى وقع بها الابتداء وبها وقع الاختتام .(1)

ومن الامور التى يستعظمون الوقوع فيها :

١- الانتقال من اليهودية الى ماعداها من الأديان : كالاسلام والنصرانية وغيرهما فإنه يكون بمثابة المرتد عند المسلمين .

---

(1) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٦١ .

٢- استباحة اكل لحم الجمل ، فإنه محرم عندهم ، ومن استباحه فقد ارتكب محظورا عظيما عندهم ، وقد دخل ذلك فى عموم قوله تعالى إخبارا بما حرم. عليهم :

« وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » .

يعنى ماليس بمنفرج الأصابع كالإبل وما فى معناها ، وكذلك استباحة أكل الشحم خلا شحم الظهر ، وهو ماعلا فإنه مباح لهم ، وعن ذلك أخبر الله تعالى بقوله :

« ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما » .

٣- استباحة أكل الحوايا .

قال ابن عباس رضى الله عنه وغيره : هى المباعر .

وقال أبو عبيدة : هى ماتحوى من البطن أى استدار ، والمراد شحم الثرب .

وكذلك استباحة ما اختلط من الشحم بعظم وهو شحم الألية ، وعنه أخبر تعالى بقوله :

« أو الحوايا أو مااختلط بعظم » عطفا على الشحوم المحرمة .

على أن بعض المفسرين قد عطف قوله تعالى :

« أو الحوايا أو ما اختلط بعظم » على المستثنى فى قوله : « إلا ماحملت ظهورهما » فحمله على الاستباحة ، والموافق لما يدعونه : الأول ، ويرون أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا : لم يحرم علينا شئ إنما حرم اسرائيل على نفسه الثرب وشحم الألية فنحن نحرمه فنزلت .

على أن اليهود القرائين والربانيين يجملونها فيبيعونها ويأكلون ثمنها ، ويتأولون أن آكل ثمنها غير آكل منها وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « قاتل الله اليهود»

حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها » .

وفرقة السامرة يخالفونهم فى ذلك ، ويقولون بتحريم الثمن أيضا والقراءون والربانيون يحرمون من الذبيحة كل ماكانت رئته ملتصقة بقلبه أو بضلعه ، والسامرة لايحرمون ذلك .

٤- مقالة أهل بابل فى ابراهيم عليه السلام وهى قولهم :

« إنه لمن الظالمين فى تكسير أصنامهم » .

٥- أن يحرم الأحبار الذين هم علماؤهم على الواحد منهم بمعنى أنهم يمنعونه من مباحاتهم فى المآكل والمشارب ، والنكاح ، وغير ذلك يجمعون عليها ، وتتأكد بقلب حصر الكنائس عليها ، إذ من عادتهم أنهم إذا حرموا على شخص ، وارادوا التشديد عليه قلبوا حصر الكنائس عند ذلك التحريم تغليظا على المحرم عليه .

٦- الرجوع الى التـيه بعد الخـروج منه ، فإنهـم إنما خرجوا إليه . عند سخط الله تعالى عليهم بمخالفة موسى عليه السلام عند امتناعهم عما امروا به من قتال الجبارين ، كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله :

« قال : فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » .

قال المفسرون : وكان تيههم ستة فراسخ فى أربعة فراسخ(١) ، يمشون كل يوم ويبيتون حيث يصبحون ، فأمر الله تعالى موسى عليه السلام ، فضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وكانوا اثنى عشر سبطا لكل سبط عين ، فإذا أخذوا حاجتهم من الماء احتبس وحملوا الحجر معهم ، وكانت ثيابهم فيما يروى لاتخرق ولاتتنفس وتطول كلما طال الصبيان .(٢)

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال والميل = ١٦٠٩ من الأمتار . راجع المعجم الوسيط مادة مال .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٢ ، ٢٦٣

٧- تحريم المن والسلوى الذى امتن الله تعالى عليهم به كما أخبر بذلك رب العالمين بقوله : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى » .

ويقال : إنه الترنجبين .

وقال ابن عباس : والمراد بالمَنّ الذى يسقط على الشجر وهو معروف .

قال قتادة : كان المن يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كسقوط الثلج ، فيأخذ الرجل منهم مايكفيه ليومه فإن أخذ أكثر من ذلك فسد وأما السلوى فقيل : هى طائر كالسمانى .

وقال الضحاك : هى السمانى نفسُها .

وقال قتادة : هى الطائر إلى الحمرة كانت تحشره عليهم الجنوب .

٨- التبرؤ من الأسباط وهم أولاد يعقوب عليهم السلام وعددهم اثنا عشر سبطا :

وهم : يوسف ، بنيامين ، نفتالى أو نفتاى ، وروبيل ، ويهوذا ، وشمعون ، ولاوى ، ودان ، وزبلون أو ربولى ويشجر ، وجاد ، وأشر ، ومنهم تفرع جميع بنى اسرائيل ولَدَ كلٌ منهم أمة من الناس وسموا أسباطا أخْذا من السّبط وهو التتابع ، إذ هم جماعة متتابعون .

وقيل : من السَّبَط وهو الشجر ، فالسبط الجماعة الذين هم أصل واحد .

٩- القعود عن حرب الجبارين مع القدرة على حربهم : وذلك أنهم أمروا بدخول الأرض المقدسة : وهى بيت المقدس فيما قاله ابن عباس والسدى وغيرهما ، والشام فيما قاله قتادة ، ودمشق وفلسطين ، وبعض الأردن فيما قاله الزجاج ، وأرض الطور فيما قاله مجاهد ، وكان فيها قوم جبارون من العمالقة كما أخبر الله تعالى ، والجبار هو المتعظم الممتنع من الذل والقهر أخذا من الإجبار : وهو الإكراه كأنه يجبر غيره على مايريد .

قال ابن عباس :

لما بعث موسى عليه السلام من قومه اثنى عشر نقيبا ليخبروه خبرهم ، رآهم رجل من الجبارين فأخذهم فى كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه وجاء بهم إلى الملك فنثرهم بين يديه وقال :

إن هؤلاء يريدون قتالنا[1] ، وكان من أمرهم ماقصه المولى عز وجل فى محكم تنزيله بقوله :

« وإذ قال موسى لقومه ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا : يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .

قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . قال : رب إنى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين [٢] .

فكان فى قعودهم عن حرب الجبارين مع القدرة والنشاط مخالفة لما أمروا به .

فرقة القرائين :

مكثت هذه الفرقة هادئة نحو ستمائة سنة ، ثم ظهرت فى بغداد حوالى القرن الثامن الميلادى فى خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، ومن تعاليمهم أنهم :

١- لا يقدسون غير التوراة ، وعلى هذا فهم موافقون السامريين .

٢- يفسرونها بالعقل ، فاتحين باب الاجتهاد .

(١) المرجع السابق ص ٢٦٤ .

(٢) المائدة : ٢٠ - ٢٥ .

٣- يعتبرون التلمود مجموعة آراء المفكرين من اليهود القدماء .

٤- « يقولون » : (عزير بن الله) دون سائر اليهود[١] .

٥- بينهم وبين الربانيين مخالفة فى :-

أ- المعاملات .

ب- الاحوال الشخصية .

جـ الميراث .

د- المواسم والأعياد .

وهم أقل عددا من اليهود الربانيين ، ويوجدون فى شرق تركيا وروسيا الشرقية بكثرة[٢] ، واندمجت فيهم فرقة الاسينيين التى كانت ذات صبغة فلسفية ، واتصلت تعاليمها بالنصرانية ، والاسلام ، ومزجتها بالرواقية[٣] ، والاشتراكية ، وكانوا يقيمون حول البحر الميت ، وتعد هذه أشهر فرق اليهود الحديثة ، ويظهر الفرق بينهم جليا فى :-

(أ) صلب العقيدة .

(ب) العبادات والطقوس .

(جـ) المعاملات .

(د) عدم التوفيق بين آرائها .

(هـ) هذه الفرق ظهرت متأخرة .

(و) مما ينبغى ملاحظته الاختلاف الواقع فى العهد القديم ، بين أتباعه اختلافا يجعل الباحث فى شك مريب[٤] منه ، فيصرف النظر عن الاعتماد عليه ، وهذا ما يجعل العقيدة غير مستقرة لديهم ، وغير محترمة عند غيرهم .

---

(١) الفصل لابن حزم جـ ١ ص ٩٨ .

(٢) و(٣) انظر : دراسات فى التوراة ص ٦٣ .

(٤) انظر دراسات فى التوراة ص ٦٣ .

الطائفة الثانية

من اليهود السامرة

هم أتباع السامري الذى أخبر الله سبحانه عنه بقوله :

« وأضلهم السامرى » . طه : ٨٥ .

قال بعض المفسرين : كان اسمه موسى بن ظفر ، وأصله من قوم يعبدون البقر فرأى جبريل عليه السلام مرة وقد جاء إلى موسى عليه السلام راكبا على فرس الحياة ، فأخذ قبضة من تراب تحت فَرَسه ، وكان بنو اسرائيل قد خرجوا معهم حُلِيّ استعاروه من القبط ، فأمرهم هارون أن يحفروا حفرة ويلقوا فيها ذلك الحلى حتى يأتى موسى فيرى فيه رأيه ، فجمعوا ذلك الحلى كله ، وألقوه فى تلك الحفرة فجاء السامرى فألقى ذلك التراب عليه ، وقال له :

كن عجلا جسدا له خوار ، فصار كذلك . قال الحسن : صار حيوانا لحما ودماً وقيل : بل صار يخور ولم تنقلب صورته .

فقال السامرى : هذا إلهكم وإله موسى ، فعكفوا على عبادته ، ونهاهم هارون فلم ينتهوا فجاء موسى عليه السلام وحرق العجل وذراه فى اليم كما أخبر الله سبحانه بقوله: « وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا »[١] . فأمروا بقتل أنفسهم كما أخبر تعالى بقوله :

« فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » الآية ، فقتل منهم سبعون ألفا ثم رفع عنهم القتلُ بعد ذلك .

---

(١) طه : ٩٧

حقيقة السامرة :

اختلف فى حقيقة هذه الطائفة هل هم من اليهود أم لا ؟ والقراءون والربانيون ينكرون كون السامرة من اليهود . وقد قال الشافعية رحمهم الله : إنهم إن وافقت أصولهم أصول اليهود فهم منهم حتى يقروا بالجزية وإلا فلا .

الأمور التى اختصت بها السامرة :

أ- أن لهم توراة غير التى بيد القرائين والربانيين ، والتوراة التى بيد النصارى .

ب- ينكرون أى نبوة من بعد موسى ماعدا هارون ويوشع عليهما السلام .

جـ- يتوجهون فى صلاتهم إلى طور نابلس ، ويوجهون إليه موتاهم لأنه فى زعمهم الذى كلم الله تعالى موسى عليه .

د- يزعمون أن الله تعالى أمر داود عليه السلام ببناء بيت المقدس عليه فخالف وبناه بالقدس : قاتلهم الله أنى يؤفكون . وهم قائلون أيضا :

إن الله تعالى هو خالق الخلق البارئ لهم ، وإنه قادر قاهر قديم أزلى . ويوافقون على نبوة موسى وهارون عليهما السلام ، وأن الله تعالى أنزل عليه التوراة ، وأنزل عليه الألواح الجوهر المتضمنة للعشر كلمات(١) .

---

(١) المسمات بالوصايا العشر وهى :

أولا : أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، ولا يكن لك آلهة أخرى أمامى

ثانيا : لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، واصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى .

ثالثا : لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا .

رابعا : اذكر يوم السبت ومعنى السبت راحة لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملا ما .

خامسا : أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك . =

هـ- يقرون أن الله تعالى هو الذى انقذ بنى اسرائيل من فرعون ونجاهم من الغرق ويقولون : إنه نصب طور نابلس المقدم ذكره قبلة للمتعبِّد .

ومن الأمور التى تستعظمها السامرة :

١- الكفر بالتوراة التى هم يعترفون بها ، والتبرى من موسى عليه السلام دون غيره من بنى اسرائيل .

٢- دك جبل طور نابلس ، وقلع آثار البيت الذى عُمر به ، ويستعظمون استباحة السبت كبقية اليهود .

٣- يوافقون القرائين فى الوقوف مع ظواهر نصوص التوراة وعدم القول بالتأويل كما ينكرون صحة توراة القرائين والربانيين .

٤- يقولون لامِسَاس : بمعنى أنه لايمس أحدا ولايمسه .

قال فى الكشاف : كان إذا مس أحدا أو مَسّه أحد حصلت الحمى للماس والممسوس . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام للسامرى : « اذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامِسَاس »

٥- يستعظمون السعى إلى الخروج إلى الأرض التى حرم عليهم سكناها وهى مدينة أريحا .

= سادسا : لا تقتل .
سابعا : لا تزن .
ثامنا : لا تسرق .
تاسعا : لا تشهد على قريبك شهادة زور .
عاشرا : لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئا مما لقريبك .
خروج ٢٠ ، راجع سوسنة سليمان فى أصول العقائد والأديان ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

٦- انكار خلافة هارون عليه السلام وهذا من أعظم الأمور عندهم .

أما ما يحرمونه فهو :

أ- الذبائح .

ب- أكل اللحم مختلطا بلبن ، زاعمين أن فى توارتهم النهىّ عن أكل لحم الجدى بلبن أمه[1] .

---

(١) صبح الأعشى .. جـ ١٣ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

الكلام عن المسيحيين وفرقهم

سبق الكلام على اليهود وفرقهم ، وكان من جملة الكلام أن الله إله لكل الناس وليس لليهود فقط كما أطلقوا على أنفسهم ، ولذلك لم تكن دائرة الديانة المسيحية ضيقة بحيث تنحصر فى أهل بيت واحد كالديانة اليهودية المنحصرة فى بيت اسرائيل ، وهى تنقسم إلى ثلاثة أفرع أصلية :

الأول : الكنيسة الكاثوليكية ، ورئيسها بابا روما .

الثانى : الكنيسة الأرثوذكسية ، وهى الكنيسة اليونانية .

الثالث : الكنيسة الانجيلية وهى الكنيسة – البروتستانتية ، ولكل من هذه الفروع أقاليم متسعة فى الأرض يجمعهم فى الاعتقاد دستور إيمانهم ونصه :

« نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل مايُرى وما لايُرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر الذى به كان كل شئ الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء .

وتأنس ، وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر ، وقام فى اليوم الثالث على مافى الكتب ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب .

وأيضا يأتى يسجد ليدين الأحياء والأموات الذى لافناء لملكه . وبالروح القدس الرب المحى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن يُسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء . وبكنيسة جامعة مقدسة رسولية .

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، ونترجى قيامة الموتى والحياة فى الدهر العتيد أمين »[1] .

---

(١) سوسنة سليمان .. ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

ولا خلاف بين هذه الفروع الثلاثة سوى بين الكاثوليكيين ، والروم فى قضية انبثاق الروح القدس ، فإن الكاثوليكيين يقولون المنبثق من الآب والابن الذى هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد .

وأما الانجيليون فيقولون بالدستور الذى ألفه المجمع النيقاوى المسكونى هذا فحواه :

« نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل مايُرى وما لايرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، مساوى للآب فى الجوهر الذى به كان كل شئ الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر ، وقام فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء عن يمين الرب ، وأيضا يأتى بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذى لافناء لملكه ، وبالروح القدس الرب المحى الذى هو مع الآب والابن يُسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء ، ونترجى قيامة الموتى والحياة فى الدهر العتيد آمين »[1] .

هذا هو مايؤمن به أكثر النصارى ، وهذه عقيدتهم التى اتفقوا عليها فيما بينهم ، وكما هو ملاحظ فإن هذا القانون من تأليف جمع من البشر من رعاة الكنيسة ، ومن ثم ظهر الخلاف بينهم حول حقيقته .

والنصارى إحدى فرق اليهود ، فماذا تعرف عنهم ؟

النصارى أمة عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته (عليه السلام) .

هو المبعوث حقا بعد موسى « عليه السلام ، والمبشر به فى التوراة وكانت له آيات ظاهرة ، وبينات واضحة ، ودلائل ساطعة . مثل :

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

إحياء الموتى[1] ، وابراء الأكمه – الأكـمه ، والكمهاء : العمى ، يولد عليـه الانسان ، أو يـكون نتيـجة مرض – وكذلك الأبرص ، أما عيسى عليه السلام فنفس وجوده ، وخلقته آية ، وعلامة كاملة على صدقه .

وذلك بسبب وجوده فى بطن أمه من غير نطفة سابقة ، ونطقة البين من غير تعليم سالف . وجيمع الأنبياء كان بلاغ وحيهم عند تمام الأربعين ، أما هو فقد أوحى الله إليه انطاقا فى المهد ، وأوحى إليه ابلاغا عند الثلاثين وهذه من نعم الله سبحانه على عيسى عليه السلام : « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل » الزخرف : ٥٩ .

وكانت مدة دعوته : ثلاث سنين ، وثلاثة أشهر ، وثلاثة أيام .

---

(١) الحكمة فى كون معجزاته عليه السلام من هذا النوع :
أنه كانت معجزة كل نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى (عليه السلام) كانت معجزاته بما يناسب أهل زمانه ، وكانوا سحرة أذكياء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار ، وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهيى إليه وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذى لا يمكن صدوره الا عمن أيده الله وأجرى الخوارق على يديه تصديقا له أسلموا سراعا ولم يتلعثموا : هكذا عيسى ابن مريم بعث فى زمن الطبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها ، وأنى لحكيم ابراء الأكمة الذى هو أسوأ حالا من الأعمى والأبرص والمجنوم ، ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ، وغير هذا مما يعلم كل أحد أنه معجزة دالة على صدق من قامت به ، وعلى قدرة من أرسله ، وهكذا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعليهم أجمعين بعث فى زمن الفصحاء البلغاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلفظه معجز تحدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة وقطع عليهم بأنهم لايقدرون لا فى الحال ولا فى الاستقبال ، فلم يفعلوا ، ولن يفعلوا ، وما ذاك الا لأنه كلام الخالق عز وجل ، والله لايشبهه شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ..
(راجع للأمام ابن كثير : البداية والنهاية).
فيستفاد مما سبق أن معجزة المسيح (عليه السلام) كانت من نوع ابراء المرضى الذين يتعذر شفاؤهم ، واحياء الموتى ، لأن القوم كانوا على علم بالطب الطبيعى ، هذا بالاضافة إلى أنهم كانوا فلاسفة فى ذلك ، فجاءت المعجزة من جنس ما يعرفون ليكون عجزهم حجة عليهم ، وعلى غيرهم ممن هم دونهم فى معرفة الطب .
(راجع للشيخ محمد أبى زهرة : محاظرات فى النصرانية) ..

متى بدأ الاختلاف عند النصارى ؟

الجواب :

عندما رفع عيسى (عليه السلام) إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه ويرجع هذا الاختلاف إلى أمرين :

الأمر الأول : كيفية نزوله ، واتصاله بأمه ، وتجسد الكلمة .

الأمر الثانى : كيفية صعوده ، واتصاله بالملائكة ، وتوحد الكلمة .

أما الأول : فإنهم قضوا بتجسد الكلمة ، ولهم فى كيفية الاتحاد والتجسد كلام :

فمنهم من قال : أشرق على الجسد اشراق النور على الجسم المشف .

ومنهم من قال : أنطبع فيه انطباع النقش فى الشمعة .

ومنهم من قال : ظهر به ظهور الروحانى بالجسمانى .

ومنهم من قال : مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء ، والماء اللبن .

ونتج عن هذا الاختلاف مايلى :

(١) أثبتوا لله تعالى أقانيم[١] ثلاثة :

قالوا : البارى سبحانه جوهر[٢] واحد ، يعنون به القائم بالنفس ، لا التحيز ، والحجمية . فهو واحد بالجوهرية ، ثلاث بالأقنومية ، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود ، والحياة والعلم . وسموها : الأب ، والابن ، وروح القدس ، وانما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم .

(٢) قالوا فى الصعود : أنه قتل وصلب ، قتله اليهود حسدا وبغيا ، وانكارا لنبوته ودرجته ، وأن القتل الذى حل به لم يقع على الجزء اللاهوتى وانما وقع على الجزء الناسوتى .

---

(١) الأقنوم : الجوهر والأصل والشخص ، والكلمة من الدخيل . المعجم الوسيط مادة الأقنوم .

(٢) الجوهر : جوهر الشئ : حقيقته وذاته ، وفى الفلسفة ما قام بنفسه ، والعرض : ماقام بغيره . المعجم الوسيط مادة الجوهر .

(٣) قالوا : وكمال الشخص الانسانى فى ثلاثة أشياء :

نبوة ، وإمامة ، وملكة .

وغيره من الأنبياء كانوا موصوفين بهذه الصفات الثلاث أو ببعضها .

والمسيح (عليه السلام) درجته فوق ذلك عندهم ، لأنه الابن الوحيد فلا نظير له ، ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء ، وهو الذى به غفر زلة آدم عليه السلام ، وهو الذى يحاسب الخلق كما يدعون ويرجفون .

وكما اختلفوا فى رفع عيسى (عليه السلام) اختلفوا فى نزوله :

(١) فمنهم من قال : ينزل قبل يوم القيامة ، كما قال أهل الاسلام .

(٢) ومنهم من يقول : لا نزول له الا يوم الحساب .

وأنه بعد قتله وصلبه نزل ، ورأى شخصه شمعون الصفا ، وكلمه ، وأوصى إليه ، ثم فارق الدنيا إلى السماء ، فكان وصية شمعون الصفا ، وهو أفضل الحواريين علما وزهدا وأدبا .

غير أن فولوس شوش أمره ، وصير نفسه شريكا له ، وغير أوضاع كلامه ، وخلطه بكلام الفلاسفة ، ووسوس خاطره[١] .

رسالة الفولوس التى كتبها إلى اليونانيين : قال فيها :

انكم تظنون أن مكان عيسى عليه السلام كمكان سائر الأنبياء ، وليس كذلك ، بل أنما مثله مثل : « ملكيزداق » وهو ملك السلام الذى كان ابراهيم عليه السلام يعطى إليه العشور ، وكان يبارك على ابراهيم ، ويمسح رأسه ، ومن العجب ، أنه نقل فى الأناجيل أن الرب تعالى : قال : إنك أنت الابن الوحيد ، ومن كان وحيداً كيف يمثل بواحد من البشر ؟

---

(١) الملل والنحل : جـ ٢ ص ٢٥ وما بعدها .

كيفية تدوين الأناجيل :

قام أربعة من الحواريين وجمع كل واحد منهم جمعا سماه الأنجيل ، ونسبه إلى نفسه وهم : « متى ، ولوقا ، ومارقوس ، ويوحنا » .

وفى خاتمة انجيل « متى » يقول :

« إنى أرسلكم إلى الأمم كما أرسلنى أبى إليكم ، فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الرب والابن ، وروح القدس . ففى هذا النص اعتراف صريح بأن المسيح عليه السلام مرسل من قبل الله عز وجل فكيف يكون إلهاً أو ابن إله ؟

وفى مقدمة انجيل « يوحنا » :

على القديم الأزلى قد كانت الكلمة وهو ذا الكلمة كانت عند الله ، والله هو كان الكلمة وكل كان بيده .

اشتقاق كلمة النصرانية :

اختلف فى اشتقاق هذه التسمية ، فقيل : أخذا من قول المسيح عليه السلام للحواريين : « من أنصارى إلى الله » .

وقيل : من نزوله هو وأمّه - بعد عودها به من مصر - بالناصرة : وهى قرية من بلاد فلسطين من الشام : وقيل غير ذلك .

والنصارى : أمة عيسى عليه السلام - كما سبق - وكتابهم الانجيل ، وقد اختلف فى اشتقاقه على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه مأخوذ من قولهم : نجلتُ الشئ إذا أخرجْته بمعنى أنه خرج به دارسٌ من الحق .

ثانيها : أنه مأخوذ من قولهم تناجل القومُ إذا تنازعوا ، لأنه لم يقع فى كتاب من الكتب المنزلة مثل التنازع الواقع فيه .

ثالثها : أنه مأخوذ من النّجْل بمعنى الأصل : لأنه أصلُ العلم الذى أطْلَع الله تعالى فيه خليقته عليه ، ومنه قيل للوالد نجْلُ : لأنه أصل لولده .

ثم ذكر هذه الاشتقاقات جنوح من قائلها إلى أن لفظ الإنجيل عربى ، والذى يظهر أنه عبْرانى : لأن لغة عيسى عليه السلام كانت العبرانية ، والإنجيل : كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام وهى كلمة يونانية معناها : البشارة[1] .

اتفاق النصارى :

إعلم أن النصارى بجملتهم مجمعون على أن مريم حملت بالمسيح عليه السلام ، وولدته ببيت لحم من بلاد القدس من الشام ، وتكلم فى المهد ، وأن اليهود حين أنكروا على مريم عليها السلام ذلك فرت بالمسيح عليه السلام إلى مصر ، ثم عادت به إلى الشام ، وعمُره اثنا عشرة سنة ، فنزلت به القرية المسماه ناصرة ..

وفى آخر أمره قبض عليه اليهود وسعوا به إلى عامل قيصر ملك الروم على الشام ، فقتله وصلبه يوم الجمعة ، وأقام على الخشبة ثلاث ساعات ، ثم استوهبه رجل من أقارب مريم اسمه يوسف النجار من عامل قيصر ، ودفنه فى قبر كان أعده لنفسه فى مكان الكنيسة المعروفة الآن بالقُمامة بالقدس ، وأنه مكث فى قبره ليلة السبت ، ونهار السبت وليلة الأحد ، ثم قام من صبيحة يوم الأحد ، ثم رآه بطرس الحوارىُّ وأوصى إليه وأن أمه جمعت له الحواريين فبعثهم رسلا إلى الأقطار للدعاية إلى دينه - كما يقولون - وهم فى الأصل اثنا عشر حواريا :

---

(١) المعجم الوسيط مادة : الانجيل .

والحواريون هم : بطرس ويقال له : سمعان ، وشمعون الصفا أيضا(1) .

وأندراوس وهو أخو بطرس المقدم ذكره ، ويعقوب بن زيدى ، ويوحنا الانجيلى ، وهو أخو اندراوس ، وفيلبس ، وبرتلوماوس ، وتوما : ويعرف بتوما الرسول ، ومتى ويعرف بمتى العشار .

ويعقوب بن حلفا ، وسمعان القنانى ويقال له : شمعون أيضا ، وبولس ويقال له : تداوس ، وكان اسمه فى اليهودية شاول ، ويهوذا الاسخريوطى (وهو الذى دل يهود على المسيح حتى قبضوا عليه بزعمهم) .

وقام مقامه بنيامين ، ويقولون : إنه بعد أن بعث من بعث من الحواريين صعد إلى السماء . وهم متفقون على أن أربعة من الحواريين تصدوا لكتابة الإنجيل :

وهم : بطرس ، ومتى ، ولوقا ، ويوحنا . فكتبوا فيه سيرة المسيح من حيث ولادته إلى حين رفعه ، وكتب كل منهم نسخة على ترتيب خاص بلغة من اللغات .

كتب بطرس إنجيله باللغة الرومية فى مدينة رومية قاعدة بلاد الروم ، ونسبه إلى تلميذه مُرقس أو لبطاركة الإسكندرية ، ولذلك يعرف بمُرقس الإنجيلى ، وقيل :

إن الذى كتبه مرقس نفسه . وكتب متى إنجيله بالعبرانية فى بيت المقدس ونقله بعد ذلك يوحنا بن زيدى إلى اللغة الرومية .

وكتب لوقا إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض أكابر الروم ، وقيل : بل كتبه باليونانية بمدينة الإسكندرية .

وكتب يوحنا إنجيله باليونانية بمدينة أفسس ، وقيل مدينة رومية قال الشهرستانى :

وخاتمة أنجيل متى : « إنى أرسلكم إلى الأمم كما أرسلنيى أبى إليكم ، فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس » .

---

(1) صبيح الأعشى .. ص ١٣ ، ٢٧١ .

ثم اجتمع برومية من توجه إليها من الحواريين ودونوا قوانين دين النصرانية على يد أقليمش تلميذ بطرس الحوارى ، وكتبوا عدد الكتب التى يجب قبولها والعملُ بمقتضاها ، وهى عدة كتب :

منها : الأناجيل الأربعة المتقدمة الذكر ، والتوراة التى بأيديهم ، وجملة كتب من كتب الأنبياء الذين قبْل المسيح عليه السلام كيوشع بن نون ، وأيوب ، وداود ، وسليمان عليهم السلام وغيرهم(١) .

ثم لما مات الحواريون أقام النصارى لهم خلائف عُبِّر عنهم بالبطاركة جمع بطرك ، وهى كلمة يونانية مركبة من لفظين : بَطْر ، يَرْك .

مقاعد البطاركة :

كان للبطاركة فى القديم خمسة مقاعد أو كراسى لكل كرسى منها بطرك .

الأول منها : بمدينة رومية ، والقائم به خليفة بطرس الحوارى المتوجه إليها بالبشارة .

والثانى : بمدينة الإسكندرية ، والقائم به خليفة مرقس تلميذ بطرس الحوارى السابق ذكره وخليفته بها .

والثالث : بمدينة برنطية : وهى القسطنطينية .

والرابع : بمدينة أنطاكية وهى من العواصم التى هى فى مقابلة حلب الآن .

والخامس : بالقدس ، وكان أكبر هذه الكراسى الخمسة كرسى رومية لكونه محل خلافة بطرس الحوارى ، ثم كرسى الإسكندرية ، لكونه كرسى مرقس خليفته(٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٣ .
(٢) صبح الأعشى : جـ ١٣ ، ص ٢٧٤ .

ألقاب أصحاب الوظائف الدينية :

أصطلح القائمون على أمر الديانة النصرانية على اطلاق هذه الوظائف على أربابها : فعبروا عن صاحب المذهب بالبطريق .

وعن نائب البطرك بالأسقف ، وقيل : الأسقف عندهم بمنزلة المفتى .

وعن القاضى بالمطران ، وعن القارئ بالقسيس ، وعن صاحب الصلاة وهو الإمام بالجاثليق ، وعن قيّم الكنيسة بالشماس ، وعن المنقطع إلى المولى للعبادة بالراهب .

وكانت الأساقفة يسمون البطرك أبا ، والقسوس يسمون الأسقف أبا فوقع الاشتراك عندهم فى اسم الأب فوقعوا فى اللبس ، فاخترعوا لبطرك الاسكندرية اسم الباب ، ويقال فيه البابا ، ومعناه عندهم : أبو الآباء : لتمييز البطرك عن الأسقف فاشتهر بهذا الإسم ثم نقل اسم الباب إلى بطرك رومية لكونه خليفة بطرس الحوارىّ ، وبقى اسم البطرك على بطرك الاسكندرية ، وغيره من أصحاب الكراسى(١) . هؤلاء هم الذين أقامهم النصارى خلائف للحواريين .

اجماع النصارى على عقيدة واحدة :

أجمع النصارى على أن الله تعالى واحد بالجوهر ثلاثة بالأقنومية ، ويفسرون الجوهر بالذات ، والأقنومية بالصفات :

كالوجود والعلم والحياة ، ويعبرون عن الذات مع الوجود بالأب ، وعن الذات مع العلم بالابن ، ويعبرون عن الذات مع الحياة بروح القدس ، ويعبرون عن الإله باللاهوت ، وعن الإنسان بالناسوت ، ويطلقون العلم على الكلمة التى ألقيت إلى مريم عليها السلام فحملت منها بالمسيح عليه السلام ، ويخصونه بالاتحاد دون غيره من الأقانيمى .

لم تستقر هذه العقيدة ، ولم يُسلّم بها كل المشتغلين بالكنيسة ، إذ سرعان ما قام غير واحد من البطارقة لمهاجمتها ووضع قانون إيمانى جديد فانعقد لذلك المجامع كما سنرى .

---

(١) المصدر نفسه .

مجمع نيقية :

انعقد هذا المجمع فى مدينة نيقية ٣٢٥م ، واجتمع ثلثمائة وثمانية عشر وقيل : وسبعة عشر أسقفا من أساقفتهم بحضرة قسطنطين ملك الروم ، وسبب هذا المجمع ظهور مقالة آريوش أو أريوس عن المسيح عليه السلام إذ أطلق عليه :

أن المسيح مخلوق ، وأن القديم هو الله تعالى فثار رجال الكنيسة على هذا القول ، وألفوا عقيدة استخرجوها من أناجيلهم لقبوها بالأمانة ، من خرج عنها خرج عن دين النصرانية ، ونصها كما سبق فى ص ٥٢ من هذا الكتاب[١] .

مجمع قسطنطينية :

اجتمع هذا المجمع فى مدينة قسطنطينية ، وكان سبب انعقاده دعوى مقدونيوس الذى أطلقوا عليه عدو روح القدس ، وقوله : إن روح القدس مخلوق فثاروا عليه ومن ثم زادوا فى الأمانه المتقدمة : « ونؤمن بروح القدس المحى المنبثق من الأب » . ولعنوا من يزيدُ بعد ذلك على كلام الأمانة أو ينقص منها فأدى ذلك إلى افتراق النصارى بعد ذلك إلى فرق كثيرة المشهور منها ثلاث فرق :

الفرقة الأولى :

« الملكانية »

قال الشهرستانى : هم أتباع ملْكان الذى ظهر ببلاد الروم ومقتضى ذلك أنهم منسوبون إلى ملْكان صاحب مذهبهم ، وقيل : منسوبون إلى مَرْكان قيصر أحد قياصرة الروم ، من حيث إنه كان يقوم بنصرة مذهبهم ، فقيل لهم : مركانية ، ثم عرب ملكانية .

---

(١) صبح الأعشى .. ص ١٣ ، ص ٢٧٥ ، وراجع الملل من النحل للشهر ستانى ، والعبر .. لابن خلدون جـ٢ ص ١٥٠ .

عقيدتهم :

أ : أن جزءا من اللاهوت حل فى الناسوت ، ذاهبين إلى أن الكلمة وهى أقنوم العلم عندهم اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ومازجته ممازجة الخمر اللبن ، أو الماء اللبن ، ولايسمون العلم قبل تدرعه ابنا بل المسيح وما تدرع به هو الإبن .

ب : إن الجوهر غير الأقانيم كما فى الموصوف والصفة مصرحين بالتثليث ، قائلين : بأن كلا من الأب والابن والروح القدس إله ، وإليهم يشير القرآن بقول الله سبحانه : « لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة » المائدة : ٧٣ .

جـ : أن المسيح قديم أزلى من قديم أزلى ، وأن مريم ولدت إلها أزليا فيطلقون الأبوة والبنوة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقة ، متمسكين بظاهر ما يزعمون أنه وقع فى الإنجيل من ذكر الأب والابن :

« تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبالُ هدًا أن دعوْا للرحمان ولدا وما ينبغى للرحمان أن يتخذ ولدا إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمان عبدا » مريم : ٩٠ – ٩٣.

د : أن المسيح ناسوت كلُّ لاجزئى ، وأن القتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا كما نقله الشهرستانى فى (الملل والنحل) .

هـ : أن المعاد والحشر يكون بالأبدان والأرواح جميعاً ، وأن فى الآخرة التلذذات الجسمانية بالأكل والشرب والنكاح وغير ذلك كما يقول به المسلمون .

و : ومن فروعهم أنهم لايختتنون ، وربما أكل بعضهم الميتة ، وممن تمذهب بمذهب الملكانية : الروم والفَرَنجةُ ومن ولاهم .

ز : والملكانية يدينون بطاعة البابا : وهو بطرك رومية المقدم ذكره قال فى « الروض المعطار » : من قاعدة البابا أنه إذا اجتمع به مَلِكٌ من ملوك الأرض ينبطح على بطنه بين يديه ، ولايزال يقبل رجليه حتى يكون هو الذى يأمره بالقيام(١) .

(١) نقلا عن صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

الفرقة الثانية :

اليعقوبيـة :

أتباع دِيسَقْرس بطرك الأسكندرية ، وهو الثامن من بطاركتها من حين بطركية مُرْقُس الإنجيلى نائب بطرس الحوارىُّ بها .

قال ابن العميد فى تاريخه : وسُمُّى أهله مذهبه يعقوبية : لأن اسمه كان فى الغلمانية يعقوب .

وقيل : بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه . وقيل : بل كان شاويرشُ بطرك انطاكية على رأى دِيسَقْرس فنسبو إليه .

وقيل : بل نسبوا إلى يعقوب البردغانى تلميذ سويرس بطرك أنطاكية ، وكان راهبا بالقسطنطينية فكان يطوف فى البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقرس .

قال ابن العميد : وليس كذلك فإن اليعاقبة ينسبون إلى ديسقرس قبل ذلك بكثير .

عقيدتهم :

أ : أن الكلمة انقلبت لحما ودما وصار الإله هو المسيح .

ب : ومنهم من قال : إن المسيح هو الله تعالى ، قال المؤيد صاحب حماة :

ويقولون مع ذلك : إنه قتل وصلب ومات ، وبقى العالم ثلاثة أيام بلا مُدَبِّر !!

جـ : ومنهم من يقول : ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لاعلى طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التى هى فى حكم الصفة ، بل صار هوهو ، كما يقال : ظهر الملك بصورة إنسان ، وظهر الشيطان بصورة حيوان وكما أخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام بقوله تعالى : « فتمثل لها بشرا سوياً » .

د : وأكثرهم يقول :

إن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين ، وربما قالوا : طبيعة واحدة من طبيعتين . فجوهر إلاله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركب النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا أقنوما واحدا ، وهو إنسان كله وإله كله ، فيقال الأنسان صار إلها ولا ينعكس ، فلا يقال :

الإله صـار إنسانا ، كالفحـمة تطرح في النار فيقال : صارت الفحمة نارا ، ولا يقال : صارت النار فحمة ، وهي في الحقيقة لانار مطلقة ولافحمة مطلقة ، بل هي جمرة

هـ : ومن أقوالهم :

إن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي ، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والإدراع والحلول ، كحلول صورة الإنسان في المرآة والادراع مأخوذ من قولهم :

ادرع فلان بالليل أي دخل في ظلمته بمعنى أحاطت به .

و : ومن قائل :

إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا لكنها مرت بها كمرور الماء بالميزاب ، وأن ماظهر من شخص المسيح عليه السلام في الأعين هو كالخيال والصورة في المرآة ، وإن القتل والصلب إنما وقعا على الخيال .

ز : ومنهم من زعم : أن الكلمة كانت تداخل جسد المسيح أحيانا فتصدر عنه الآيات: من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمة والأبرص ، وتفارقه في بعض الأوقات ، فترد عليه الآلام والأوجاع . ثم هم يقولون : إن المعاد إنما هو رحاني فيه لذة وراحة وسرور ، ولا أكل ولا شرب ولانكاح .

ح : ويتفرع من هؤلاء من يختتنون ، ولا يأكلون الحيوان إلا بعد التذكية .

والقارئ لعقيدة الملكانية واليعقوبية يقع فى حيرة ، لأن عقله لا يستطيع هضم هذه العقيدة التى لفها الغموض ، فكيف يتعبد البشر بعقيدة أحاطها الغموض ؟

محاكمة ديسقرس :

حكى ابن العميد مؤرخ النصارى أن ديسقرس صاحب مذهب اليعقوبية حين ذهب إلى ماذهب إليه من قول كما سبق ، رُفع أمره إلى مرْكان قيصر ملك الروم يومئذ فطلبه إلى مدينة خلقدونية ، وجمع له ستمائة وأربعة وثلاثين أسقفا ، وناظروه بحضرة الملك فسقط فى المناظرة ، فكلمته زوجة الملك فأساء الرد فلطمته بيدها ، وتناوله الحاضرون بالضرب ، وأمر بإخراجه ، فسار إلى القدس فأقام به واتبعه أهل القدس وفلسطين ومصر والإسكندرية ، وقد اتبعه على ذلك أيضا النوبة والحبشة وهم على ذلك إلى الآن(١) .

سؤال هام : هل التثليث من المسيحية حقيقة ؟

الجواب : ليس التثليث من المسيحية بل من الفلسفة الإغريقية .

الدليل :

أولاً : كانت المشكلة الفلسفية التى واجهت الإغريق هى : « ما مبدأ كل شئ ؟ » وباجتهاد الفلسفة كانت الإجابة محدودة ومقنعة شيئاً فشيئاً ، فكانت المذاهب الفلسفية التى تتابعت فى تاريخ الفلسفة الإغريقية هذه الفلسفة بدأت طبيعية ... ثم أخذت فكرة التوحيد فى الظهور على أيدى : سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، بحيث رأى هؤلاء أن المبدأ الذى صدر عنه العالم هو الله الواحد الذى لم يتغير على غموض فى تعيُّن هذه الصفات ونحوها مما يصح أن يتصف بها .

---

(١) صبح الأعشى .. جـ ١٣ ص ٢٧٨ وما بعدها ، والشهرستانى جـ ٢ ص ٣١ هامش ١ ، والشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ١٩٠ .

ولكن بمقدار تبين هذه المعارف والمعلومات عن الله كانت تكبر الصعوبة الأساسية التى أصدمت بها المذاهب التى سبقت سقراط : كيف تصدر الأشياء عن مبدئها ؟ كيف يمكن أن يخرج الكثير – أى العام – من الواحد ، والمتغير من الذى لا يتغير ؟ وأنه كلما قرب المبدأ الأول من الوحدة الحق بصيرورته روحياً ، ومن عدم التغير الحق بصيرورته كاملاً ، تتسع الهوة التى تفصله عن العالم وكثرته وتصير أكبر عمقاً كما يصبح عسيراً فهم كيف يبرز الله العالم للوجود ويحركه .

ثانياً : إذا كان الله واحداً وحدة مطلقة كيف يمكن أن يخلق الكثرة المختلفة دون أن يقبل فى ذاته كثرة بأى وجه من الوجوه ؟ وإذا كان كماله المطلق يقتضى عدم التغير ، كيف تفهم أنه فى وقت ما أوجد العالم دون أن يلحقه تغير ، مع أنه انتقل من حالة عدم العمل إلى حالة العمل ؟

هنا تظهر عبقرية العقل الآرى : الواحد البرئ من التغير لا يمكن أن يصدر عنه العالم المتكثر المتغير مباشرة ، يجب إذن أن تتوسط بينهما وسائط أزلية متدرجة حسب نظام ميتافيزيقى .

ثالثاً : كان أفلاطون أول من أدرك تلك المشكلة ، وأول من أدرك هذا الحل الذى وجب على العقل الإغريقى فيما بعد – بعد انضاجه طويلاً – أن يجتمع نهائياً عليه أعنى عقيدة ثلاثة أقاليم أو عقيدة التثليث .

رابعاً : هذا المذهب أو هذه العقيدة التى تمثلها عقل أفلاطون وإن كان أدركها ادراكاً فيه نوع غموض ليس إلا عقيدة التثليث المشهورة ، ومن السهل إدراك الغرض منها :

الاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغير ، جعله يضع بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه خارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلين فيه أى تتضمنهما ذاته – صادرين عنه ، دونه فى الكمال ، ويجعلانه ممكناً أن يصدر عن الله العالم الكبير المتغير أول هذين الوسيطين : العقل ... وثانيهما : الروح الإلهية .

خامساً : كان التزاوج الذى تم بين العقيدة اليهودية والفلسفية الإغريقية لم ينتج فلسفة فقط ، بل انتج معها ديناً أيضاً أى المسيحية التى تشربت كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية الأفلاطونية الحديثة (أى فلسفة أفلاطون التى كانت المعين الأصلى للفلسفة الأفلاطونية الحديثة) ولذا نجد بينهما (أى اللاهوت المسيحى والأفلاطونية الحديثة) . مشابهات كبيرة ، وإن افترقا أحياناً فى بعض التفاصيل ، فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث ، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما .

سادساً : أول هذه الأقانيم هو مصدر كل كمال ، والذى يحوى فى وحدته كل الكمالات ، وهو الذى دعاه المسيحيين الآب ، والثانى : الابن أو هو الكلمة ، والثالث : هو دائماً الروح القدس .

على أنه يجب أن يلاحظ – وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحى عن الأفلاطونية الحديثة – أن الأقانيم الثلاثة ليست فى نظر هذا المذهب متساوية فى الجوهر والرتبة ، بينما هى متساوية عند المسيحية ، فالابن الذى يتولد من الآب لا يمكن أن يكون أدنى منه كمالاً ، وإلا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطراراً عنه غير الكامل .

وهذا حط من رتبته . وكذلك الروح لقدس مساو للآب والابن(١) .

وهكذا يظهر لنا بوضوح أن التثليث ليس من المسيحية الحقة التى أنزلها الله ، وإنما هو من الفلسفة الإغريقية التى تبناها اليهود ومزجوها بالمسيحية .

---

(١) مقدمة (أو المدخل لدراسة) الفلسفة الإسلامية تأليف المستشرق ليون جونيه . طبع باريس عام ١٩٢٣ . نقلاً عن محاضرات فى النصرانية – ص ٤٣ هامش ١ .

الفرقة الثالثة :

النسطورية :

أتباع نسطوريوس بطرك القسطنطينية ، كما يقول ابن العميد

ومن مذهـــبه : أن مريم عليها السلام لم تلد إلها ، وإنما ولدت إنسانا ، وإنما اتحد فى المشيئة لا فى الذات ، وأنه ليس إلها حقيقة بل بالموهبة والكرامة . ويقولون :

بجوهرين وأقْنومين ، وأن كرلس بطرك الإسكندرية وبطرك روما خالفاه فى ذلك ، فجمع لهم مائتى أسقف بمدينة أفسس وأبطلوا مقالة نسطوريوس وصرحوا بكفره ، فنفى إلى إخميم من صعيد مصر ومات بها فظهر مذهبه فى نصارى المشرق :

من الجزيرة الفراتية ، والموصل والعراق وفارس ..

أما ابن خلدون[1] رحمه الله فيقول : لما « بلغت مقالة نسطوريوس إلى كرلس بطرك الاسكندرية كتب إلى بطرك رومية وهو اكليمس ، وإلى يوحنا وهوبطرك أنطاكية وإلى يونالوس أسقف بيت المقدس ، فكتبوا إلى نسطوريوس ليدفعوه عن ذلك بالحجة فلم يرتجع ولم يلتفت إلى قولهم فانعقد لذلك مجمع أفسس فى مائتين من الأساقفة الخ .

والشهرستانى فى « الملل والنحل » يذكر أنهم :

منسوبون إلى نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون ، وتصرف فى الأناجيل[2] بحكم رأيه ، وقال : إن الله تعالى واحدُ ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم

---

(١) العبر .. جـ ٢ ص ١٥٢ .

(٢) الرد على المتغالين فى أمر المسيح عليه السلام : هذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح – عليه السلام – ولم تتنزل عيه هو بوحى أوحى إليه ، ولكنها كتبت من بعده ، فانجيل مرقس مثلا دون سنة ٦١م فى عهد نيرون الذى نكل بالمسيحيين ، أما ما اشتملت عليه هذه الاناجيل فهو : أخبار يحى (يوحنا المعمدان) والمسيح وما كان منه ، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب ، وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة ، ولا تحدث من سواه من البشر ، وما كان يحدث له من أحداث ، وما كان يجرى بينه وبين اليهود ، وما كان يلقيه من أقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ وفيها قليل من الشرائع التى تتعلق بالزواج والطلاق ، ثم أخبار المؤامرة عليه ، واتهامه والقبض عليه =

والحياة ، وإن هذه الأقانيم الثلاثة ليست زائدة على الذات ولا هى هى .

وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح لا على طريق الامتزاج كما ذهبت إليه الملكانية ولا على طريق الظهور كما قالته اليعقوبية[1] ولكن كإشراق الشمس فى كوة ، أو كظهور النقش فى الخاتم .

قال الشهرستانى : ويعنى بقوله : إنه واحد بالجوهر أنه ليس مركبا من جنس بل هو بسيط واحد . ويعنى بالحياة والعلم : أنهما أقنومين جوهرين أى : أصلين مبدأين للعالم .

قال : ومنهم من يثبت لله تعالى صفات زائدة على الوجود والحياة والعلم : كالقدرة والإرادة ونحوها .

ومنهم من يطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة حيى ناطق إله .

ومن النسطورية من يقول : إن الإله واحد ، وإن المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام ، وإنه عبد صالح مخلوق ، خلقه الله تعالى وسماه ابناً على التبنى لا على الولادة والاتحاد ، فهم يخالفون الملكانية واليعقوبية فى القتل والصلب ويقولون : القتل والصلب وقعا على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته : لأن الإله لاتحله الآلام ، فهم عند النصارى ، كالمعتزلة عند المسلمين .

= ومحاكمته سواء أكانت تلك المحاكمة أمام اليهود ، أم أمام الرومان .
ثم فيها الحكم عليه بالموت صلبا ، وصلبه بالفعل كما يعتقدون ، وفيها أيضا قيامته من قبره ومكوثه أربعون يوما ، ثم رفعه إلى السماء . وفى الجملة هى تشتمل على أخبار المسيح - عليه السلام - وصلواته وأقواله وعجائبه من بدايته إلى نهايته فى هذا العالم - راجع محاضرات فى النصرانية ص ٤٩ - وكل هذه الأعمال التى ذكرتها الأناجيل تؤكد وتوضح أن المسيح بشر وليس بإله ولا ابن اله وهذا أبلغ رد على المتغالين فى أمر المسيح عليه السلام بالإضافة إلى ما سبق ذكره ص ٢٩ .

(١) صبح الأعشى .. ص ١٣ ص ٢٨٠ .

الأشياء التى تعظمها النسطورية :

أ : المسيح عليه السلام لدرجة الغلو فانتهوا فيه إلى : إدعاء الألوهية ، والبنوة لله سبحانه وتعالى عما يشركون ، واسمه عندهم إيشوع فعرب عيسى ، وإنما سمى المسيح لكونه ممسوح القدمين لا أَخْمَصَ له .

ب : السيدة مريم عليها السلام لولادتها المسيح عليه السلام ، ويعبرون عنها بالسيدة وبالبتول ، وبالعذراء .

جـ : مَرْيُحَنَّا المعمدان ويسمى عندهم يحيى بن زكريا عليه السلام ، ومعنى مَرْ السيد ويحنا يعنى يحيى ، ويسمونه المعمدان لزعمهم أن مريم عليها السلام حين عودها من مصر إلى الشام ومعها السيد المسيح تلقاه يحى عليه السلام فعمده فى نهر الأردن من بلاد فلسطين ، يعنى غمسه فيه ، ويجعلون ذلك أصلا للمعمودية :

وهى الماء الذى يُغمسُون فيه عند تنصرهم ، ويرونه أنه لاتصح تنصر نصرانى دون تعمد . وللماء المعمودية عندهم من التعظيم مالافوقه .

وبعضهم يقول : إن المراد بمرْيُحناَ غيرُ يحيى بن زكريا عليه السلام .

د : الحواريون أصحاب المسيح عليه السلام ، وعدتهم اثنا عشر حواريا كما سبق ، ومعنى الحوارى : الخاص ، ومنه قيل للدقيق الناصع البياض دقيق حوَّارى ، سموا بذلك لأن المسيح عليه السلام استخلصهم لنفسه .

هـ : البطاركة ؛ لأنهم خلفاء الدين عندهم ويرون لهم من الحرمة مالدين النصرانية عندهم من الحرمة ، بل يجعلون أمر التحليل والتحريم منوطا بهم حتى لو حرَّمَ البطرك على أحدهم زوجته لم يقربها حى يحلها له .

و : أرباب الوظائف الدينية عندهم : من البطريق ، والأسقف ، والمطران ، والقسيس والشماس ، والراهب لهم منزلة عظيمة عند النصارى خاصة النسطورية .

ز : يوسف النجار لأنه قريب لمريم عليها السلام ، يقال : إنه ابن عمها ، كان معها فى خدمة بيت المقدس ، وهو الذى طلب من الرومان أن يهبوه المسيح بعد الصلب فى زعمهم حتى دفنه . لكن اليهود يرمون مريم عليها السلام معه بالفجور .

ح : قسطنطين بن قسطنطين ملك الروم ، وذلك أنه أول من أخذ بدين النصرانية وحمل الناس على الأخذ به . وقد اختلف فى سبب ذلك فقيل :

إنه كان يحارب أمة البرجان بجواره وقد أعجزه أمرهم ، فرأى فى المنام كأن ملائكة نزلت من السماء ، ومعها أعلام عليها صلبان ، فعمل أعلاما على مثالها وحاربهم بها فانتصر عليهم ، وقيل : بل رأى صورة(١) صليب فى السماء ، وقيل : بل حملته أمّه هيلانى على ذلك ؛ فهم لذلك يعظمونها هى الأخرى ...

ى : بيت لحم حيث مولدُ المسيح عليه السلام ، وكنيسة قُمامة حيث قبرُه ، وموضع خشبة الصلب التى استخرجتها هيلانى أم قسطنطين بزعمهم .

ك : سائر الكنائس(٢) . وهى أمكنه عباداتهم كالمساجد للمسلمين .

كما يعظمون الدِّيارات : وهى أمكنه التخلى والاعتزال كالزوايا بالنسبة للمسلمين .

ل : المذبح : وهو مكان فى الكنيسة يقربون عنده القرابين ويذبحون الذبائح ، ويعتقدون أن كل ماذبح عليه من القربان صار لحمه ودمه هو لحم المسيح ودمه حقيقية .

م : الأعياد : مثل الغطاس وهو من أعيادهم الكبار ، وزمنه فى الحادى عشر من شهر طوبه من شهور القبط .

وعيد السيدة وهو من أعيادهم الصِّغار ، وزمنه فى الحادى والعشرين من شهر بؤنة وعيد الصليب . وزمنه عندهم فى السابع عشر من شهر توت .

---

(١) من عادات النطورية أنه إذا مات منهم أحد ممن يعتقدون صلاحه صوروا صورته فى حيطان كنائسهم وياراتهم للتبرك .

(٢) أصلها فى اللغة مأخوذ من قولهم : كناس الظبى : وهو المكان الذى يستتر فيه سميت بذلك لاستتارهم فيها حال عبادتهم عن أعين الناس . صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٨٣ .

والأشياء التى تتعبد بها النسطورية :

أ : سبع صلوات فى اليوم والليلة وهى : الفجر ، والضحى ، والظهر ، والعصر ، والمغرب والعشاء ، ونصف الليل ، ويقرءون فى صلاتهم بمزامير داود عليه السلام كما تفعل اليهود . والسجود فى صلاتهم غير محدود العدد ، بل قد يسجدون فى الركعة الواحدة خمسين سجدة . وهم لايتوضئون للصلاة ، ولايغتسلون من الجنابة ، وينكرون الطهر للصلاة على المسلمين وعلى اليهود ، ويقولون :

الأصل طهارة القلب . وإذا أرادوا الصلاة ضربوا بالناقوس ، وهو خشبة مستطيلة نحو الذراع يضرب عليها بخشبة لطيفة فيجتمعون .

قبلتهم : يستقبلون فى صلاتهم المشرق ، وكذلك يوجهون إليه موتاهم[1] .

قال الزمخشرى : ولعل ذهابهم إلى ذلك ، اقتداء بالسيدة مريم عليها السلام لاتخاذها مكانا شرقيا كما أخبر سبحانه بقوله :

« إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا »[2] .

صومهم : لهم عدة صيامات فى أوقات متفرقة .

أ : صومهم الكبير : زمنه ستون يوما تبدأ من يوم الاثنين ، ويقع أوله فى شباط ، أو آذار من شهور السريان ، بحسب مايقتضيه حسابهم ، ويُفطرون فى خلالها يوم الأحد ، تبقى مدة صيامهم منها تسعة وأربعون يَوْماً .

ب : صومهم الصغير : وهو ستة وأربعون يوما يصومونها بعد الفصح الكبير بخمسين يوما أولها يوم الاثنين أيضا ، وعندهم فيه خلاف .

---

(١) صبح الأعشى : حـ ١٣ ص ٢٨٣ – ٢٨٥ .

(٢) مريم : ١٦ .

جـ : صوم العذارى : وهو ثلاثة أيام ، تبدأ من يوم الاثنين الكائن بعد كانون الثانى فى صيامات أخرى يطول ذكرها ، ولكثرةصيامهم قيل : إذا حُدِّث أن نصرانيا مات من الجوع فصدِّق(١) .

الأشياء التى تحرمها النسطورية :

أ : لحم الجمل ولبنه كما يقوله اليهود ، ويقولون : بحل لحم الخنزير خلافا لليهود ، وهو مما ينكره اليهود عليهم من مخالفة أحكام التوراة .

ب : صوم يوم الفصح الأكبر ، وهو يوم فطرهم من صومهم الأكبر .

جـ : يحرمون على الرجل أن يتزوج امرأتين فى قرن واحد .

ء : يحرمون طلاق الزوجة ، بل إذا تزوج أحدهم امرأة لايكون له منها فراق إلا بالموت .

الأشياء التى تستعظم النسطورية الوقوع فيها :

أ : جحود كون المسيح هو المبَشَّر به على لسان موسى عليه السلام .

ب : إنكار قتل المسيح عليه السلام وصلبه ، فإنهم يعتقدون أن ذلك كان سببا لخلاص اللاهوت من الناسوت ، فمن أنكر عندهم وقوع القتل والصلب على المسيح خرج عن دين النصرانية ، بل إنكار رؤيته مصلوبا عندهم ارتكاب محظور . على أنهم ينكرون على اليهود ارتكابهم ذلك ، ويستعظمون مشاركتهم فى ذلك وهذا فى ميزان الإسلام عقول أضلها بارئها ، فراحت تضرب فى الأرض على غير هدى .

---

(١) صبح الأعشى .. حـ ١٣ ص ٢٨٥ ، وراجع للدكتور على الخطيب : الصيام من البداية حتى الإسلام . فصل الصيام فى النصرانية ص ١١٨ .

جـ : كسر صليب الصلبوت ، وهو الخشبة التى يزعمون أن المسيح عليه السلام صلب عليها .

د : الرجوع عن متابعة الحواريين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام .

هـ : الخروج عن دين النصرانية أو التبرى منه ، والقول بدين التوحيد ، أو دين اليهودية .

و : الطعن فى حق قسطنطين ، وأمه هيلانى : لحرصهما على إقامة دين النصرانية والوقوف بجانبه حتى قوى واشتد عوده .

وكذلك الاستهانة بالبطاركة أو أحد من أرباب الديانات عندهم : كالأساقفة ونحوهم .

ز : عدم احترام أهل الشعانين : وهم أهل التسبيح الذين كانوا حول المسيح عليه السلام حين ركب الحمار بالقدس ، ودخل صهيون يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهم حوله يسبحون الله تعالى ويقدسونه .

ح : صوم يوم الفصح الأكبر ، وصرف الوجه فى الصلاة عن الشرق واستقبال صخرة بيت المقدس موافقة لليهود(١) .

ط : هدم كنيسة قُمامة(٢) : لكونها عندهم محل القبر بزعمهم ، وكذلك غيرُها من الكنائس والدِّيرة .

ى : تكذيب أحد من نقلة الأنجيل الأربعة الذين كتبوه كمتى وغيره ، أو تكذيب أحد من القسوس : وهم الذين يقرءون الإنجيل والمزامير ، وتكذيبُ مريم المجدلانية فيما أخبرت به عن المسيح من قيامه من قبره الذى كان دُفِنَ فيه بزعمهم ، فإنهم يزعمون أنها أول من رآه عند قيامه من قبره .

---

(١) صبح الأعشى .. جـ ١٣ ص ٢٨٦ .
(٢) ببيت المقدم .

ك : القول بنجاسة ماء المعمودية : وهو الماء الذى ينغمسون فيه عند تنصرهم .

ل : عدم اعتقاد أن القربان الذى يُذْبَح فى المذبح لايصير لحمه ودمه هو لحم المسيح ودمه ، ولعمرى أن هذه لعقول ذاهبة بل عقول ألفت تفكيرها ، واستنامت على الباطل ورضيت به .

م : استباحة دماء أهل الديارات ، والمشاركة فى قتل الشمامسة الذين هم خدام الكنائس .

ن : خيانة المسيح فى وديعته . وذلك أنهم يزعمون أن كل ماخالفت فيه فرقة من الفرق الثلاث الفرقة الأخرى كقول الملكانية بأن المعاد جسمانى .

واليعقوبية تقول : إن المعاد روحانى .

فإن الفرقة الثالثة وهى النسطورية تستعظم الوقوع فيما ذهب إليه مخالفها ، وكذلك كل ماجرى هذا المجرى(1) .

والمحصلة النهائية أن كل طائفة ترمى من يخالفها بالخيانة والخروج عن عقيدة التثليث !!

وانبثق من هذه الأفكار الملتوية طائفة آلت على نفسها إصلاح حال الكنيسة ورجالها ولم تكن هذه الطائفة سوى :

---

(1) صبح الأعشى .. جـ ١٣ ص ٢٨٧ .

طائفة البروتستانت[1] :

يرجع سبب تسمية هذه الطائفة إلى الذين اعتنقوا مبدأ الاصلاح الكنسى ، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية وسموا بروتستنت لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجا يسمى بالانجليزية « بيرتست » فسمى الذين أمضوا القرار بروتستنت أى المحتجين .

السبب فى ظهور هذه الطائفة : اشتداد ضغط الكنيسة الكاثوليكية على المسيحيين وبالغت فى فرض آرائها عليهم مبالغة تجاوزت حد الغلو ، ولم تسلك فى ذلك سبيل الموعظة الحسنة والدعوة الصالحة والارشاد القويم .. بل سلكت سبيل العنف .. فجعلت كل رأى يخالف رأيها حتى فى العلوم الكونية كفرا ، فلا تدعو صاحبه إلى الهداية كما يليق برجل الدين مع من يراه ضلالا بل تكفر لأوهى الأسباب ، وتحرق أو تعذب بلا رفق ولا هوادة .

ففى مجمع اللاتيرانى الرابع المنعقد سنة ١٢١٥ م يقرر استئصال الهراطقة ، ويعنون بذلك كل من يرى رأيا مخالفا للكنيسة .. حتى وسمت الكنيسة بما أسماه التاريخ (محاكم التفتيش) ، التى دنست تاريخ المسيحية بما ارتكبت من آثام وما أزهقت من أرواح ، وما سفكت من دماء وما عذبت من أبرياء .

حدث فى أوائل القرن الخامس عشر أن أحس أساقفة فرنسا بوجوب اصلاح حال البابوات ، فانعقد لذلك مجمع مؤلف من ١٥٠ أسقفا ، و١٨٠٠ من رجال الدين ، وقرروا أحراق يوحنا هوس مصلح كنيسة بوهيما ورفيقه جيروم لهذا السبب .

وجاليليو يرى رأيا فى الكون فيسجن لذلك الرأى مع أن رأيه ليس من أمور الدين فى شئ !!

---

(١) البروتستنتية : مذهب مسيحى نشأ عن حركة الاصلاح الدينية التى قادها (لوثر) ويدعو إلى تحرر الفرد من سلطان الكنيسة ، وجعله مسئولا أمام الله وحده ، ويقابل « الكاثوليكية » و « الأرثوذكسية » . المعجم الوسيط ، وهذه الكلمة تكتب بألف وبدون ألف تبعاً لنطق الكلمة عند الترجمة .

الكنيسة تفرض سلطانها على الملوك : بالغت الكتيسة فى شدتها ، ولم ينج من طغيانها حتى الملوك .. فصار البابا لاسلطان لأحد من ولاة الأمر عليه لأنه يعين من قبل المجامع لا من قبل الملوك والأمراء ... ومن ثم فرضوا أوامرهم على الملوك كما فرضوها على سائر الناس ... جاء فى كتاب « سوسنة سليمان » : « المجمع الثالث عشر انعقد فى ليون من أعمال فرنسا سنة ١٢٤٥م بأمر البابا أينوسنت الرابع لأجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرمانه ، وهذا المجمع لم تسلم كنيسته فرنسا حتى الآن بصحته أو بسلطانه مطلقا » .

فكان لابد للملوك من حماية أنفسهم من هذا العزل فثاروا القالة فى رجال الكهنوت ، حتى ينفردوا بالاحترام ولا يكون سلطان لأحد غيرهم .

هذه هى الكنيسة فى معاملتها للناس عنف وزجر وقسوة ، لا ارشاد وهداية واصلاح . وعلى كل فإن كلمة البروتستانت فى عمومها تطلق على فرق مسيحية تتناول كل المسيحيين ماعدا الكاثوليكيين ، الشرقيين ، وسموا بذلك فى جرمانيا سنة ٥٢٩ والهدف منها الإصلاح ...

فقد أحدثوا تغييراً من أجل عشية – أى عشاء – الرب ، أو القداس ، وهم على استعداد لإقامة الحجة أى البرونستو كما فى التعبير الإنجليزى على كل أمر يحسبونه مخالف لله وكلمته المقدسة ، وخلاص أنفسهم ، وشهادة ضميرهم ومن هنا سموا بالبروتستانت وعلى هذا خرجوا من الكنيسة الكاثوليكية ، وهم يختلفون عنها فى أمور كثيرة من جهة العقائد وشعار الدين وسياسة الكنيسة ، وأخص هذه الأمور التى يخالفونها فيها غير ما تقدم هى :

أ– رفض رئاسة البابا .

ب– عبادة الأيقونات ، والمطهر .

جـ– رفض شفاعة القديسين ، والتقليدات ، والتبرير بالأعمال .

المبدأ السياسى عندهم :

أ- أن لكل إنسان حق الحكم من جهة الأمور الدينية .

ب- حرية الضمير من غير معارضة(١).

وأيضاً فالبروتستانتية : هو المذهب المسيحى الذى ظهر فى القرن الخامس عشر إصلاحاً للكاثوليكية .

وكلمة البروتستانية تعنى عند أهلها :

مجموع العقائد والفرق الدينية التى نجمت من حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر سواء تكونت هذه الفرق من الكاثوليك الذين احتجوا (عملوا بروتستو) فى ذلك العصر على الكنيسة الرومانية باسم الإنجيلى والعقلى ، واليوم تألفت بعد ذلك فى قلب الجماعات البروتستانتية ذاتها(٢) .

وقد واكب هذه الحركة :

ظهور رجل فى انجلترا يدعى (چان ويكفْ) أحدث فى المسيحية حدثاً كان له دوى عظيم .

بدأ عمله بالطعن على علم الكلام عند المسيحيين ، وشدد النكير عليه ، وأظهر نقائصه للملأ فأنكر :

أ- الاعتراف بالذنب لرجال الدين قبل التوبة .

ب- عبادة القديسين والصور .

جـ- لم يؤسس جماعة دينية باسمه ، بل اكتفى بأن اتخذ له أشياعاً وتلاميذ .

---

(١) انظر دائرة المعارف البستانى : باب الباء جـ ٥ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٢) راجع لمحمد فريد وجدى القرن العشرين حرف الباء جـ ٢ ، ص ١٦٨ .

وتلاه رجل يدعى (چان هوس) اتجه وجهة الحياة العملية ولم يشدد فى بعض الأصول المسيحية ، فالتف الناس حوله ، وشغفوا بتعاليمه فأصبح إمام فرقة لا تزال موجودة إلى اليوم .

كل هذه الجماعات وغيرها هيأت الأحوال التى فيها ترتفع بعض الأصوات معترضة على الكنيسة فى تصرفاتها ، واستيقظ الناس ليشاهدوا رجالاً من كل طبقة يصيحون بملء أفواههم فى وجوه قادة الدين مطالبين بحرية العقل ، وحرية النظر ... حتى إذا جاءت ساعة الخطر ، تمخضت عن انشقاق المسيحية إلى طائفتين(١) :

هما : الكاثوليكية ، والبروتستانتية .

والبروتستانتية انقسمت بدورها إلى : الأسقفية ، والقسيسية وينضوى تحت هذين القسمين فروع كثيرة ، وفرق متنوعة ، والمراد بالكنيسة الأسقفية كنيسة انجلترا ، التى هى كنيسة الحكومة ، لأن من تبوأ تخت المملكة يكون رئيساً لها ، كما توجد كنائس أسقفية أخرى فى أمريكا وغيرها ، وهى الكنائس التى يكون لها أساقفة يترأسون عليها وعلى قسوسها .

أما فرق البروتستانتية الكبيرة فهى : اللوثرية ، والكلفينية .

وأما الصغيرة فهى : الكويكرز ، والسويدنبرجة ، وأخوة بليموث .

والأسقفية طبقتين هما : الأسقفية السفلى ؛ وهى تكاد تكون كالقسيسية فى أكثر أحكامها ، والوسطى ويسمونها بالإنجليزية العريضة تهكماً ، وذلك لأنها تشترك مع العليا فى أمور ومع السفلى فى أمور أخرى(٢) .

أما القسيسية : فلا أساقفة لها بل تعتبر الأسقف والقسيس فى درجة واحدة ، ولكلٌ براهينه التى يستند فيها إلى بعض نصوص وعبارات فى العهد القديم(٣).

(١) دائرة معارف القرن العشرين حرف الباء .
(٢) انظر دائرة معارف البستانى باب الباء .
(٣) لمزيد من المعرفة عن القسيسية راجع دائرة معارف البستانى باب القاف .

نشأة البروتستانتية :

نشأت هذه الطائفة فى ثلاث ممالك هى : ألمانيا ، وفرنسا ، وانجلترا ، وكان العامل الذى فجر ظهور هذه الطائفة أولاً فى ألمانيا : بيع الرحمة الإلهية (صكوك الغفران) التى أمر بها البابا ليون العاشر وعارضه القس لوثر بخمسة وتسعين مقالاً نشرها فى مدينة ويتتبرج سنة ١٥١٧م (١).

احتكار الكنيسة لفهم العهد القديم والجديد

احتفظت الكنيسة لنفسها بالحق فى فهم العهد القديم وتفسيره دون سائر الناس ولا معقب لما تقول فى هذا التفسير .. وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول سواء وافق العقل أو خالفه ، وعليه أن يروض عقله على قبول ما يقال له ، وقد كانت تعلن أمورا غريبة بعيدة كل البعد عن القبول وتلزم المسيحيين بها ، والويل لمن يقول فيها برأيه ، والدليل :-

مسألتى الاستحالة ، والغفران :

أما مسألة الاستحالة فتتلخص فى أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزا ويشربون خمرا ، ويسمون ذلك العشاء الربانى ، وزعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل (أى يتحول) إلى جسد المسيح ، وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك ، فمن أكلها وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح فى جسده بلحمه ودمه وذلك أمر غريب فى العقل لايقبله بسهولة ... ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته ، وإلا عرضوا أنفسهم للطرد والحرمان ...

---

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين جـ ٢ ، ص ١٦٨ .

أما المسألة الثانية :

فهى مسألة امتلاك الكنيسة حق الغفران للمسئ فى الدنيا فقد قدرته الكنيسة حقا لنفسها فى المجمع الثانى عشر ، جاء فى كتاب تاريخ الكنيسة فى بيان قرار المجمع فى هذا الشأن : « أنهى المجمع تعليمه فيما يتعلق بأمر الغفران فقال .. إن يسوع المسيح لما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات ، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذى نالته من العلا منذ الأيام الأولى قد أعلم المجمع المقدس ، وأمر بأن تحفظ للكنيسة فى هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحى والمثبتة بسلطان المجامع (١) » .

بمثل هذا الاسلوب كانت الكنيسة تحاول القاء الخوف فى قلوب الناس ليظل سلطانها متمكنا من نفوس الناس ... ومع هذا الموقف المتشدد لم يستطع رجال الكنيسة أن يصونوا أنفسهم فما أن ملكت أيديهم الأموال وكثرت أمامهم أسباب النعيم حتى فكهوا فيها مترفين ، وانغمسوا فى الملاذ يستطيبون أطيبها ، ويطلبون أشدها(٢) .. واتصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح بعد أن حرموا أنفسهم النكاح .

ابتداء الاصلاح :

رأيت رجال الدين الكنسى وما حدث منهم .. فكان لابد من الاصلاح وكان المنتظر أن يأتى من قبلهم ، لكنه جاء من غيرهم ، وكانت ارهاصات الاصلاح تبدو الوقت بعد الآخر ، ويظهر به رجال استعدوا للفداء زمنا بعد زمن ، فظهرت بوادر الاصلاح فى شمال أوروبا وانجلترا وفرنسا ، ووجدت آذانا مصغية ، وأصواتا قوية جريئة تدعو إلى اصلاح الكنيسة ، وكان أشد الأصوات وأقواها ثورة وتأثيرا ، وأقواهم نفوذا :

مارتن لوثر ، وزونجلى ، وكلفن .

---

(١) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ٢٠٥ .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ٢٠٦ .

لوثر :

ولد سنة ١٤٨٢م من أبوين فقيرين ، ومع ذلك حاولا أرساله إلى الجامعة ليكون قانونيا ، ولكنه عدل عن اتمام هذه الدراسة ، وعكف على دراسة اللاهوت ، وانصرف إليها لإحساسه بنزعة دينية قوية ، وكان شديد التورع ، مبالغا فى تقدير سيئاته ، حتى قال بنفسه أنه لن ينجو من عذاب الجحيم الا برحمة الرب الرحيم ، ونظرا لهذا الاحساس أحاطته الكنيسة بالرعاية حتى عين مدرسا للفلسفة ، وظل عاكفا على هذه الدراسة التى كان يشك فى صلاحيتها ، اذ كان يدرس فلسفة أرسطو ، وما كان فى نظره الا من عبدة الأوثان ، ولكن دراسته الفلسفية – لم تبعده عن دراسته الدينية ، ولما يمم وجهه نحو روما ليحظى بلقاء رجال الدين ، وتحل عليه بركات روما مقر الكنيسة ، لكنه صدم لعدم رؤيته للنساك والعباد والزهاد بل رأى اللهو العابث والمفاسد التى أحاطت برجال الدين ، كما وجد هناك جرأة على الخطايا واستهانة بأحكام الدين ، ووجد من كان يظنهم ملائكة يسيرون على الأرض قد انغمسوا فى الرذيلة ، زاعمين أن المغفرة والرضوان قد نزلت عليهم ، وغفر لهم سابق ذنوبهم ولاحقها ، وأن بيدهم مفاتيح الملكوت فى السماوات والأرض وسر التوبة وأبواب الغفران ، يغفرون لمن شاءوا ما تقدم من ذنبه وما تأخر . رأى لوثر كل هذا وهو صاحب حس دينى مرهف ، ونفس لوامة وهو يرى أن خطايا الانسان أكبر من أن يمحوها هو ، وأنه لاسبيل لغفرانها الا أن تسعها رحمة الله .

لذلك شده هول ما رأى ، وتحير بين ما تخيله فى رجال من زهادة والواقع المستقر الذى صدمه صدمة عنيفة ، ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى انتقل من الحيرة إلى الاستنكار ، لذلك عاد إلى المانيا حانقا مستنكرا ، بعد أن ذهب راضيا مقدسا .

صكوك الغفران :

أفرطت الكنيسة فى استعمال حق الغفران ، وهو مسح الذنوب وغفرانها مهما يكن مقدارها ... حتى أنشأوا له صكوكا تباع وتشترى ، فباعوها كأنها عرض من أعراض

الدنيا ، وبذل العصاة فى سبيلها المال ، وما كان عليهم من حرج فى أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات وينالوا ما تهوى الأنفس من معاص مادام ذلك يفتدى بمال قل أو جل ، وهاك نص صك الغفران الذى يباع بيع السلعة .

صورة من صك الغفران :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويحلك باستحقاقات الآمة الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التى جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثا إلى الشركة فى اسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك حتى إنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الاخيرة باسم الآب والابن والروح القدس(١) » ..

عاد لوثر ليحمل فى نفسه ما يلى :

أ: إن التبرك بالمقدسات فى روما والحج إليها وتكرار الصلاة لاينفع العاصى ولا يغنيه عن توبة نصوح .

ب : ليس لأحد من الخلق مهما تكن قداسته لايملك لأحد غفرانا ولايستطيع أن يستر ذنبا قد ارتكب .

---

(١) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ٢٠٦ .

جـ : ضعفت ثقته برجال الدين ، فأعلن الاستنكار على آراء رجال الدين ، وخاصة بعد أن أعلن البابا (ليو) أعادة بناء كنيسة بطرس فى روما ، فقرر جمع المال عن طريق بيع صكوك الغفران فذهب أحد الرهبان إلى إلمانيا ومعه تلك الصكوك التى ذكرنا لك نص إحداها ، وأخذ يعلن من أمرها ، ويبالغ فى قدسها وسرها . وعندئذ ثار لوثر على تلك الصكوك وكتب فى بطلانها أحتجاجا علقه على باب الكنيسة .

وكان لمثل هذا العمل أثره فى نفوس العامة والخاصة ، فهل صمتت الكنيسة ؟ كلا ، بل أرسلت إليه تدعوه لحضور محاكمته أمام محكمة التفتيش التى أتخذت ذريعة للقضاء على المخالفين . لكن بعض الأمراء نصح لوثر بعدم المثول أمام هذه المحكمة فكان رد الفعل من البابا ما يلى :-

أ : أصدار قرار بحرمانه .

ب : أصبح لوثر فى نظره مارقا .

ثورة لوثر :

تحققت هذه الثورة عندمات وجد نفسه محروما مطرودا لأنه يتكلم الحق ، فأخذته الحمية ، وأشتد فى دعوته ، جاهر بالاستهانة بأمر الحرمان ، فأحرقه فى وسط وتنبرج ، والجموع محتشدة ، فلم يبق إلا أن تنفذ السلطحة المدنية قرار الحرمان ، فتحرمه من الحقوق القانونية والمدنية أثرا لقرار الحرمان الدينى ، فاجتمع مجمع (ورمز) سنة ١٥٢١م لمحاكمته ، ولكنه طلب من البابا أن يقنعه بخطئه الذى ارتآه ، فلم يجب إلى ما طلب ، فانفض المجمع من غير نتيجة ولكن الامبراطور أعلن حرمانه من الحقوق المدنية ، فحماه أمير مقاطعة سكسونية .

ومن هذا الوقت ودعوة لوثر تخضع لحكم الأحداث السياسية ، كما تزداد الدعوة حدة مع أزدياد أعدادها تبعا لذلك ، ويشتد ساعدهم بموالاة الأمراء .

وفى سنة ١٥٢٩م حاول الامبراطور تنفيذ قرار الحرمان الصادر فى سنة ١٥٢١م ، ولكن أنصار لوثر احتجوا على ذلك ، ومن ذلك الحين سمو البروتستنت أى المحتجين ، وسارت الأمور بين الطرفين سلما فحربا متداولين حتى اذا مات لوثر ، أنزل الامبراطور بالبروتستنت أقصى العذاب وأشده بلاء ، ثم أعقبه صلح بين الفريقين .

ماذا كان يريد لوثر ؟

أولا : كان يريد اصلاح الكنيسة ورجالها ، وحملهم على الجادة ، واعطائهم من الحق ما أعطتهم لها الكتب المقدسة ، ووصايا رسلهم والمأثور عنهم .

ثانيا : لم ينظر إلى البابا على أنه خليفة المسيح وأنه معصوم لا يخطئ ، ولايأتى الباطل إلى قوله ، بل نظر اليه على أنه كبير المرشدين الواعظين .

ثالثا : لما يئس من عدم قيام رجال الدين بالاصلاح دعا الأمراء إلى التدخل فى عزل رجل الدين اذا لم يقم بما يأمره به الدين ، ووجد الفساد انما يرجع إلى عدم زواجهم .

رابعا : لم يكن فى الميسحية خاصة فى عصورها الأولى ما يمنع رجال الدين من الزاوج بدليل أنه تزوج مع أنه من رجال الدين ، وكان زواجه من راهبة .

خامسا : كان احتفاظ الكنيسة لنفسها حق فهم الانجيل ، سببا من أسباب تفردها وغلوها ، وعدم وجود رقيب عليها ، فنادى بأن لكل مسيحى مثقف الحق فى فهمه ، واشتغل هو بترجمته إلى الالمانية ليقرأه الناس .

سادسا : أنكر أن يحل المسيح فى بدن من يأكل العشاء الربانى ، كما أنكر تحول الخبز إلى عظام المسيح المكسورة كما أنكر استحالة الخمر إلى دم المسيح وحلولها فى جسم الآكل . واكتفى بكون العشاء الربانى تذكيرا لما قام به المسيح من فداء للخليقة فى زعمهم .

هذا كله مع أنكاره حق الكنيسة فى الغفران ذلك الحق الذى كان عود الثقاب الذى أشعل ثورة لوثر ، وكانت منها تلك النيران التى لم تستطع الكنيسة لها أطفاء[1] .

زونجلى :

فى الوقت الذى شغلت فيه الكنيسة مع لوثر ومطالبه ، كان فى سويسرا صوت قوى آخر ينادى بما يقارب ما نادى به لوثر ذاك .

وكان هذا الصوت هو زونجلى (١٤٨٤ - ١٥٣١م) الذى آلمه حال الكنيسة ، ودعا إلى مثل ما دعا إليه لوثر فى مسائل الدين .

بداية ثورة زونجلى :

(١) ثار على صكوك الغفران .. كما فعل لوثر .

(٢) قام صراع بين أنصاره ، والمعتنقين لمبادئه ، وأنصار الكاثوليك مات فى أثنائه .

وكانت من آرائه ما يلى :

(١) أن العشاء الربانى مناولة تذكارية لموت المسيح ، وفدائه لخطيئة الخليقة فى زعمهم ، وأن المسيح يحضر ذلك العشاء بروحه فقط ، ويفسر ما جاء خاصا بالعشاء الربانى فى إنجيل متى بمعناه المجازى الذى ورد فيه :

« وفيما يأكلون أخذ يسوع الخبز ، وبارك وكسر وأعطى للتلاميذ ، وقال : خذوا كلو هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر ، وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا »[2] .

---

(١) راجع « محاضرات فى النصرانية » صفحة ٢١٣ وما بعدها ، وللشيخ محمد الغزالى : التعصيب والتسامح بين المسيحية والاسلام .. ص ١٠٢ ، وانظر للشيخ أبى الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ ص ١٤٠ .

(٢) متى : الاصحاح السادس والعشرين .

(٢) مع أن دعوة زونجلى تشبه دعوة لوثر إلا أن كلا من دعوتيهما كانت تعمل فى محيط اقليمها ، بيد أن حركة لوثر كانت أوسع دائرة وأسرع انتشارا لسعة الاقليم الذى نشأت فيه ، ولرعاية بعض الأمراء لها ، بل لاعتناقهم مبادئها ، ولأن الأحوال السياسية فى المانيا كانت تسمح لمثل هذه الدعوة بالذيوع والانتشار(١) ..

كلفن :

كان له أثر هام فى الاصلاح ، ففى الوقت الذى كان يعمل فيه كل من لوثر وزونجلى كل بطريقته ، الأول سلك طريق السلم ، والآخر طريق الصراع والمنازلة حتى مات فيه ، فى هذا الوقت كان رجل آخر ظهر فى فرنسا وهو كلفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤م) ولد بفرنسا ونشأ بها ، وتثقف ثقافة قانونية ، ولكنه مال بعد تخرجه فى القانون إلى الدراسات الدينية ، وكانت حركة لوثر ذاعت فى ربوع أوربا ، ولما أعلن كلفن آراءه ، اضطر إلى الفرار بعقيدته إلى جنيف فى سويسرا ، وهناك ألف وكتب وأخذ يعمل على نشر مبادئ المذهب البروتستنتى حتى أن المؤرخين يرجعون تنظيم البروتستنتية إلى شكلها الأخير إلى كلفن .

ومن آراء كلفن ما يلى :

(١) يجب على الكنيسة أن تحكم نفسها بنفسها ، وعلى الحاكم المدنى مساعدتها ومعاونتها وحمايتها ، حتى لايكون السلطان الدينى غير خاضع لحكم الحكام .

(٢) يرى أن المسيح لا يحضر بشخصه ، ولا بروحه فى العشاء الربانى ، وتناول العناصر المادية رمزا للايمان وكما » يشير العشاء الربانى أيضا إلى مجئ المسيح ،

---

(١) راجع محاضرات فى النصرانية ص ٢١٧ .

يشير إلى موته ، فيكون تذكارا للماضى والمستقبل ، فالعبرة فى العشاء الربانى الذكرى ، لاحضور المسيح ماديا أو روحيا(١) .

كنائس المصلحين :

قام هؤلاء المصلحون بجهود كبيرة لاصلاح الكنيسة ولكنهم لم يفلحوا ، فاتجهوا إلى جعل آرائهم جماعية ، ووحدة دينية منفصلة عن الكنيسة وآرائها غير خاضعة للكنيسة ولا لسلطانها ، وأنشأوا لهم كنائس غير معترفة بكنيسة روما ، وسلطة رجال الدين فيها ، وإنما رجال الدين فى كنائسهم لهم حقوق وعليهم واجبات وسميت كنائسهم كنائس انجيلية(٢) : أى لا تخضع الا لحكم الكتاب المقدس (عندهم) ويقيد بأحكامه رجل الدين أمام رجل الشعب ، وجميعهم مسئول أمام ذلك الكتاب ، وليس لرئيس الكنيسة خلافة تجعل كلامه مقدسا ، مساويا لأحكام الكتاب المقدس فى الرتبة والاعتبار ، وقد انتشر المذهب الاصلاحى الجديد فى ألمانيا ، والدانمرك ، والنرويج ، وهولندا ، وانجلترا وأمريكا الشمالية ، وسويسرا ، وأن لم تصر كلها على هذا المذهب .

أهم مبادئ كنائس الاصلاح :

(١) الخضوع التام الواجب على المسيحى لنصوص الكتاب المقدس(٣) وحدها ، وجعله الحكم وحده الذى لاترد حكومته ، ولا ترفض أوامره ، قياس كل أوامر الكنيسة القديمة ، وقرارات المجامع على ما نص عليه فى ذلك الكتاب فما وافقه قبل ، لورود

(١) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ٢١٨ .

(٢) تسمى الكنائس الأخرى التى تجعل لرئيس الكنيسة سلطانا يعتبر فيه خليفة المسيح الكنائس التقليدية ، وهى : كنيسة الكاثوليك ، والكنيسة الارثوذكسية (المرجع السابق ص ٢٢٠) ..

(٣) الكنيسة الكاثوليكية ، والكنيسة الشرقية وغيرها من الكنائس التقليدية لايعتبرون الكتاب المقدس وحده هو المصدر للدين المسيحى ، بل يعتبرون معه الرسائل غير المسطورة فى ذلك الكتاب وتعاليم المسيح التى نقلت إلى البابوات خلفا عن سلف مصدرا أيضا ، ويسمون ذلك المصادر التقليدية .. (نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ٢٢٠ هامش) ..

الكتاب به ، وماخالفه رفض ولو كان قد صدر عن أكبر رجال الكنيسة شأنا فى الماضى أو الحاضر .

فجعل هذا المذهب أن من حق المسيحى المثقف قراءة كتابه الدينى .

(٢) لم يجعلوا للكنائس رئاسة عامة ، بل جعلوا لكل كنيسة رياسة خاصة بها ، وأن الكنيسة ليس لها فى كل مكان الا سلطان الوعظ والارشاد ، والقيام على تأدية الفروض والتكاليف الدينية ، وبيان حقيقة الدين لمن لا يستطيع معرفته من تلقاء نفسه .

(٣) ليس للكنيسة بعد ما تقدم سلطان فى محو الذنوب أو سترها ، أو تلقى الاعتراف بالذنب أو محوه .. فكل ذلك ليس لها فيه سلطان ، لأنه من عمل الديان . كذلك اعتبروا أن الصلاة لأجل الموتى لاتنفعهم ، لأنه ليس الانسان إلا ما سعى ، وأن شفاعة القديسين لا قيمة لها ، لأنها لا تغير عمل الشخص من طالح إلى صالح ، وأنما ذلك يرجع إلى عمل الشخص نفسه ، وتوبته ، وندمه على مافات حال حياته ، وهذا كله رد فعل لغلو الكنيسة ..

(٤) جعل الصلاة بلغة مفهومة وبألفاظ يعرفها العابد ليريد معانيها ، ويقصد مراميها ، فقد كانت صلاة القسيس بلغة لايفهما المصلون لكنها مقبولة لدى الكاثوليك ، لأن أساس ذلك أن عبادة القسيس عبادة لمن هم تحت سلطانه .

(٥) أما رأى البروتستنت فى العشاء الربانى فهو عبارة عن تذكر بفداء المسيح للخطيئة التى ارتكبها آدم ، وتحملت الخليقة من بعد وزرها وتذكر أيضا لمجيئه ليدين الناس ، فهو تذكار للماضى والمستقبل كماسبق ، ومن ثم فهم ينكرون أن يتحول الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه .

وهذا الرأى مخالف تمام المخالفة لبقية فرق المسيحية .

(٦) أنكر أولئك المصلحون لزوم الرهبنة التى يأخذ رجال الدين أنفسهم بها ويعتبرونها شريعة لازمة .. ولقد رأوا الخطر الذى ترتب على هذا الكبت ، وتعذيب النفس بدون

نص من الكتب فى القديم أو الجديد ، ورأوا انحراف رجل الدين لتركه الحلال ، وانطلاقه وراء اللذة الحرام .

(٧) منع البروتستنت اتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس والسجود لها ، معتقدين أن ذلك قد نهى عنه فى التوراة فقد جاء فى سفر التثنية :

« لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من أسفل ، وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب الهك غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، وأصنع احسانا إلى ألوف من محبى ، وحافظى وصاياى » ..

ولا شك أن مانهت عنه التوراة يجب الأخذ به مادام الجميع يؤمنون بالتوراة وكتب العهد الجديد ومادام لم يرد عن المسيح أو عن الرسل ما يبطل ما جاء فى التوراة .

ولقد أثبت الاستاذ أمين الخولى بالسند التاريخى أن ذلك التحريم قد قبسه النصارى المصلحون من نور الأسلام(١) ، وذلك مرجعه إلى الاتصال المعنوى بين المسيحية والاسلام :

فقد كانت الثقافة الاسلامية تقوم بدور المرشد الأمين ، فأمدت متعلمى القرون الوسطى بمادة كثيرة لدراستهم(٢) ، وأول ما بدأ ذلك الاتصال وكان بالتعلم من مسلمى الشرق والغرب الذين كانت بلادهم معاهد يتثقف فيها الخاص والعام ، ومرجع المستفيدين من الغربيين الذين لهم عناية بالعلم ، وقد كانوا بادئ الأمر قليلين ثم تكاثروا بأنتشار المعارف بينهم ... ثم تلا ذلك محاولة نقل المعارف إلى أنحاء أوربا فكان الناقلون لهذه المعارف العجيبة المدهشة أبناء عصرهم يتهمون بالسحر(٣)... حتى أذا جاء دور الترجمة من العربية ، نرى لها دوائر منظمة يؤديها ملوك شهيرون فى نواح

(١) راجع محاضرات فى النصرانية ص ٢٢٣ وما بعدها بتصرف واختصار .
(٢) فيير : كتاب تاريخ العالم ص ٩٩ ، نقلا عن : أمين الخولى : صلة الاسلام باصلاح المسيحية .
(٣) سديو : خلاصة تاريخ العرب ص ١٦٤ .

مختلفة من أوربا ، ففى صقلية ونابلى وطليطلة ، وقشتالة ، وفرنسا تقام تلك المعاهد ، ونرى ملوك أقوياء ، يبذلون جاههم ومالهم لحماية تلك الحركة .. ، ومن أكبر هؤلاء الملوك الغربيين : فردريك الثانى ، وهونشتاوفن الألمانى أمبراطور الدولة الرومانية ، وحاكم صقلية ، وألفونس الحكيم القشتالى ، وإجمالا فإن الثقافة الاسلامية كانت منتشرة فى جميع أنحاء أوربا فى القرن الثالث عشر الميلادى[1] - زمن حكم المسلمين للاندلس وما بعده - ..

وتبع هذا كله :

١- معرفة الأوروبيين للغة العربية

٢- الاتصال الفلسفى بين أوربا والأمم الاسلامية

٣- معرفة الأوروبيين للعلوم الدينية الاسلامية على وجه الخصوص[2] .

وإشارة إلى الأول يقول روجر باكون فى القرن الثالث عشر : « إن الفلسفة مأخوذة عن العرب فلا تفهم كما يجب إلا أذا عرفت اللغة التى أخذت[3] منها ، والعبرية واليونانية لازمتان لفهم الكتب المقدسة ، وفلسفة أرسطو ، فالعربية لازمة لفهم ابن سينا وابن رشد » .

أما عن الاتصال الفلسفى بين الغرب والمسلمين ، فإن أهم الموضوعات الفلسفية كان الجانب اللاهوتى (ميتافيزيقا) والفلسفة فى تلك العصور الوسطى كانت اسلامية القيادة ، فلم يلبث الغربيون بعد ما ذكرنا من اتصالهم بالاسلام عن طريق الأندلس أن عرفوا ودرسوا فلاسفة الاسلام جميعا من شرقيين وغربيين : كالكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، والغزالى ، وابن رشد وغيرهم[4] .

---

(١) فيور تتينو : خلاصة تاريخ الفلسفة : ٢٢٧/١ نقلا عن صلة الاسلام باصلاح المسيحية .

(٢) صلة الاسلام بالمسيحية ص ٣٧ .

(٣) الفريد جيوم : تراث الاسلام : ٢٣٥/١ من الترجمة العربية - نقلا عن المرجع السابق .

(٤) المصدر السابق ٢٥٣/١ ، ٢٣٩ .

ومن المهم أن نعرف سرعة اتصال الغرب بمفكرى الشرق فالغزالي (ت سنة ١١١١م) قد ترجم فى السنين الأولى من القرن الثانى عشر حوالى نصفه إلى اللاتينية .

وهكذا ظهر التأثير بالفلاسفة المسلمين فى تفكير المفكرين الغربيين فى أقصى أنحاء أوربا ، فكان يوحنا دنس سكوت فى القرن ١٣-١٤ يستوحى تأثير الارسطالية الاسلامية ، وبخاصة من ابن سينا ، كما تأثر به فى المانيا الفيلسوف إيكهارت[1] ... وتوما الاكوينى فى ايطاليا مدين لابن رشد كما تأثر بالغزالى[2] .

معرفة الأوروبيين بالعلوم الدينية الاسلامية : يتضح هذا من ترجمة القرآن إلى اللاتينية فى منتصف القـرن الثانى عـشر الميلادى رغبة فى نقده ومناقشته ، كما نجد القرآن نفسه يعرف فى أوربا ويقرأه قسيسون بالعربية خلال القرن الثالث عشر على ما ورد فى أحـدى رسـائل القسيس ريكولدو الايطـالى[3] (ت سنة ١٣٢٠م) .

تأثير الاسلام فى أوروبا :

جاء فى كتاب تراث الاسلام جـ ١ ص ٥٤ من الترجمة العربية مانصه :

« وقد استغرق تأثير الاسلام كل مرافق الحياة فى أسبانيا فى القرن العاشر . فلما سقطت طليطلة أنتشر هذا التأثير حتى شمل بقية أوربا ذلك أن هذه الاخيرة كانت قد أصبحت شيئا فشيئا مركز الثقافة الاسلامية فى القرن الحادى عشر بعد أن خرب البربر قرطبة فى أوائل هذا القرن ، وبقى لها هذا المقام بعد الغـزو المسيـحى سـنة ١٠٨٥م ... الخ » وابـن حزم الأنـدلسى من أهل القرن الحـادى عشـر[4] الميـلادى (ت ١٠٦٤م) .

---

(١) نقلا عن صلة الاسلام بأصلاح المسيحية ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

(٣) هنرى دى كاسترو : الأسلام خواطر وسوانح ص ١٥٦ من الترجمة العربية .

(٤) نقلا عن صلة الاسلام بأصلاح المسيحية ص ٤٩ هامش ١ .

تأثيرات الاسلام العامة فى حياة المسيحية الغربية :

أولا : الغض من سلطة الكنيسة ، والحد من سيطرتها على الحياة ، وقد بدأ هذا منذ وقت مبكر فى الشرق بسبب انتشار الاسلام ، اذ دخلت فى حمايته كنائس شرقية تمتعت بتساهل المسلمين ، فوجدت الفرصة لترويج آرائها الدينية التى كانت تحتسب عند الكنيسة المحافظة بدعا فصغرت بذلك قوة الكنيسة وأضعفت تماسكها ، ثم كانت الحروب الصليبية ، التى أثارتها حمية قوية ... فلم ينته القرن الثانى عشر ويبدأ القرن الثالث عشر حتى همد ذلك الحماس ... ، وتغير نظرهم للمسلمين وتقديرهم لهم .

ثانيا : تحرير العقل ، وهو السبب الفعال لتحديد السلطة الكنسية .

ثالثا : نفوذ الاسلام السياسى والروحى حيث توطن المسلمون فعلا أزمنة غير قليلة فى جنوب فرنسا ، وحيث عرف الفرنسيون الاسلام ، أو أعتنقه أشخاص منهم ، وحيث تجاور هذه المنطقة أسبانيا الاسلامية أقوى مصادر التأثير الاسلامى على أوربا ، وحيث كان يهاجر اليهود من أسبانيا حاملين آثار الثقافة الاسلامية .

وهكذا نجد مظاهر الاتصال بين الحركات الكنسية والثقافة الاسلامية(١) ، ليستشف الانسان المنصف التأثير الاسلامى على تفكير أهل أوربا .

أما الآثار الخاصة فنراها متمثلة فى مبادئ الاصلاح عند طائفة البروتستانت والأدلة على ذلك كثيرة منها :

أولا : رفض السلطة الكنيسة المتمثلة فى البابا أو المجامع . وهذه الفكرة ظهرت فى القرن الثانى عشر ، وثورة (جربرت دوفرن) الوثيق الصلة بالثقافة الاسلامية والبيئة الاسلامية فى أسبانيا ، ضد السلطة الكنسية ، وأعظم من كتب ضد الأساقفة ، ولم يكن

---

(١) انظر : صلة الاسلام باصلاح المسيحية ص ٥٤ وما بعدها بتصرف واختصار .

« جربرت » هذا سوى (البابا سلفستر الثانى)(١) وأعظم عيب وصمت به النصرانية هو : عبادة البابا ، ومسألة الاعتراف .

ثانيا : فكرة صكوك الغفران التى كانت تباع .. تناقض أصولا مشهورة صريحة فى آيات القرآن التى كانت مترجمة إلى اللاتينية واليونانية قبل الاصلاح بقرون ، ولا نستبعد أثر هذه الترجمة على وقع الفكر والآراء على الأعصاب ، والآيات المناهضة لفكرة بيع التوبة ، وكنوز الصالحين كثيرة .

قال الله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير »(٢) ..

وقوله سبحانه : « كل نفس بما كسبت رهينة »(٣) .

وقوله سبحانه : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت »(٤) .

وقوله تعالى : « يا أيها الناس أتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ..»(٥) .

إلى غير ذلك من آيات فى هذا المعنى كانت بين يدى الأوروبيين العارفين باللاتينية واليونانية ، ... وحين نسوق الشواهد على مبدأ « أن لكل نفس ماكسبت وعليها ما اكتسبت » ذلك المبدأ الذى لم يجنح القرآن إلى غيره ، يحسن أن نقول : إن العهد القديم مثلا لم يؤيد هذا المبدأ ذلك التأييد المطلق أذ ورد فى التوراة المنسوبة إلى موسى

(١) الخورى عيسى أسعد : الطرفة النقية فى تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٠٩ نقلا عن المرجع السابق .
(٢) فاطر : ١٨ .
(٣) المدثر : ٣٨ .
(٤) البقرة : ٢٨٦ .
(٥) لقمان : ٣٣ .

فى سفر التثنية : أصحاح : خمسة النص التاسع ضد هذا المبدأ حين تقول : « لأنى أنا الرب الهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء ، وفى الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضوننى » وفى سفر حزقيال من أسفار الأنبياء بعد موسى اصحاح ١٨ نص ٢٠ تأييد هذا المبدأ « النفس التى تخطئ هى تموت ، الابن لا يحمل من أثم الأب والأب لا يحمل من أثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون » ..

فتأييد الفكرة الأولى دون الثانية يحتاج إلى مرجع هو الاسلام على ما يبدو فى غير تكلف(١)..

وهكذا نرى أنكار السلطة الشخصية الفردية فى الدين وعدم الاعتراف لأحد بها من الخصائص الاسلامية ، التى تسربت إلى أوربا على لسان المسلمين ...

ثالثا : من أصول الاصلاح : أنه يكفى للنجاة تصحيح العقيدة فالنجاة منحة من الله يتلقاه كل إنسان من ربه رأسا بواسطة العقيدة دون العمل التوسطى للكنيسة فى ذلك اذ لا وساطة للكنيسة بين الله والناس .

رابعا : أن كلمة الله هى الضابط الوحيد : فالسلطة إنما هى للكتاب المقدس وحده وينبذ كل ما هو خارج عنه من آراء المجامع والآباء والتقاليد ، وهذه الفكرة شديدة الملائمة لروح التجديد الدينى .

خامسا : الاصلاح المسيحى فى تفسير الكتاب ، ومن له حق التفسير ، وكان رأى الاصلاح فيها : أن لكل مسيحى الحق فى التفسير خاصة المثقفين .

سادسا : مسألة الصور : وهذه قال عنها المذهب الأيكو نوكلاستى فى القرن الثامن الميلادى بإبطال عبادة الصور ورفعها من المعابد ، بل وصل إلى تدنيسها وتحطيمها ، ثم اتفق البروتستنيون جميعا على أبطال عبادة الصور ، وهذا المذهب قديم

---

(١) صلة الاسلام باصلاح المسيحية ص ٦١ هامش ٢ . وراجع ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ ص ١٣٨ ، ١٤٠ .

الصلة بالاسلام فى الشرق ومن ثم فإن أقوى حركة عرفها تاريخ المسيحية ضد عبادة الصور كان لها بالاسلام مثل ذلك الاتصال فى نشأة القائم بها وفى تفكيره ليون الثالث الايساورى امبراطور القسطنطينية ، وفى تفكيره ، والحركة الاسلامية التى سمعت خبرها فى تحطيم التماثيل هى التى قام بها الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك سنة (١٠٢ هـ = ٧٢٠م) وكانت حركة ليون المسيحية سنة (٧٢٦م) اذ كتب يزيد إلى حنظلة بن صفوان والى مصر أن يكسر الأصنام والتماثيل فكسرت كلها ، ومحيت من ديار مصر وغيرها فى أيامه(١) .

يتضح مما سبق من عرض هذه الحقائق الصلة الأكيدة بين الاسلام عقيدة وعملا وتفكيرا ، وبين البيئات الاصلاحية المسيحية فى أوربا فى العصور الوسطى .

ونختم الحديث عن الفرق النصرانية بأن الاسلام الحكيم قد حسم هذه المشاكل التى تراكمت عند القوم جيلا بعد جيل ، وتغلغلت فى النفوس .

أقول حسمها الاسلام فى كلمات وجيزة هادئة مخلصة حينما أخبر أن المسيح عليه السلام أرسله رب العالمين برسالة واضحة كل الوضوح محدودة كل التحديد تقوم على :

(١) الزهد ..

(٢) الأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفى لأن تقوم عليه الحياة .

(٣) الحث على الايمان باليوم الآخر واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبنى الانسان فى الدنيا ، اذ الدنيا ليست الا طريقا غايته الآخرة ، وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية(٢) .

---

(١) راجع : المصدر السابق ص ٦٤ وما بعدها باختصار وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ١/٢٥٠ ط / دار الكتب .

(٢) انظر محاضرات فى النصرانية ص ١٥ .

أما عقيدة المسيح عليه السلام :

فتتمثل فى التوحيد الخالص لله رب العالمين هذه الحقيقة سجلها القرآن الكريم فى حديث بينه وبين الخالق جل جلاله فيما يلى :

« واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك مايكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب .

ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد »[1] ..

فهل هناك نص أوضح وأبين من هذا ؟ اللهم لا .

إن عيسى عليه السلام يقر بعبوديته لله « أن هو الا عبد أنعمنا عليه »[2] . وأنه انما دعا الناس إلى عبادة الله وحده ، لكنهم غيروا وبدلوا وسيطرت عليهم نزعة الشيطان فأبعدتهم عن حظيرة الرحمن إن عيسى عليه السلام قد دعا إلى توحيد الله ، وما كان عيسى الا مرسل من الله رب العالمين .

واذ قد فرغنا من الحديث عن فرق اليهود و النصارى ، ننتقل بأذن الله إلى الحديث عن الفرق الاسلامية ونبدأ فى الحديث عن العلاقة بين علم الكلام والفرق .

علاقة علم الكلام بالفرق

تعريف علم الكلام :

عرفه ابن خلدون بقوله : « هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة »[3]

(١) المائدة : ١١٦ و١١٧ .
(٢) الزخرف : ٥٩ .
(٣) المقدمة : ٤٥٨ .

وعرفه الغزالى بقوله : « أنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله »(١) .

ويقول الايجى فى المواقف : « والكلام علمى يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ، ودفع الشبه » .

ثم يقول : « والمراد ... بالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ ، فإن الخصم وإن أخطأناه لا نخرجه من علماء الكلام »(٢) .

ويقول شارح المقاصد فى شرح تعريفه : « وهذا هو معنى العقائد الدينية أى المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم سواء توقف على الشرع أم لا ، وسواء كان من الدين فى الواقع ككلام أهل الحق ، أم لا ككلام المخالفين .. »(٣) .

ومن هذه التعاريف السابقة يتضح علاقة علم الكلام بالعقائد خاصة الدينية والرد إلى الحقيقة التى جاءت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بها يتحقق هذا بما ذكره الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله اذ قال :

« ويبدو لى أن البحث فى أمور العقائد كان يسمى كلاما قبل تدوين هذا العلم ، وكان يسمى أهل هذا البحث متكلمين .

فلما دونت الدواوين وألفت الكتب فى هذه المسائل أطلق على هذا العلم المدون ما كان لقبا لهذه الابحاث قبل تدوينها ، وعلما على المتعرضين لها »(٤) .

وقد تبين مما استدل به فضيلته على ذلك من أحاديث وأخبار أن هذه التسمية تضرب بجذورها إلى عهد بعيد ..

(١) المنقذ من الضلال ص ٨١ بتحقيق د / عبد الحليم محمود .
(٢) راجع : د. يحيى حسن فرغل : نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ١٢ .
(٣) المواقف : ١ / ٣٤ ، ٣٨ نقلا عن المرجع السابق .
(٤) تمهيد : ٢٦٥ عن نشأة الآراء والمذاهب ص ١٣ .

أخرج الهـروى عن جـابر بن عـبد الله قال : قال رسـول الله ﷺ « من تكلم فى الدين برأيه فقد أتهم » .

وأخرج عن جعفر بن محمد قال : « اذا بلغ الكلام إلى لله فأمسكوا » .

وأخرج عنه أنه قال : « تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش فإن قوما تكلوما فى الله فتاهوا » .

وأخرج عن مالك رضى الله عنه قال : قال : « أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم باحسان »(١) .

والمفهوم من هذه النصوص هو ما تدل على أن اسم متكلم ، ومتكلمين ، كان يتردد منذ صدر الاسلام ، وأنه غير خاص بمذهب معين ، أنما يطلق على كل أولئك الذين يأخذون من مسألة متصلة بالعقيدة موضعا للنظر والمباحثة والكلام .

ويقول الشهرستانى : « يمكن أن نقرر فى زمان كل نبى أن شبهات أمته فى آخر زمـانه ناشـئة من شبـهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين »(٢) .

جدال المشركين لرسول الله ﷺ :

أكثر المشركون من جدال رسول الله ﷺ ومنها ما ذكره ابن كثير فى تفسيره لسورة فصلت حتى قالوا لرسول الله ﷺ : « إن كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن

(١) نقلا عن نشأة الآراء .. ص ١٤ .
(٢) الملل والنحل : ٢٨/١ .

نفسك طلبنا لك الطب .. إلى آخر ما قالوا ..

لقد كان التنافس بينهم على أشده حتى (أن بنى قصى قالوا : فينا الحجابة فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا السقاية ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة فقلنا نعم ، ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى اذا تحاكت الركب قالوا : منا نبى .. إلى آخر ما قالوا[1] ..

تحيزهم لآبائهم وأجدادهم لقد جاء عتبة ، فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ . قال : فقال : أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله ﷺ . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك .

ومما لا شك فيه أن جدال المشركين يقوم على قضايا من الفلسفة أو الميتافيزيقا[2] .

جدال المشركين وأهل الكتاب رسول الله ﷺ ، فقد تلا عليهم : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » فبلغ ذلك عبد الله بن الزبعرى[3] ، فقالوا : سلوا محمداً أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ؟ فى السؤال سمة استعمال المقدمات والنتائج – فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم ، فظن المشركون أنه احتج وخاصم ، فقال رسول الله ﷺ : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهم مع من عبده » ونزل قوله تعالى : « ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جنهم » إلى قوله تعالى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون »[4] ..

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٣ / ٦٠ ، ٦١ .
(٢) راجع : نشأة الآراء والمذاهب .. ص ٢٨ .
(٣) أسلم بعد فتح مكة : سيرة ابن هشام : ٣٩/٤ .
(٤) تفسير ابن كثير : ١٣١/٤ ، ١٩٨/٣ . وأسباب النزول الواحدى ص ٢٢٩ .

ذم الكلام : أخرج شيخ الاسلام الهروى ، فيما ينقله عنه السيوطى من كتابه ذم الكلام عن أنس قال : « أرسل رسول الله ﷺ مرة رجلا من أصحابه إلى رأس من رؤس المشركين يدعوه إلى الله فقال له المشرك : هذا الاله الذى تدعو إليه ما هو ؟ من ذهب هو أو من فضة ؟ .. »

وأخرج عن مجاهد قال : « جاء يهودى إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد من أى شئ ربك ؟ أمن لؤلؤ هو(١) ؟ وقد خاصمه المشركون فى القدر أيضا(٢) .

وهذا النوع من التشكيك صادر من طرفى كفار قريش وكفار أهل الكتاب ، كأنهما تواصيا به(٣) ، واتفقا عليه .

ومما يدل على طرح هذه الاسئلة فعلا ما رواه الامام مسلم فى صحيحه فى باب الايمان عن أبى هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « لايزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله ؟ » .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : فبينما أنا فى المسجد اذ جاءنى ناس من الأعراب فقالوا : يا أبا هريرة هذا الله خلقنا فمن خلق الله ؟ فأخذ حصى بكفه فرماهم به ، ثم قال : « قوموا صدق خليلى ﷺ » ..

وقد ذكر مسلم فى هذا المعنى عدة روايات بعدة أسانيد جاء فى إحداها قول الرسول ﷺ : « فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله » .

وجاء قوله : « فمن بلغ ذلك فليستعذ بالله » .

هذا بالاضافة إلى تحدى اليهود بالاسئلة التى كانوا يطرحونها على رسول الله ﷺ فيجيب الوحى الكريم عليها .

---

(١) السيوطى : صون المنطق والكلام ص ٤٨ .
(٢) رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة .
(٣) نشأة الآراء والمذاهب .. ص ٢٩ .

وكان الدافع وراء جدال اليهود : الإنكار والجمود على القديم لقدمه ورفضهم للاستماع إلى الدين الجديد مهما يكن من أمره مع أن هذا الدين الجديد قائم على أسس مقبولة لديهم : فهو ينتمى إلى ملة ابراهيم عليه السلام ثم إنه صادر من نور النبوة التى يتحتم عليهم الايمان بها لو أخلصوا لدينهم حقا ، يدل على ذلك مايذكره الواحدى من أن قوله تعالى : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا » نزل فى رءوس يهود المدينة : كعب بن الأشرف ، ومالك بن الصيف ، وأبى ياسر بن أخطب(١) .. ومن هنا فيما يظهر كان رد القرآن عليهم بقوله :

« قل بل ملة إبراهيم حنيفا »(٢) ..

وبقوله : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا .. »(٣) .

فمما سبق يتضح أن الأحبار ركيزة هذا النفوذ ، والدين الجديد يهدد نفوذهم يدل على هذا ماذكره الواحدى من أن جماعة من اليهود كانوا يدعون محمدا ﷺ إلى المخاصمة لدى الأحبار فيرفض ، ويدعوهم إلي كتاب الله وكان ذلك سبب نزول قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون »(٤) .

ويـدل على ذلك أيضا ماذكره الرواة من أن عبد الله بن أبى كان ينشط لتسفيه كلام الرسول ﷺ وصده ، لما يخشاه على منزلته فى قومه من ظهور الاسلام واشتداد أمره(٥) .

---

(١) أسباب النزول ص ٢٧ .
(٢) البقرة : ١٣٥ .
(٣) البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧ .
(٤) أسباب النزول : ص ٧٠ .
(٥) البخارى : كتاب بدء الوحى ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٨٣/٣ .

جدال المسيحيين :

يتمثل في كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل ، ويركز على نقطة الاتفاق بين الطرفين وحسما للخلاف فقال :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »(١) ..

ولا يغيب عن الاذهان قصة المباهلة التي تمثل خاتمة هذا الجدل مع المعاندين منهم يقول ابن عبد البر : « جادل رسول الله ﷺ أهل الكتاب وباهلهم بعد الحجة »(٢) .

قصة المباهلة :

قدم وفد نجران إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فتناظروا مع اليهود ، وعلت أصواتهم : « وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ »(٣) .. وتلك خصومة في الجدال الديني وجدت بالمدينة في عصر الرسول ، ثم انتقلوا إلى الحوار مع الرسول الله ﷺ وكان فيهم العاقب أميرهم وصاحب مشورتهم والسيد إمامهم وصاحب رحلهم.

قال الرسول لهما : أسلما : قالا : أسلمنا قبلك . قال : كذبتما يمنعكما من الاسلام ادعاؤكما لله ولدا ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخزير . قالا : إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟ وخاصموه جميعا في عيسى عليه السلام .

فقال لهما النبي ﷺ : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه ؟ قالوا : بلى . قال : ألستم تعلمون أن ربنا حي لايموت ، وأن عيسى أتى عليه الفناء ؟ قالوا :

---

(١) البخاري : كتاب بدء الوحي ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩٩/٣ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله : ١٢٣/٢ .
(٣) أسباب النزول للواحدي .

بلى ، قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى . قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟ قالوا : لا . قال : فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث . قالوا : بلى ، قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبى ، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث ؟ ، قالوا : بلى ، قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسكتوا . فنزل فيهم آيات صدر صورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها(١) .

ويذكر ابن كثير فى البداية والنهاية أن الرسول ﷺ سألهم وسألوه ، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا : ما تقول فى عيسى ؟ فنزل فى ذلك قوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب .. »(٢) الخ الآية .

ولقد قرأها رسول الله ﷺ ، ثم دعا زعيمهم إلى المباهلة ، وأخذ بيد فاطمة ، والحسن والحسين فقال أحدهما لصاحبه : اصعد الجبل ولا تباهله ، فانك إن باهلته بؤت باللعنة . قال : فما ترى .. ؟ ، قال : أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله ، وانتهى الحوار إلى امتناع وفد نجران عن المباهلة خوفا من عواقبها(٣) .

واذا كانت هذه الاخبار التى ذكرناها مما يمكن أن نسميه حواراً بين الرسول ﷺ وأرباب الديانات الأخرى اقتضتها ضرورة الدعوة إلى الدين الجديد ، فإن هناك من الأخبار ما يدل على اتجاه بعض الصحابة إلى اجراء نوع من هذا الحوار بينهم وبين أهل الكتاب كان منهم :

الفاروق عمر رضى الله عنه . راجع أسباب النزول عند قوله تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله »(٤) .

---

(١) أسباب النزول ، والبخارى ومسلم .. وانظر تفسير ابن كثير : ٣٦٨/١ ط . الحلبى .
(٢) جـ ٣/٥٢ وما بعدها .
(٣) سيرة ابن هشام : ٢٠٦/٢ .
(٤) البقرة : ٩٧ .

وراجع مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٦ .

ويتضح مما سبق أن النبى ﷺ ما كان يلجأ إلى الحوار أو الجدل الا فى مقام دعوة الخصوم إلى الدين الجديد ، وصرفهم عن أباطيلهم ، اذا ما تبين له استعدادهم لذلك(١) .

ومما لاشك أن المسلمين تأثروا بمثل هذا الجدل حتى نجد المسلمين يستعملونه فيما بينهم :

روى الامام مسلم فى صحيحة فى كتاب العلم بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : هجرت إلى رسول الله – ﷺ – يوما ، فسمع صوت رجلين اختلفا فى آية فخرج يعرف فى وجهه الغضب ، فقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب » ..

وروى البخارى رضى الله عنه فى صحيحه فى كتاب « فضائل القرآن » قول الرسول ﷺ : « اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه » .

النهى عن الجدل فى القدر :

ورد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :

« خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يتراجعون فى القدر ، فخرج مغضبا حتى وقف عليهم ، فقال يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به »(٢) .

---

(١) نشأة الآراء والمذاهب .. ص ٣٥ .

(٢) صون المنطق للسيوطى ص ٣٥ . وراجع تاريخ الجدل للإمام محمد أبى زهرة .

النهى عن المراء فى الدين وذمه وإثارة مسائل الكلام

أخرج الهروى عن أبى الدرداء وأبى أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع قالوا :

خرج الينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع فى شئ من الدين فغضب غضبا شديداً لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا وقال : " يا أمة محمد لا تهيجوا على أنفسكم وضح النهار ثم قال : أبهذا أمرتكم ؟ أو ليس عن هذا نهيتكم ؟ أنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ثم قال : ذروا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فان نفعه قليل ، ويهيج العدواة بين الاخوان ، ذروا المراء لا تؤمن فتنته ، ذروا المراء فإن المراء يورث الشك ويحبط العمل ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى فكفى بك اثما أن لا تزال مماريا ، ذروا المراء فان الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاث أبيات فى الجنة فى وسطها ورياضها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ذروا المراء فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد ، ولكن رضى بالتحريش وهو المراء فى الدين ، ذروا المراء فإن بنى اسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وان أمتى ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم على الضلال إلا السواد الأعظم ، قالوا : يا رسول الله ومن السواد الأعظم ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى ﷺ (١) .

والنتيجة التى نستخلصها من هذه الأحاديث : أن التساؤل والجدل كان يلح على بعض المسلمين فى عصر الرسول ﷺ ، وكان يبذر بذوره فى البيئة الاسلامية منذ فجرها الأول ، وأن الرسول ﷺ كان ينبههم إلى أن دواعى الجدل ليست متوافرة لديهم فهم فى " وضح النهار" هم فى فترة حياتهم مع الرسول ﷺ فى مرحلة النقاء والصفاء ، ومصدر الوحى قائم بين ظهرانيهم يرجعون إليه متى يشاءون ، فإذا لجأوا إلى

---

(١) السيوطى : صون المنطق ص ٣٥ .

الجدل كانوا متعمدين لإيقاع التنازع بين جماعة المسلمين ، وإذا كان من بعدهم سيتعرضون لبلاء الفتنة بالجدل ، فلا ينبغى أن يصنعوها بأنفسهم ، فإن كانت ولابد واقعة فليؤخروا وقوعها ما أمكنهم فإذا داهمتهم كان عليهم أن يواجهوها بمثل ما كان الرسول ﷺ يواجه به جماعات المشركين وأهل الكتاب (١) .

حديث كونى :

جاء فى حديث أبى رُزَيْن قال : " يا رسول الله أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه ؟ فقال : كان فى عماء ، تحته هواء ، وفوقه هواء ، وفى رواية كان فى (٢) عما "

---

(١) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ٣٧ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير : ٣ /٣٠٤ ط . الحلبى والعماء بالفتح والمد السحاب ، وأما بالقصر فالمعنى ليس معه شئ وقيل : هو كل أمر لا تدركه عقول بنى آدم ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن كذا فى النهاية ، والذى يعنى فى هذا المقام هو الاستدلال على وجود مادة من الحديث أو تنسب إليه كان من شأنها إثارة مسائل الكلام : اقرارا أو مدافعة . أما الرأى فى توجيه معنى هذا الحديث . أو مثله من الاحاديث المشكلة فقد جاء فى البخارى بسنده فى كتاب التوحيد أن ناسا من اليمن دخلوا على رسول الله ﷺ فبشرهم : (.. قالوا جئناك لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال : كان الله ولم يكن شئ قبله) يقول الاسفرايينى فى التبصير ص ٩٣ شارحا " (.. وهذا يوجب وجود الكون فى جميع الأحوال) .

ويقول الامام الرازى شارحا أيضا لمثله ، ولم يكن معه شئ (انه تعالى لو كان مختص بالحيز والجهة لكان ذلك الحيز شيئا موجودا معه وذلك على نقيض هذا النص) .

وروى الأمام الرازى أن النبى ﷺ قيل له أين كان ربنا ؟ . قال : (كان فى عماء ليس تحته ماء ولا فوقه هواء) فقيل العماء بالمد الغيم الرقيق ، ويرجع بعض العلماء أن تكون الرواية فى عما لتدل على نفى الجهة فتصح . أنظر أساس التقديس للامام الرازى ص ٣٩ ، ٤٠ .

ويذكر ابن قتيبة عن الحديث الأخير بروايته الأولى أنه مختلف فيه ، ثم يقول : (إنه جاء من غير هذا الوجه – يعنى السند الذى ذكره – بألفاظ تستشنع أيضا) فكأنه يستشنع هذا الحديث ، ونتيجة ذلك ان الحديث موضع التردد عند واحد من أهل الرواية وواحد من أهل الرأى وهذا يدل بوضوح الأسئلة التى كانت تطرح على رسول الله ﷺ عن الله جل جلاله – راجع تأويله مختلف الحديث لابن قتيبه ص ٢٢٢ ، وعوامل وأهداف نشأة علم الكلام جـ ٢ ص ٥١ .

فعلى رواية المد (عماء) أى السحاب ، وان كان مقصورا كأنه عمى . فانه أراد كان فى عمى عن معرفة الناس كما تقول : (عميت عن هذا الأمر ، فأنا أعمى عنه عمى) ..

إذا أشكل عليك فلم تعرفه ولم تعرف جهته ، وكل شئ خفى عليك فهو فى عمى عنك(١) .

وسؤال آخر عن الله سبحانه : روى ابن الخطيب البغدادى بسنده : (ان المشركين قالوا للرسول ﷺ : أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى : (قل هو الله أحد الله الصمد) قال : الصمد الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شئ يولد الا ويموت وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث ، ولم يكن له كفوا أحد : لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شئ » - رواه عبدالله بن أبى جعفر الرازى عن أبيه عن الربيع عن النبى ﷺ (٢)

سؤال عن علم الغيب :

ذكر ابن قيم الجوزية حديثا طويلا فى قدوم وفد بنى المنتفق على رسول الله ﷺ - رواه عن عبد الله بن أحمد بن حنبل - رضى الله عنهما - فى مسند أحمد جاء فيه : أن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب يقال له نُهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق حتى قدم على رسول الله ﷺ فسأله لقيط عن علم الغيب فدله على أن الله سبحانه استأثر بمفاتيح خمس من الغيب ، هن : علم المنية ، وعلم المنى حين يكون فى الرحم ، وعلم ما يكون فى غد ، وعلم يوم الغيث ، وعلم يوم الساعة ، قال لقيط : فقلت يا رسول الله فكيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع ؟ قال : أنبيك بمثل ذلك فى آلاء الله ، الأرض أشرفت عليها وهى فى مدرة (٣) بالية ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما ، حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة ، ولعمر إلهك لهو

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٢٢٢.

(٢) راجع تاريخ بغداد : ٣ / ٢٨١ .

(٣) المدرة واحدة المدر محركة وهى قطع من الطين اليابس . القاموس المحيط .

أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء (١)، ومن مصارعكم ، فتنظرون إليه وينظر إليكم قال : قلت : يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟ قال : أنبيك بمثل هذا فى آلاء الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويرانكم ساعة واحدة ولا تضامون فى رؤيتهما .. وأخذ لقيط يسأل بعد ذلك عما يحدث فى الموقف ، وعن الجنة والنار ما هما وما وصفهما ، وما يحدث فيهما ، ولما انصرف لقيط وصاحبه قال الرسول ﷺ : ان هذين من أتقى الناس فى الأولى والآخرة .. وعقب ابن قيم الجوزية على هذا الحديث بقوله :

هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يعرف الا من حديث عبد الرحمن ابن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيرى وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما فى الصحيح احتج بهما امام أهل الحديث محمد بن اسماعيل البخارى ، ورواه أئمة أهل السنة فى كتبهم وتلقوه بالقبول ، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا فى أحد من رواته (٢) .

حقيقة الايمان :

روى ابن كثير فى البداية والنهاية عن أبى نعيم فى كتابه (معرفة الصحابة) حديثا مسندا إلى سويد بن الحارث قال :

(وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله ﷺ ، فلما دخلنا عليه قال : من أنتم ؟ قلنا : مؤمنون فتبسم رسول الله ﷺ وقال : " ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم ؟ قلنا خمس عشرة خصلة : خمس أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها ،

---

(١) لعلها من الصوة التى من معانيها ما غلظ وارتفع من الأرض ، وهى تجمع على صوى وأصواء جمع الجمع . القاموس المحيط .

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية : ٣ / ٥٤ - ٥٧ ط الحلبى .

وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها إلى أن تكره منها ، فقال رسول الله ﷺ : " وما الخمسة التى أمرتكم رسلى أن تؤمنوا بها ؟ " قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله والبعث بعد الموت . قال : (والخمسة التى أمرتكم أن تعملوا بها ؟) قلنا : أمرتنا أن نقول : لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا ، فقال : وما الخمسة التى تخلقتم بها فى الجاهلية ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق فى مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالاعداء .. فقال رسول الله ﷺ : "حكماء علماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء" .. ثم قال : " أنا أزيدكم خمسا فيتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون : " فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا فى شئ أنتم عنه غدا تزولون ، واتقوا الله الذى إليه ترجعون ، وأرغبوا فيما عليه تقدمون ، وفيه تخلدون (١)) ..

فهذه الحقائق التى وردت فى هذا الحديث انما كانت جوابا : عن سؤال : ما حقيقة الإيمان؟

ومن ثم فإن الرسول ﷺ كانت توجه إليه الاسئلة من عدة جبهات : المشركين ، وأهل الكتاب ، ومن المسلمين .

مجادلة القرآن للمخالفين :

بالاضافة إلى اجابة رسول الله ﷺ على الأسئلة التى كانت توجه إليه ، فإن القرآن كان يجادل المخالفين ليقلعوا عن مخالفتهم ، وإلا فقد حكموا على أنفسهم بأنفسهم قال الامام الشيخ مصطفى عبد الرازق :

(كان .. القرآن يجادل مخالفيه من أرباب الديانات والملل وفى العرب ردا للشبهات التى كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد ، على أنه كان لا يمد فى حبل الجدل

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ٥/ ٦١ ، ٩٤ .

حرصا على الألفة ....) وفى قوله (هذا الجدل فى العقائد عرض له القرآن للحاجة ، وعلى مقدارها من غير أن يشجع المسلمين على المضى فيه (١)).

ومما سبق نتبين أن بذور التفكير فى مسائل العقيدة ظهرت فى وقت مبكر من دعوة الاسلام ، وأكبر دليل على هذا حركة الردة التى أطلت بوجهها القبيح على أرض الجزيرة العربية عقب وفاة النبى ﷺ.

ظهور الجدل فى عصر الصحابة رضى الله عنهم :

مما لا شك فيه أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كان عندهم قدر من معرفة الجدل ، والقدرة على الاقناع فهذا أبوبكر الصديق رضى الله عنه يقول فى مقام الكلام عن مخالفة الله تعالى للحوادث :

(العجز عن درك الادراك ادراك) ويشرح قوله بأنه : إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب والقياس على الخلق صح عندك أنه خلاف المخلوقات (٢) .

جدال ابن عباس للخوارج :

وهذا ابن عباس رضى الله عنه يخاطب ابن عمه على بن أبى طالب فى شأن الخوارج ، فيذهب لجدالهم بتوجيه من ابن عمه على بن أبى طالب أمير المؤمنين رضى الله عنه .. روى ابن عبد ربه فى كتاب جامع بيان العلم وفضله : قال ابن عباس للخوارج : ماذا نقمتم عليه ؟ أى على أمير المؤمنين قالوا : ثلاثا . قلت : ماهن ؟ قالوا : حكم الرجال فى أمر الله ، وقال : ان الحكم الا لله : قال : فقلت : هذه واحدة ، وماذا أيضا ؟ قالوا : فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ، ولئن

(١) التمهيد فى تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١١٥ نقلا عن نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ٤٢ .

(٢) التبصير فى الدين عن نشأة الآراء والمذاهب ص ٤٥ .

كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم . قال : قلت وماذا أيضا ؟ قالوا : ومحا نفسه من أمير المؤمنين فان لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين . قال : قلت : أرأيتكم ان أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون ؟ قالوا : وما لنا لا نرجع ؟ قال : قلت : أما حكم الرجال فى أمر الله فان الله قال فى كتابه :

"يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) " المائدة : ٩٥ .

وقال فى المرأة وزوجها " وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها " النساء : ٣٥ .

فصير الله ذلك إلى حكم الرجال ، فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال فى دماء المسلمين واصلاح ذات بينهم أفضل أو فى حكم أرنب ثمنه ربع درهم ، وفى بضع أمرأة . قالوا : بلى هذا أفضل ، قال : أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم ، قال : فأما قولكم قاتل فلم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة ؟ فان قلتم نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم . وان قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم فأنتم تترددون بين ضلالتين . أخرجت من هذه ؟ قالوا : بلى ، قال : وأما قولكم محا نفسه من إمرة المؤمنينفأنا آتيكم بما ترضون به ان نبى الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : (اكتب يا على : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو ما نعلم أنك رسول الله ولو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك قال رسول الله ﷺ : اللهم إنك تعلم أنى رسولك أمح يا على ، واكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله ، وأبو سفيان وسهيل بن عمرو .

قال : فرجع ألفان وبقى بقيتهم فخرجوا (١) فقتلوا .

ويروى أن أبا موسى الأشعرى ناظر القائلين : كيف يُقَدِّر عَلَىَّ شيئا ثم يعذبنى عليه ؟ قائلا لهم : قدّر حيث علم ، وعذب حيث لم يظلم (٢) .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله : ٢ /١٢٧ ، والكامل للمبرد : ٢/١٢٠ ، وتاريخ الجدل ص ١٦٦

(٢) اشارات المرام للبياض ص ٣٣ نقلا عن نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ٤٨ .

ويقول الشهرستاني (١) : (.. سمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه كان يقر عين ما يقرر الأشعرى أبو الحسن فى مذهبه . وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه ، فقال عمرو : أين أجد أحدا أحاكم إليه ربى ؟

فقال أبو موسى : أنا ذلك المتحاكم إليه ، فقال عمرو : أو يقدر على شيئا ثم يعذبنى عليه ؟ قال : نعم . قال عمرو : ولم ؟ قال : لأنه لا يظلمك فسكت عمرو ولم يحر جوابا) .

وناظر عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الايمان .

قال عبد الله : لو قلت إنى مؤمن لقلت إنى فى الجنة . فقال له يزيد بن عميرة : يا صاحب رسول الله هذه زلة منك ، وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان ، وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ، ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة ، فمن أجل ذلك نقول : إنا مؤمنون ، ولا نقول إنا من أهل الجنة ، فقال ابن مسعود : صدقت (٢) .

سأل رجل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى مسجد الكوفة : هل تصف لنا ربنا فنزداد له حبا ؟ فغضب عليه رضوان الله ونادى (الصلاة جامعة) :

فحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال : (فكيف يوصف من عجزت الملائكة مع قربهم من كرسى كرامته أن يعلموا من علمه إلا ما علمهم .. فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته .. وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك فى الكتاب فرضه ولا فى سنة النبى ﷺ أثره ، فكل علمه إلى الله تعالى فانه منتهى حق الله عليك (٣) .

وبعد : فقد كان مما يروى عن الصحابة رضوان الله عليهم من كلامهم فى مسائل تعد من أساس علم الكلام : فى الذات والصفات والسمعيات ، والايمان والاسلام والكفر

---

(١) الملل والنحل : ١ /٨٥ ، ٨٦ .

(٢) الامام الغزالى : احياء علوم الدين : ١ /٧١ .

(٣) ايثار الحق لابن المرتضى ص ٩٦ نقلا عن نشأة الآراء والمذاهب ص ٥١ .

والجدل بوجه عام . مما ساعد على ظهور الفرق والتعارض فى المفاهيم كلما تقادم الزمن .

السبب المباشر فى ظهور الفرق :

دخول قوم خلصت قلوبهم من ادران التقليد والعصبية ، وصفت نفوسهم لما يدعوهم إليه رسول الايمان وأطمأنت خوالجهم إلى أمانة هذا الرسول الكريم وصدقه ، فعضوا على ما دعاهم إليه بالنواجز ، واستمسكوا منه بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها وكرهوا الشرك وما كان يعبد اباؤهم .. ورأوا رسول الله ﷺ وصحبوه فأحبوه فوق ما يحبون اباءهم وأبناءهم ، وفدوه بالأنفس والأموال ..

ودخل فى الاسلام – بجانب هؤلاء – أصناف :

أولهم : جماعة من العرب ساقهم إلى الاسلام – حين جاء فتح الله والنصر – دخول قومهم فيه فدخلوه تقليدا وانسياقا مع الجمهور ولم تكتحل أعينهم برؤية صاحب الرسالة ، ولا انشرحت صدورهم بسماع تعاليمه منه ولا صفت قلوبهم من اثار جاهليتهم .. ، فكان سواء لديهم انتصرت الدعوة الاسلامية أم لم تنتصر ..

وثانيهم : جماعة من عامة أهل الأديان الأخرى وعلى الأخص اليهودية والمجوسية دخلوا فى هذا الدين أيام الفتوح التى اخضعت الدولتين الكبيرتين اليونانية والفارسية ، فرارا من حكم الاسلام على من يبقى على دينه منهم ، ولم تخالط بشاشة هذا الدين قلوبهم ..

وثالثهم : جماعة من دعاة أهل الأديان الأخرى ، وذوى الخب والمكر منهم وعلى الأخص اليهودية والمجوسية ومنهم الشعوبية(١) أيضا تظاهروا بالدخول فى الدين الجديد

---

(١) الشعوبية : دعوة زائفة للتعصب للماضى البائد ، وإحياء رواسبه السامة ، ويتلخص دور الشعوبية فى : أن دعاتها يتسللون بألوان تخفى هويتهم ، فمرة يتظاهرون بالتفانى فى خدمة الدولة الاسلامية .. ومرة تحت ستار التشيع لآل على بن أبى طالب ، كما اندسوا فى فرق الخوارج والمرجئة فظهرت حركتهم فى (أبى مسلم الخرسانى والفضل بن سهيل ، والبرامكة) كما أظهرت سمومهم طائفة القرامطة وما جرته من ويلات على المجتمع الإسلامى والهدف : منازعة المسلمين مكانتهم السامية التى وصلوا اليها دون ريبة أو طغيان ، ويقبع مركز الشعربية فى فارس حيث كانت تعبر العراق لشن مؤامراتهاالدنيئة على شبه الجزيرة العربية .. راجع : المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية . د/ ابراهيم العدوى .

وهم يضمرون فى أنفسهم الكيد والمكر والخديعة ، ويتحينون الفرصة للانتقاض على هذا الدين الذى بسط سلطانه على رقعة الأرض المعروفة يومذاك ويعملون فى الخفاء لايجاد هذه الفرصة .. فتارة يلبسون للناس مسوح الصلاح وتارة مسوح الحرص على تعاليم الدين لايجاد هذه الفرصة .. وتارة يلبسون مسوح محبة رسول الله ﷺ وآل بيته ، وكان منهم : من يؤولون فى تعاليم الشريعة ، ويدخلون فيها ما ليس منها ، ويضعون على الرسول أحاديث تؤيد دعاويهم ، وكان هذا هو الأصل الأصيل فى الفرقة التى حدثت فى الاسلام ، وهو غض طرى لم يكتمل عليه قرن واحد ، وهو السر فى عجز المؤمنين الخالص عن رد كيد هؤلاء الماكرين إلى نحورهم ، ومن ثم فقد أثاروا جمهور الناس وكثرتهم وبعثوا فى نفوسهم الحماس لما يدعونهم وثورة الجماهير - كما يقولون - مجنونة لا عقل لها .

وبالإضافة إلى حديث الترمذى الذى يتحدث عن افتراق أمة محمد ﷺ ، وأمته مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، فيجب أن يتحدث فى كل عصر عن الفرق التى نجمت فى هذه الأمة من أول أمرها إلى الوقت الذى يتحدث فيه المتحدث ، لكشف زيفها ووقوع هذا الاختلاف كما أخبر ﷺ ، والله تعالى يؤيده ومن تأييده وقوع الأمر على الناس وفق ما أخبر (١) به ﷺ قبل أن تنبت فى الرؤوس ، وتلك خصائص النبوة ، ومزايا الرسالة ، وقد أخبر ﷺ لتتنبه الأذهان ، وتنجو من الوقوع فى براثنها ، لا أن تعشش فى رؤوسهم وتؤثر فى وحدتهم ومجتمعهم وهنا ندخل إلى الأصول التى اختلفت الفرق حولها :

---

(١) راجع للاسفرايينى : الفرق بين الفرق - المقدمة - تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

السبب فى تعدد الفرق الاسلامية (١) :

ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما ، فى مسألة ما يعد صاحب مقالة ، أو فرقة .. ومن ثم فلابد من ضابط فى مسائل هى أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعد صاحبه صاحب مقالة ، وهذه الاصول أو القواعد هى التى دار حولها تعدد الفرق واختلافها ، وتنحصر فيما يلى :

الأصل الأول : الصفات والتوحيد فيها . وهى تشتمل على :

الصفات الأزلية ، اثباتا عند جماعة ، ونفيا عند أخرى ، وبيان صفات الذات وصفات الفعل ، وما يجب لله تعالى ، وما يجوز عليه ، وما يستحيل ، وفيها الخلاف بين الاشعرية والكرامية ، والمجسمة ، والمعتزلة .

---

(١) واختلاف المسلمين تتلخص فى أمور :

(أ) العصبية العربية ... التى ذمها الإسلام فقال ﷺ " ليس منا من دعا إلى عصبية ، ليس منا من قاتل على عصبية ، ليس منا من مات على عصبية " .

(ب) التنازع على الخلافة وطلب الملك ...

(جـ) دخول طوائف كثيرة فى الاسلام من أصحاب الديانات القديمة والملل والنحل السابقة .

(د) مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات القديمة ، وسريان كثير من أفكار أولئك إلى المسلمين خصوصا ..

(هـ) محاولة أعداء الإسلام إفساد الأمر بين المسلمين ، فقد نشروا بينهم أهواء ضالة وافكارا باطلة كما كان يفعل الزنادقة والشعوبية والقرامطة .

(و) ترجمة الفلسفة فى آخر العصر الأموى والعباسى .

(ز) استنباط الأحكام الاسلامية ..

(ح) القصص الذى ظهر فى عصر الشهيد عثمان رضى الله عنه وكرهه على بن ابى طالب حتى أخرج القصاص من المساجد ... راجع تاريخ الجدل ص ٧٧ - ٨١ مرجع سابق .

الأصل الثانى : القدر والعدل فيه وتشتمل على :

القضاء ، والقدر ، والجبر والكسب ، وارادة الخير والشر ، والمقدور ، والمعلوم اثباتا عند جماعة ، ونفيا عند أخرى ، وفيها الخلاف بين : القدرية ، والنجارية ، والجبرية ، والاشعريةوالكرامية .

الأصل الثالث : الوعد ، والوعيد ، والأسماء ، والأحكام وهى تشتمل على :

الايمان ، والتوبة ، والوعيد ، والارجاء ، والتفكير والتضليل ، اثباتا على وجه عند جماعة ، ونفيا عند أخرى ، وفيها الخلاف بين المرجئة ، والوعيدية ، والمعتزلة والاشعرية ، والكرامية.

الأصل الرابع : السمع والعقل ، والرسالة ، والأمانة ، وهى تشتمل على :

التحسين والتقبيح ، والصلاح ، والأصلح ، واللطف ، والعصمة فى النبوة ، وشرائط الامانة نفيا عند جماعة واجماعا عند جماعة ، وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها على مذهب من قال بالاجماع ، والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج ، والمعتزلة ، والكرامية ، والاشعرية .

فإذا انفرد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه الأصول ، عدت مقالته مذهبا وجماعته فرقة ، وان وجد من انفرد بمسألة ، فلا تكون مقالته مذهبا ، وجماعته فرقة ، بل يكون مندرجا تحت واحد ممن وافق سواها مقالته وردت باقى مقالاته إلى الفروع التى لا تعد مذهبا ، حتى لا تذهب المقالات إلى غير النهاية ، معنى هذا أن كل مقالة لها جذور تمتد إليها ، فإذا تعينت هذه الأصول أو المسائل سبب الخلاف ، وضحت أقسام

الفرق الاسلامية ، وانحصرت فى اربع [1] ، وهى :

كبار الفرق الاسلامية :

(١) الشيعة . (٢) الخوارج .

(٣) الصفاتية [2] . (٤) القدرية (أو المعتزلة).

(٥) أهل السنة والجماعة .

ثم يتركب بعضها مع بعض ، ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة .

الشبه التى وقعت فى عهد النبى ﷺ ، والرد عليها :

وقبل الحديث عن هذه الفرق الكبرى بإيجاز ، نذكر أول شبهة وقعت فى الاسلام ، وكيف تشعبت ، ومن مصدرها ، ومن مظهرها .

فى زمان كل نبى ، وبدور كل صاحب ملة ، وشريعة :

ان شبهات أمته فى آخر زمانه ، ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين . وان خفى علينا ذلك فى الأمم السابقة ، لبعد الزمان ، فلم يخف فى هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقى زمن النبى ﷺ .

إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى ، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى ، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه ، والسؤال عنه ، وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه .

---

(١) راجع الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ١٢ وما بعدها بتصرف .

(٢) سنخصها بحديث فى الطبعة التالية (إن شاء الله) .

وإليك طائفة من الشبهات التى وقعت فى حياة النبى ﷺ :

الشبهة الأولى :

وقعت من ذى الخويصرة التميمى إذ قال : اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ، حتى قال عليه الصلاة والسلام :

" ان لم اعدل فمن يعدل ؟ فعاود اللعين وقال : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى " .

وذلك خروج صريح على النبى ﷺ ، ولو اعتبرنا المعترض على الامام الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول ﷺ أحق بأن يكون خارجيا من باب أولى ؛ لأن فى هذا الاعتراض القول بتحسين العقل وتقبيحه ، وحكما بالهوى فى مقابلة النص ، واستكبارا على الأمر بقياس العقل ، حتى قال عليه الصلاة والسلام :

(سيخرج من ضئضئ (١) هذا الرجل قوم يمرقون (٢) من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية ..) .

الشبهة الثانية :

وقعت من المنافقين يوم أحد إذ قالوا : "هل لنا من الأمر (٣) من شئ" وقولهم :" لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا هاهنا (٤) " وقولهم : (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) (٥) .

فهل ذلك الا تصريح بالقدر ؟ وقول طائفة من المشركين :

---

(١) الضئضئ : الجنس والأصل ، والمحتد ، يقال : فلان ضئضئ صدق : أى من محتد صدق . المعجم الوسيط .

(٢) يمرق من الدين : يخرج منه – الملل والنحل جـ ١ ص ٢٠ هامش ١ .٢ .

(٣) آل عمران آية ١٥٤

(٤) ، (٥) آل عمران : آية ١٥٥ – ١٥٦ .

(لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ) ، وقول طائفة : (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) (١) فهل هذا الا تصريح بالجبر ؟

الشبهة الثالثة :

حال طائفة ثالثة ، جادلوا فى ذات الله تفكيرا فى جلاله وتصرفا فى افعاله حتى منعهم ، وقوفهم بقوله تعالى : " ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال (٢)) – ومعنى المحال : القوة والأخذ .

فهذا ما كان فى زمانه عليه الصلاة والسلام وهو على قوته ، وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون الكفر، وإنما يظهر نفاقهم بالاعتراض فى كل وقت على حركاته وسكناته ، فصارت الاعتراضات كالبذور ، وظهرت منها الشبهات كالزرع .

بعد أن استأثر الله بنبيه ﷺ وقد أكمل له ولنا دينه ، ، وأتم عليه وعلينا نعمته كما قال سبحانه : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (٣)) ..

وما من شئ فى الدنيا يكمل الا وجاءه النقصان ، ليكون الكمال الذى يراد به وجه الله خاصة وذلك العمل الصالح والدار الآخرة ، فهى دار الكرامة الكاملة التى أعدها الله لعباده المؤمنين المتقين .

روى الامام أحمد بسنده عن أنس قال :

(لما كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شئ ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منهاكل شئ . قال : وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا (٤)) .

---

(١) يس آية ٤٧ . (٢) الرعد ١٣ . (٣) المائدة ٣ .

(٤) قال عنه ابن كثير : اسناده صحيح على شرط الصحيحين . راجع للقاضى أبى بكر بن العربى – العواصم من القواصم ص ٣٧ – تحقيق : محب الدين الخطيب ط الخامسة ١٣٩٩ هـ .

واضطربت الحال ، ثم تدارك الله الاسلام ببيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فكان رجل الساعة فقد كان المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ على منهاج واحد فى أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا (١) .

الأختلافات التى وقعت فى مرضه ﷺ والرد عليها :

أما الاختلافات التى وقعت فى حال مرضه عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته بين الصحابة رضى الله عنهم فهى اختلافات اجتهادية كما قيل ، كان غرضهم منها : اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين .

الاختلاف الأول :

عند موته ﷺ ، حيث زعم قوم منهم أنه لم يمت ، وإنما أراد الله رفعه إليه كما رفع عيسى ابن مريم إليه ، وزال هـذا الخلاف ، وأقر الجـميع بموته حيـن تلا عليهم أبو بكر رضى الله عنه ، قول الله لرسوله ﷺ :

"إنك ميت وإنهم ميتون (٢) .

وقال لهم : من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حى لا يموت .

الاختلاف الثانى :

فى موضع دفنه ﷺ ، فأراد أهل مكة رده إلى مكة ، لأنها مولده ومبعثه وقبلته ، وموضع نسله ، وبها قبر جده إسماعيل عليه السلام ، وأراد أهل المدينة دفنه بها ، لأنها

(١) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفراييني : الفرق بين الفرق ص ١٤ . ١٥ .

(٢) الزمر ٣٠ .

دار هجرته ودار أنصاره وقال آخرون بنقله إلى أرض القدس ، ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده ابراهيم الخليل عليه السلام ، وزال الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن النبى ﷺ :

" إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون " فدفنوه - ﷺ فى حجرته بالمدينة .

الاختلاف الثالث :

فى الامامة : كانت الأنصار قد أذعنت على بيعة سعد بن عبادة الخزرجى الذى شهد العقبتين ، كما شهد بدرا ، وكان مشهورا بالكرم هو وأبوه وجده ، وكانت معه راية الأنصار يوم الفرقان .

لكن قريشا قالت : إن الامامة لا تكون الا فى قريش ، ثم أذعنت الانصار لقريش لما روى لهم قول النبى ﷺ (الأئمة من قريش) .

وهذا الخلاف باق إلى اليوم ، لأن ضرارا أو الخوارج قالوا : بجواز الامامة فى غير قريش (١) .

الاختلاف الرابع : فى أرض فدك (٢) ، وفى توريث التركات عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم نفذ فى ذلك قضاء أبى بكر بروايته عن النبى ﷺ "ان الانبياء لا يورثون".

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٥.

(٢) فدك : قرية تقع فى شمال المدينة كانت لليهود ، ولما انهزم يهود خيبر خشى يهود فدك على أنفسهم فسلموا قريتهم للنبى ﷺ دون قتال ، فكانت خالصة له ينفق منها على نفسه ، وعلى بعض المحتاجين من بنى هاشم ، قضى أبو بكر أنها لا تورث ، ثم سلمها عمر للعباس وعلى يليانها ولا يملكانها - انظر الملل والنحل : ١ /٢٣ هامش والفوق بين الفرق ص ١٥ هامش : ٣ .

الاختلاف الخامس : حول من يتولى الامامة

اجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون ولا يدرون ماذا يفعلون ، وبلغ ذلك الخبر المهاجرين ، فقالوا نرسل إليهم يأتوننا فقال أبو بكر : بل نمشى إليهم . فسار إليهم المهاجرون منهم : أبو بكر وعمر وأبوعبيدة ، فتراجعوا الكلام فقال بعض الانصار : وهو الحباب بن المنذر : منا أمير ومنكم أمير .

فقال أبو بكر كلاما كثيرا مصيبا منه : نحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، ان رسول الله ﷺ قال : (الأئمة من قريش) . وهذا الحديث فى كتاب الاحكام من صحيح البخارى . عن معاوية رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

"ان هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين [1]" .

وقال أبو بكر أيضا : إن الرسول ﷺ قال :

(أوصيكم بالأنصار خيرا : أن تقبلوا من محسنهم وتتجاوزا عن مسيئهم [2]) .

أن الله سمانا : " الصادقين [3] وسماكم : المفلحين [4]) " وقد أمركم ان تكونا معنا حيثما كنا فقال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين [5]).

فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت وبايعوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه .

---

(١) راجع العواصم من القواصم ص ٤٣ وقد ذكر عدة روايات لهذا الحديث كلها صحيحة .

(٢) صحيح البخارى : كتاب مناقب الانصار .

(٣) ، (٤) إشارة إلى قوله تعالى : " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون" .

" والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" . سورة الحشر اية رقم ٨ ، ٩ .

(٥) التوبة ١١٩ .

الاختلاف السادس :

فى ما نعى وجوب الزكاة ، ثم اتفقوا على رأى أبى بكر فى وجوب قتالهم .

الاختلاف السابع : حول تنفيذ أمر رسول الله ﷺ بانفاذ جيش أسامة رضى الله عنه ، قال عمر رضى الله عنه ، لأبى بكر رضى الله عنه .

كيف ترسل هذا الجيش ، والعرب قد اضطربت عليك ؟ فقال : لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ، ما رددت جيشا أنفذه رسول الله ﷺ (١) .

وعن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج – أحد التابعين ، توفى بالاسكندرية – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (والله الذى لا إله إلا هو لولا أبو بكر استخلف ما عبد الله) ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة . فقال : إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد – رضى الله عنهما – فى سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض رسول الله ﷺ ، وارتدت العرب حول المدينة . فاجتمع إليه أصحاب رسول ﷺ فقالوا يا أبا بكر :

رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟

فقال : والذى لا إله إلا هو ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشا وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول اله ﷺ .

فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتدادا الا قالوا :

لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم . فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الاسلام (٢) .

---

(١) العواصم من القواصم : ص ٤٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٥ وهامش ٢ .

وقال له عمر وغيره :

إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم فقال : (والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدنه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ." والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة (١) " .

قيل : مع من تقاتلهم ؟ قال : " وحدى حتى تنفرد سالفتى (٢) " .

وقدم الأمراء على الأجناد والعمال فى البلاد مختارا لهم ، مرتئيا فيهم فكان ذلك من أسد عمله ، وأفضل ما قدمه للأسلام (٣) رضى الله عنه .

---

(١) لما مضى جيش اسامة فى طريقه إلى شرق الاردن جعلت وفود القبائل تقدم المدينة ، يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة ، ومنهم من احتج بقوله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم" – التوبة ١٠٣ – ، قالوا : فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا .

وتكلم الصحابة مع الصديق فى أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الايمان فى قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه .. جاء عن أبى هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر :

علام تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : (أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها " فقال ابو بكر :

والله لو منعونى عناقا (وفى رواية : عقالا) كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها .

ان الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة

قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

راجع العواصم من القواصم – ص ٤٦ هامش :١

(٢) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، ولا تنفرد احداهما عما يليها الا بالموت .

(٣) كان فى طليعة هؤلاء القواد : أبو عبيدة بن عامر بن الجراح ، وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، وخالد بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبى سفيان ، وعكرمة بن أبى جهل ، والمهاجر ابن أبى أمية شقيق أم المؤمنين أم سلمة ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وسهيل بن عمرو خطيب قريش ، والقعقاع بن عمرو التميمى ، وعرفجة بن هرثمة البارقى ، والعلاء ابن الحضرمى حليف بنى أمية والمثنى بن حارثة الشيبانى وحذيفة بن محصن الغطفانى .

وفى طليعة ولاته :

عتاب بن أسيد الأموى ، وعثمان بن العاص الثقفى ، وزياد بن لبيد الانصارى ، وأبو موسى الاشعرى ، ومعاذ بن جبل ، ويعلى بن منبه ، وجرير بن عبد الله البجلى وعياض بن غنم ، =

هذه صلابة الرجال لإحقائق الحق وازهاق الباطل مهما كلفهم فلا خوف ولا تردد خشية الناس انما اقدام نحو الغاية التى رسمها لهم رسول الله ﷺ فكان فيها الخير والعزة للاسلام والمسلمين ، نعم لقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه رجل الساعة الذى ساق الله على يديه النصر المبين ، وعلى مثل هذا فليعمل العاملون .

الاختلاف الثامن :

فى أمر الشورى واختلاف الآراء فيها ، ثم كان استخلاف عمر رضى الله عنه بوصية من أبى بكر حتى لا يحدث ما حدث يوم السقيفة ، فظهرت بركة الاسلام ، ونفذ الوعد الصادق كل من الخليفتين ، ثم جعلها عمر شورى ، فأخرج عبدالرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى ينظر ويتحرى فيمن يقدم ، فقدم عثمان فكان عند الظن به : ما خالف له عهدا ، ولا نكث عقدا ولا اقتحم مكروها ، ولا خالف سنة ، واتفقت الآراء كلهاعلى بيعة عثمان رضى الله عنه ، وانتظم الأمر واستمرت الدعوة فى زمانه وكثرت الفتوحات ، وامتلأ بيت المال ، وعاشر الخلق على أحسن خلق ، وعاملهم بأبسط يد ، غير أن أقاربه من بنى أمية قد ركبوا مهالك ، فركبته ، وجاروا عليه ، ووقعت فى زمانه اختلافات كثيرة ، وأخذوا عليه أحداثا كلها محمولة ومنسوبة إلى بنى أمية (١) .

الاختلاف التاسع :

فى زمان أمير المؤمنين على رضى الله عنه بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له ، ثم ما حدث فى موقعة الجمل ، وصفين وأمره مع معاوية رضى الله عنهما ..

=والوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وعبد الله بن ثور أحد بنى غوث ، وسويد بن مقرن المزنى . (راجع العواصم من القواصم ص ٤٧ هامش : ١ ، ٢.

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، والعواصم من القواصم ص ٥٤ .

وفى عهد على رضى الله عنه خرج عليه : الأشعث بن قيس ، ومسعود بن فدك التميمى ، وزيد بن حصين الطائى وغيرهم من الخوارج .

كذلك ظهر فى زمانه : الغلاة فى حقة مثل : عبد الله بن سبأ وجماعة معه ، ومن الفريقين ابتدأت البدعة الضالة ، وصدق فيه قول النبى ﷺ :

" يهلك فيه اثنان : محب غال ، ومبغض قال" .

وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين :

احداهما : الاختلاف فى الإمامة .. وأخراهما : الاختلاف فى الأصول ..

أما الاختلافات فى الامامة فكانت على وجهين :

الوجه الأول : القول بأن الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار .

الوجه الآخر : القول بأن الامامة تثبت بالنص والتعيين ...

وأما الاختلاف فى الاصول :

فجاء فى آخر أيام الصحابة رضى الله عنهم وجاء نتيجة بدعة معبد الجهنى ، وغيلانى الدمشقى ، ويونس الاسوارى فى القول بالقدر ، وانكار اضافة الخير والشر إلى القدر ، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال الذى كان تلميذ الحسن البصرى ... كما سيأتى بيانه .

كانت هذه مقدمة لتعدد الفرق ، والشبه التى وقعت فى صدر الإسلام ، والخلافات التى وقعت للصاحبة رضى الله عنهم ، ذكرتها موجزة ، ومن أراد المزيد من التفصيل فليرجع إلى كتاب الملل للشهرستانى (الجزء الأول) ، والعواصم من القواصم ، ومقالات الإسلاميين ، والفرق بين الفرق وانظر ثبت المراجع فى آخر هذا البحث .

الفرق الاسلامية واختلافها

أمهات الفرق :

هى الشيعة والخوارج ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والجهمية ، والضرارية ، والحسينية ، والبكرية ، والعامة ، وأصحاب الحديث والكلابية أصحاب عبد الله بن كلاب القطان ، وسنقصر الحديث على : الشيعة ، والخوارج والمعتزلة ، وأصحاب الحديث .

أولا الشيعة :

وهم الذين شايعوا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وقالوا بإمامته وخلافته : نصا ووصاية ، وإن الإمامة لا تخرج عنه وعن بنيه إلا بظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده ، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ .

وهم أقدم الفرق الاسلامية وأصلهم أصحاب الرأى القائل بأولوية آل بيت النبى ﷺ بالخلافة وأحق آل البيت هو على بن أبى طالب .

وقد ظهروا بمذهبهم في آخر عصر عثمان رضى الله عنه ، ونما وترعرع فى عهد على كرم الله وجهه ولما لعلى من المكانة الممتازة فى الاسلام أخذوا ينشرون نحلتهم بين الناس .

ولما جاء العصر الأموى ووقعت المظالم على العلويين ورأى الناس فى على وأولاده شهداء هذا الظلم انتشر المذهب الشيعى وكثر أنصاره(١) .

ويجمع الشيعة على حب على رضى الله عنه ، وتختلف فرقهم فيمن سواه ، ولكنهم اختلفوا فى الاعتقاد فيه فمنهم أهل غلو مفرط وعتو زائد ففيهم من اتخذه إلها وهم

(١) الشهرستانى : ١٣/٢ ، والقلقشندى : صبح الأعشى ص ١٣ ، ص ٢٢٦ ، وحسن السيد متولى : مذكرة التوحيد والفرق ص ٨ ط الخامسة ١٣٨٤ هـ .

النصيرية ، ومنهم من قال : إنه النبى المرسل ، وإن جبريل غلط ، ومنهم من قال : إنه شريك فى النبوة والرسالة ، ومنهم من قال : إنه وصى النبوة بالنص الجلى ، ثم تخالفوا فى الإمامة بعده ثم أجمعوا بعده على الحسن ثم الحسين .

وهم خمس عشر فرقة :

البيانية : أصحاب بيان بن سمعان التميمى :

يقولون : إن الله عز وجل على صورة الانسان ، وإنه يهلك كله الا وجهه وادعى "بيان" أنه يدعو الزهرة فتجيبه ، وإنه يفعل ذلك بالاسم الأعظم فقتله خالد بن عبد الله القسرى ، وحكى عنهم أن كثيرا منهم يثبت لبيان بن سمعان النبوة .

ويزعم كثير من البيانية أن أباهاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية نص على امامة بيان بن سمعان ، ونصبه إماما (١) .

الفرقة الثانية : الجناحية

نسبة إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين . وكان يسمى " جعفر الطيار" .

ومن مزاعم هذه الفرقة :

أولا : أن عبد الله بن معاوية كان يدعى ان العلم ينبت فى قلبه كما تنبت الكمأة(٢) والعشب ، وأن الأرواح تناسخت وأن أرواح الله جل اسمه كانت فى آدم ثم تناسخت حتى صارت فيه .

---

(١) ابو الحسن الأشعرى شيخ أهل السنة : مقالات الاسلاميين : ١ / ٦٦ .

(٢) الكمء : فطر من الفصيلة الكمئية وهى أرضية تنتفخ حاملات أبواغها : فتجنى وتؤكل مطبوخة . المعجم الوسيط مادة : كمأ .

ثانيا : زعم أنه رب ، وإنه نبى ، فعبده شيعته .

ثالثا : يكفرون بالقيامة ، ويدعون أن الدنيا لا تفنى .

رابعا : يستحلون الميتة والخمر وغيرها من المحارم .

خامسا : يتأولون قول الله عز وجل " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا" .

سادسا : لا يرون وجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من الطاعات ...

سابعا : يدعون أن عبد الله بن معاوية الذى ينسبون إليه لم يمت ، وانه حى فى جبل أصبهان وانه لا يزال حيا حتى يخرج إليهم والذى أثبته التاريخ أن عبد الله هذا خرج على الأمويين بالكوفة وظل ينتقل حتى قتله أبو مسلم الخرسانى داعية العباسيين (١) .

وهؤلاء فى ميزان الإسلام عقول أضلها بارؤها فراحت تضرب فى الأرض على غير هدى .

الفرقة الثالثة : الحربية

أصحاب عبد الله بن عمرو بن حرب الذى كان على دين البيانية فى الحلول ، ثم زعم أن روح الإله انتقلت من أبى هاشم بن الحنفية إلى عبد الله بن حرب هذا ، ومن مزاعمهم : أن أبا هاشم نص على امامته (٢) .

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١ /٦٧ ، والفرق بين الفرق ص ٢٣٦ ، ٢٥٥ .

(٢) مقالات الاسلاميين : ١ /٦٧ ، والفرق بين الفرق ص ٢٤٣ .

الفرقة الرابعة : المغيرية : أصحاب المغيرة بن سعيد

يزعمون أنه كان يقول : إنه نبى ، وإنه يعلم اسم الله الاكبر ، وان معبودهم رجل نور على رأسه تاج ، وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجل ، وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة ..

ومن مزاعمه : أنه يحى الموتى بالاسم الأعظم وأراهم أشياء من النيرنجات(١) والمخاريق .

وذكر لهم كيف ابتدأ الله الخلق فزعم أن الله جل اسمه كان وحده ولا شئ معه فلما أراد أن يخلق الأشياء تكلم باسمه الأعظم فطار فوقع فوق رأسه التاج وذلك قوله : (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال : ثم كتب بأصبعه على كفه أعمال العباد من المعاصى والطاعات ، فغضب من المعاصى فعرق ، فاجتمع من عرقه بحران : أحدهما مالح مظلم ، والآخر نير عذب ثم اطلع فى البحر فأبصر ظله فذهب ليأخذه فطار ، فانتزع عين ظله فخلق منها شمسا ، ومحق ذلك الظل ، وقال : لا ينبغى أن يكون معى إله غيرى ، ثم خلق الخلق كله من البحرين فخلق الشيعة من البحر العذب النير فهم المؤمنون ، وخلق الكفرة وهم أعداء الشيعة من البحر المالح المظلم .

ومن مزاعمه أيضا : أن الأرض تنشق عن الموتى فيرجعون إلى الدنيا .. وكان يقول : بألوهية على ، وتكفير أبى بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على (٢) ، وكان المغيرة هذا يأمرهم بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب وذكر لهم أن جبريل وميكائيل عليهما السلام – يبايعانه بين الركن والمقام ويحيى له سبعة عشر رجلا يعطى كل رجل منهم كذا وكذا حرفا من الاسم الأعظم ، فيهزمون الجيوش ويملكون الأرض (٣) .. إلى غير ذلك من الزاعم التى تتنافى مع أبسط قواعد الفكر وهذه الفرقة قد لفها الغموض وشطت بها المزاعم إلى مكان سحيق ..

---

(١) أخذ كالسحر وليس به . المعجم الوسيط مادة : نيرج .

(٢) انظر الكامل لابن الاثير : ٥ / ٨٢ وراجع مقالات الاسلاميين : ١ / ٦٩ وما بعدها هامش ١ ، والفرق بين الفرق ص ٢٣٨ .

(٣) مقالات الاسلاميين : ١ / ٧٣ ..

الفرقة الخامسة :المنصورية أصحاب أبى منصور العجلى ..

كان يسكن الكوفة ، وكان أميا لا يقرأ ، ونشأ بالبادية ، فلما مات أبو جعفر محمد بن على بن الحسين ادعى ابو منصور أن أبا جعفر فوض إليه أمره وجعله وصيه من بعده ، ثم تجاوز ذلك فادعى لنفسه أنه نبى ورسول ، وأن جبريل يأتيه بالوحى من عند الله عز وجل ، ومن مزاعمه أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ بالتنزيل ، وأرسله هو بالتأويل وظل هذا الكذوب الضال حتى وقف يوسف ابن عمر الثقفى ابن عم الحجاج الثقفى على عوراته ، فأخذه ، وصلبه ، ثم قام من بعده الحسين بن أبى منصور ، فتنبأ وادعى مرتبته فأخذ وأتى به إلى المهدى العباسى ، فاقر أمامه بما نسب إليه فقتله وصلبه ، وأخذ منه مالا عظيما ، وطلب أصحابه ، فأخذ منهم جماعة فقتلهم وصلبهم .

ومن مزاعم أبى منصور أيضا قوله : آل محمد هم السماء ، والشيعة هم الأرض ، وأنه هو الكسف (الساقط من السماء) ، وكما زعم أنه عرج به إلى السماء فمسح معبوده رأسه بيده ثم قال له : أى بنى أذهب فبلغ عنى ثم نزل به إلى الأرض ، ويمين أصحابه إذا حلفوا أن يقولوا : (لا والكلمة) ، وزعم أن عيسى أول من خلق الله من خلقه ، ثم على وأن رسل الله سبحانه لا تنقطع أبدا ، وكفر بالجنة والنار ، وزعم أن الجنة رجل ، وأن النار رجل ، واستحل النساء والمحارم وأحل ذلك لأصحابه ، وزعم أن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغيرذلك من المحارم حلال ، وقال : لم يحرم الله ذلك علينا ولا حرم شيئا تقوى به أنفسنا ، وإنما هذه الاشياء أسماء رجال حرم الله سبحانه ولايتهم ، كما أسقط هذا المدعى الفرائض ، وقال : هى أسماء رجال أوجب الله ولايتهم ، واستحل خلق المنافقين وأخذ أموالهم ، فأخذه يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أيام بنى أمية فقتله (١) .

---

(١) مقالات الاسلاميين ١ / ٧٤ وما بعدها ، والفرق بين الفرق ص ٢٣٨ ، ٢٤٣ .

الفرقة السادسة : الخطابية :

أصحاب أبى الخطاب بن أبى زينب كان مولى لبنى أسد ، ويكنى أبا الظبيان ..

قال عنه ابن الأثير : (لما فشا دين الاسلام فى الناس ، وقامت له أعداء ينتظرون استئصاله بالقوة ، فلم يقدروا ، أخذت الأعداء تستعمل الحيل فى ذلك فيوهمون بالأحاديث الكاذبة ، ويوقعون الشكوك بين الناس فى الدين الاسلامى ، وهم متظاهرون به لدى الجمهور ، وكان أول من قام بذلك ابو الخطاب محمد بن أبى زينب مولى بنى أسد وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان فى نصرة الزندقة ، وكان يقول هو وأصحابه ان لكل شئ من العبادات باطنا ، وان الله سبحانه لم يوجب شيئاً على أوليائه ، وما عرف الأئمة والأبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا حرم عليهم شيئا ، وأباح لهم زواج الأمهات والأخوات ، وإنما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة ، فكانوا يستميلون العامة ، وتفرقت أصحابهم فى البلاد ، وأظهروا الزهد والعبادة لكى يغروا الناس بذلك ، ثم قتل أبو الخطاب .. وجماعة من أصحابه بالكوفة ... وتفرقت هذه الطائفة فى البلاد وتعلموا الشعبذة ، والنارنجات ، والنجوم والكيمياء فكانوا يحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم (١) .

وهذه الفرقة تشعب منها خمس فرق كلهم يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان : واحد ناطق ، والآخر صامت ، فالناطق محمد ﷺ ، والصامت على بن أبى طالب فهم فى الأرض اليوم طاعتهم مفترضة على جميع الخلق ، يعلمون ما كان وما هو كائن ، وزعموا أن أبا الخطاب نبى ، وأن أولئك الرسل فرضوا عليهم طاعة أبى الخطاب وقالوا : الأئمة ، وقالوا فى انفسهم مثل ذلك ، وقالوا : ولد الحسين أبناء الله وأحباؤه كما قالت اليهود : "نحن أبناء الله وأحباؤه" ثم قالوا ذلك فى أنفسهم وزعم أتباعه أن أبا الخطاب اله وزعموا أن جعفر بن محمد إلههم

---

(١) دائرة المعارف البستانى : ١ / ٤٨٣ .

أيضا .. وخرج أبو الخطاب على أبى جعفر فقتله عيسى بن موسى فى سبخة الكوفة ، وهم يتدينون بشهادة الزور لموافقيهم (١) .

الفرقة الثانية : المعمرية : من الخطابية وهى السابعة من الغالية :

يزعمون أن الامام بعد أبى الخطاب رجل يقال له : معمر ، وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب ، وزعموا أن الدنيا لا تفنى ، وأن الجنة ما يصيب الناس من خير والنعمة والعافية ، وأن النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك ، وقالوا : بالتناسخ ، وأنهم لا يموتون .. واستحلوا الخمر والزنا كما استحلوا سائر المحرمات ، ودانوا بترك الصلاة ، ويقال :إنهم يسمون : اليعمرية (٢) .

الفرقة الثالثة من الخطابية وهى الثامنة من الغالية يقال لهم (البزيغية) ينتسبون إلى : بزيغ ابن موسى :

من مزاعم هذه الطائفة : أن جعفر بن محمد هو الله ، وأنه ليس بالذى يرون ... وأن كل ما يحدث فى قلوبهم وحى ، وأن كل مؤمن يوحى إليه ، وتأولوا قول الله تعالى " وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله " أى بوحى من الله ، كما زعموا أن منهم من هو خير من جبريل ، وميكائيل ، ومحمد وزعموا أنه لا يموت منهم أحد ، وإنهم يرونهم بكرة وعشية .

---

(١) مقالات الاسلاميين ٧٧/١ والشهرستانى : الملل والنحل : ١٦/٢ هامش كتاب الفصل فى الاهواء - لابن حزم - والفرق بين الفرق ٢٥٥ .
(٢) مقالات الاسلاميين ٧٧/١ والفرق بين الفرق ١٥١.

الفرقة الرابعة من الخطابية ، وهى التاسعة من الغالية : وهى فرقة العميرية : ينتسبون إلى إلى عمير بن بيان العجلى :

هذه الفرقة عبدوا جعفرا كما عبده اليعمريون ، وزعموا أنه ربهم ، وكانوا ضربوا خيمة فى كناسة – أحدى محلات الكوفة – ثم اجتمعوا إلى عبادة جعفر ، فكان جزاء عمير بن البيان القتل فى الكناسة على يد يزيد بن عمر بن بن هبيرة (١) .

الفرقة الخامسة من الخطابية : المفضلية ، وهى العاشرة من الغالية ، يقال لهم المفضلية :

لأن رئيسهم كان صيرفيا يقال له : المفضل يقولون : بربوبية جعفر ، ادعوا النبوة والرسالة ، ... وزعم أبو الخطاب أنه أفضل من بنى هاشم .

وقد قال قائلون منهم بإلهية سلمان الفارسى ، وفى النساك من الصوفية من يقول بالحلول ، وأن البارئ ، يحل فى الاشخاص ، وإنه جائز أن يحل فى انسان ، أو سبع وغير ذلك من الاشخاص .

وأصحاب هذه المقالة إذا رأوا شيئا يستحسنونه قالوا : لا ندرى لعل الله حال فيه ، ومالوا إلى اطراح الشرائع ، وزعموا أن الانسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة (٢) .

الفرقة الحادية عشرة : من أصناف الغالية القائلون بالتناسخ :

ويزعمون أن روح القدس هو الله عز وجل ، كانت فى النبى ﷺ ، ثم فى على ثم فى الحسن ثم فى الحسين حتى يصل النسب إلى محمد بن الحسن ابن على بن محمد

(١) مقالات الاسلاميين : ١/ ٧٩ ، والفرق بين الفرق ٢٣٨ ، ٢٤٣ .
(٢) مقالات الإسلاميين ١ /٨٢ .

بن على وهــؤلاء آلهة عندهم ، كل واحد منهم إله على التناسخ ، والإله عندهم يدخل فى الهياكل(١) .

والقول بالتناسخ عقيدة الإسلام ، لأن مفهوم التناسخ أنه عملية تحويل وانتقال مستمرة إلى مالا نهاية ، وهى بذلك تستتبع الحكم ببقاء وسرمدية الجنس البشرى فى الأرض فلا يعتريه فناء ولا اضمحلال وهذا أمر غريب بل مستحيل وقوعه .

الفرقة الثانية عشرة من أصناف الغالية :

يزعمون أن عليا هو الله ، ويكذبون النبى ﷺ ويشتمونه ، ويقولون : أن عليا وجد به ليبين أمره ، فادعى الأمر لنفسه (٢) .

الفرقة الثالثة عشرة من أصناف الغالية الشريعية

ومن مزاعمهم : أن الله حل فى خمسة أشخاص : فى النبى وفى على ، وفى الحسن وفى الحسين وفى فاطمة ، فهؤلاء عندهم آلهة (٣) .

الفرقة النميرية :

احدى فرق الرافضة أصحاب النميرى يقولون : إن البارى كان حالا فى النميرى .

الفرقة الرابعة عشرة من فرق الغالية : وهى السبئية ، أصحاب عبد الله بن سبأ :

ومــن مزاعمهم أن عليا لم يمــت ، وأنه يرجع إلى الدنــيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

---

(١) ، (٢) مقالات الإسلاميين : ٨٣/١

(٣) المرجع السابق ، الفرق بين الفرق ص ٢٥٥ .

والسبئية يقولون : بالرجعة ، وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا وكان السيد الحميرى يقول برجعة الأموات (١) .

الفرقة الخامسة عشرة من أصناف الغالية :

يزعمون أن الله عز وجل وكّل الأمور ، وفوضها إلى محمد ﷺ ، وأنه أقدر على خلق الدنيا ، فخلقها ودبرها و أن الله سبحانه لم يخلق من ذلك شيئا .

ويزعمون : أن الأئمة ينسخون الشرائع ، ويهبط عليهم الملائكة ، وتظهر عليهم الأعلام والمعجزات ، ويوحى إليهم (٢) ومنهم من يسلم على السحاب ويقول : إذا مرت سحابة به : أن عليا رضوان الله عليه فيها !!

وفيهم يقول بعض الشعراء :

برئت من الخوراج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب (٣)
ومن قوم إذا ذكروا عليا ... يردون السلام على السحاب

هذه العقول التى ملئت هراء ما زالت حتى اليوم لها أذنابا تصول وتجول فى عرصات الدنيا .

لقد كان لهذه الآراء الساقطة أثراً سيئاً على بعض المجتمعات التى ظهرت فيها ، فخرج منها من يطعن أو يشكك فى الله سبحانه وإنكاره كما سخر من كتبه وأنبيائه فى كتاباته أو مقالاته .

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١/ ٨٣ والفرق بين الفرق ص ٢٣٣ و ٢٥٥ .
(٢) مقالات الاسلاميين : ١/ ٨٣ .
(٣) الغزّال لقب لقبوا به واصل بن عطاء ، وابن باب هو عمرو بن عبيد كان متكلما زاهدا . راجع المرجع السابق ص ٨٨ هامش ١ .

الرافضة (الامامية) أربع وعشرون فرقة :

الرافضة :

احدى فرق الشيعة .. وسموا بهذا لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر ، وقيل : لأن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره فى أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ، ولم يبق معه إلا مائتا فارس فقال لهم زيد : رفضتمونى ؟ قالوا : نعم فسموا رافضة .

ومن مزاعمهم : إنهم يجمعون على أن النبى ﷺ نص على استخلاف على بن أبى طالب باسمه ، وإن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبى ﷺ ، وأن الامامة لا تكون الا بنص ، وأن عليا رضى الله عنه ، كان مصيبا فى جميع أحواله .

الفرقة الأولى من الرافضة القطعية :

ترجع سبب هذه التسمية لكونهم قطعوا على موت (موسى بن جعفر بن محمد بن على) وهم جمهور الشيعة ومن مزاعمهم : أن النبى ﷺ نص على إمامة على بن أبى طالب واستخلفه بعده بعينه ، واسمه ، وأن عليا نص على أمامة ابنه الحسن بن على ، وأن الحسن بن على نص على إمامة أخيه الحسين بن على ، وأن الحسين بن على نص على إمامة ابنه على بن الحسين ، وأن على بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن على ، وأن محمد بن على نص على إمامة جعفر بن محمد ، وأن جعفر بن محمد نص على إمامة ابنه موسى بن جعفر ، وأن موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه على بن موسى ، وأن على بن موسى نص على إمامة ابنه محمد بن على بن موسى ، وأن محمد بن موسى بن على بن موسى نص على إمامة ابنه على بن محمد بن على بن موسى وأن على بن محمد بن على بن موسى نص على إمامة ابنه الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى وهو الذى كان بسامرا ، وأن الحسن بن على نص على إمامة ابنه محمد بن الحسن بن على وهو الغائب المنتظر عندهم الذى يدعون أنه يظهر فيملأ الأرض عدلا بعد

أن ملئت ظلما وجورا (١) .

الفرقة الثانية : الكيسانية :

احدى عشرة فرقة ، ويرجع تسميتهم بهذا الاسم ، أن المختار الذى خرج وطلب بدم الحسين بن على ، ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له : كيسان ، يقال انه مولى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

الفرقة الأولى من الكيسانية ، الثانية من الرافضة :

يزعمون أن على بن أبى طالب نص على إمامة ابنه محمد بن الحنفية .

الفرقة الثالثة من الرافضة ، الثانية من الكيسانية :

يزعمون أن على بن أبى طالب نص على إمامة ابنه الحسن بن على .

الفرقة الرابعة من الرافضة الثالثة من الكيسانية : الكربية أصحاب أبى كرب الضرير

ومن مزاعمهم : أن محـمد بن الحنفية حى بجـبال رضوى (٢) : أسد عن يمينه ، ونمر عن شماله يحفظانه ، يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه .

وزعموا أيضا أن السبب الذى من أجله صبر على هذه الحال أن يكون مغيبا عن الخلق أن لله فيه تدبيرا لا يعلمه غيره (٣) .

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١ / ٩٠ .

(٢) جبل بالمدينة .

(١) مقالات الاسلاميين ص ١ /٩٢ ، والشهرستانى ١ /١٥٢ ، والفرق بين الفرق : ٢٣ ، ٣٨ .

الفرقة الخامسة من الرافضة : الرابعة من الكيسانية :

ويزعمون أن محمد بن الحنفية إنما جعل بجبال رضوى ، عقوبة (١) لركونه إلى عبد الملك بن مروان وبيعته اياه .

الفرقة السادسة من الرافضة ، الخامسة من الكيسانية :

يزعمون أن محمد بن الحنفية مات ، وأن الامام بعده ابنه : أبو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية .

الفرقة الثامنة من الرافضة ، السابعة من الكيسانية :

يزعمون أن الامام بعد أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ابن أخيه الحسن بن محمد بن الحنفية ، وأن أبا هاشم أوصى إليه ..

الفرقة التاسعة من الرافضة الثامنة من الكيسانية :

يزعمون أن الامام بعد أبى هاشم محمد بن على بن عبد الله بن العباس .. ثم أفضت الخلافة إلى جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض (٢) .

---

(١) لأن محمد بن الحنفية مقيم به وهو حى يرزق كما تزعم الكيسانية ، وجبل منيق نو شعاب وأودية ، وبه مياه كثيرة وأشجار . أما الفرقة السابعة من الرافضة فغير مذكورة فى الأصل . راجع مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ٩٤ .

(٢) مقالات الاسلاميين ١ / ٩٤ .

الفرقة العاشرة من الرافضة :

الحربية : تنسب إلى عبد الله بن عمرو بن حرب وهى التاسعة من الكيسانية

ومن مزاعمهم : أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية نصب عبد الله بن عمرو ابن حرب اماما ، وتحولت روح أبى هاشم فيه .. لكنهم افترقوا فى أمر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بعد أن وقفوا على كذب عبد الله عمرو بن حرب ، وكان افتراقهم على ثلاث فرق .

زعمت فرقة منهم أنه مات ،وزعمت أخرى أنه بجبال أصفهان ، وأنه لم يمت حتى يقود بنواصى الخيل إلى رجل من بنى هاشم .

وزعمت فرقة ثالثة أنه حى بجبال أصفهان لم يمت ، ولا يموت حتى يلى أمور الناس وهو المهدى الذى بشر به النبى ﷺ (١) .

الفرقة الحادية عشرة من الرافضة : البيانية أصحاب : بيان بن سمعان التميمى وهى العاشرة من الكيسانية .

ومن مزاعمهم : أن أبا هاشم أوصى إلى بيان سمعان التميمى .

الفرقة الثانية عشرة من الرافضة الحادية عشرة من الكيسانية :

ويزعمون أن الامام بعد أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية : على بن الحسين بن على بن أبى طالب(٢) .

---

(١) مقالات الاسلاميين ١ / ٩٦ .

(٢) مقالات الاسلاميين : ١ / ٩٧ ، والفرق بين الفرق ص ٢٣٦ .

الصنف الثالث عشر من الرافضة وهم المغيرية :

الذين يسوقون النص من النبى ﷺ على إمامة على حتى ينتهوا بها إلى على بن الحسين . وهم أصحاب المغيرة بن سعيد .

ومن مزاعمهم أن الامام بعد على بن الحسين ابنه محمد بن على بن الحسين أبو جعفر ..

الصنف الرابع عشر من الرافضة :

يسوقون الامامة من على بن أبى طالب حتى ينتهوا بها إلى على بن الحسين ... وأنكروا إمامة المغيرة بن سعيد .

الصنف الخامس عشر من الرافضة :

يسوقون الإمامة من على حتى ينتهوا بها إلى على بن الحسين .. ثم اختلفوا فرقتين : الحسينية ، والمحمدية .

الأولى : زعمت أن الإمام بعد أبى منصور هو الحسين بن أبى منصور .

والثانية : مالت إلى تثبيت أمر محمد بن عبد الله بن الحسن فى إمامته (١) .

الفرقة السادسة عشر من الرافضة : الناوسية :

يسوقون الإمامة إلى أبى جعفر محمد بن على ، وينسبون إلى رجل يقال له : عجلان بن ناوس من أهل البصرة (٢) ..

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١ / ٩٩ ، والشهرستانى : ٢ /٧ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٣٨ ، ومقالات الاسلاميين : ١/ ١٠٠ .

الفرقة السابعة عشر من الرافضة :

يزعمون أن جعفر بن محمد مات ، وأن الإمام بعده جعفر ابنه اسماعيل .

الفرقة الثامنة عشرة من الرافضة : القرامطة :

ينتسبون إلى رجل من سواد الكوفة يقال له : (قرمط) بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم ، لهم مذهب مذموم ظهروا به فى خلافة المعتضد (٢٨١ هـ) .. وأخبارهم مشهورة فى التواريخ (١) .

من مزاعمهم : أن النبى ﷺ نص على على بن أبى طالب ، وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ، وأن الحسن بن على نص على إمامة أخيه الحسين بن على ، وأن الحسين بن على نص على ابنه وهكذا حتى تصل السلسلة إلى محمد بن اسماعيل وأن الأخير لم يمت وأنه حى إلى اليوم ، ولا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه هو المهدى المنتظر (٢) .

الصنف التاسع عشرمن الرافضة : المباركية نسبة إلى رئيسهم الذى يقال له (المبارك)

يسوقون الإمامة من علي بن أبى طالب كما قالت القرامطة حتى ينتهوا إلى جعفر بن محمد ، ويزعمون أن جعفر بن محمد جعلها لابنه اسماعيل .

---

(١) الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة (٢٧٨ هـ) ومقالات الاسلاميين ص ١٠ هامش والفرق بين الفرق ١٧٣، وهم فرقة من غلاة الشيعة بالعراق ، واتسع سلطانها بالحجاز ، وكان من أهم أغراضها المساواة . المعجم الوسيط مادة : قَرْمط .

(٢) مقالات الاسلاميين : ١ /١٠١ . وقد تسللت فرقة القرامطة تحت ستار التشيع لآل على بن أبى طالب ومزجوا سمومهم بتعاليم الشيعة حتى استشرى خطرها فتطلب الأمر محاربة هذا التسلل الجديد توحيد القوى فى البلاد العربية ... وكان حمدان بن قرمط – الذي نسبت إليه هذه الفرقة – ممن تأثر بالنبوءات التى روج لها دعاة الباطنية عن اقتراب عودة مجد الفرس وسلطانهم الذي ضاع على يد العرب . انظر المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٢٠٤ نقلاً عن : المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية ص ١٥١ . د/إبراهيم أحمد العدوى ط ١٩٦١ .

الصنف العشرون : من الرافضة وهم : السميطية ينسبون إلى يحيى بن أبى سميط :

يسوقون الإمامة من على حتى ينتهوا بها إلى جعفر بن محمد .

الفرقة الحادية والعشرون : من الرافضة وهم العمارية :

ينسبوا إلى رئيس لهم يقال له عمار يدعو الفطحية لأن جعفر كان أفطح الرجلين .

الصنف الثاني والعشرون : من الرافضة : يطلق عليها الواقفة

لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر ولم يجاوزوه إلى غيره ، وبعض مخالفيهم يسمونهم (الممطورة) لقول يونس بن عبد الرحمن : أنتم أهون على من الكلاب الممطورة وذلك بعد أن ناظره أحدهم (١) .

الصنف الثالث والعشرون من الرافضة :

يسوقون الإمامة من على إلى موسى بن جعفر غير أنهم يقولون : إن موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه أحمد بمن موسى بن جعفر .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ .

الصنف الرابع والعشرون من الرافضة :

يزعمون أن النبى ﷺ نص على على ، وأن عليا نص على الحسين بن على ، ثم انتهت الامامة إلى محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر ، وأن محمد بن الحسن هو الإمام بعده الذى يملأ الدنيا عدلا ، كما ملئت ظلما وجورا (١) .

وهنا تم الكلام فى الغلاة والامامية من الشيعة وأرينا كيف تمسكهم بالامامة من أولاد على رضى الله عنه حتى نحوا بهم منحى بعيدا عن العقل والمنطق حتى إذا وزنوا بميزان الإسلام خرجوا من دائرته ، ولحقوا باليهود والنصارى الضالين المضلين .

(١) مقالات الاسلاميين : ١ / ١٠٥ .

مبادئ الشيعة

(١) أن الامامة ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ، بل هى ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبى إغفالها ، بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر .

(٢) عين رسول الله ﷺ عليا الخلافة بنصوص ينقلونها ويؤولونها لا يعرفها نقلة الشريعة وأهل الحديث .

(٣) على أفضل الخلق فى الدنيا والاخرة بعد رسول الله ﷺ ، فمن عاداه أو حاربه فهو عدو الله إلا إذا ثبتت توبته ومات على حبه .

(٤) لم يكن الشيعة على درجة واحدة ، بل منهم الغالى المقتصد والمعتدل واقتصر المعتدلون على تفضيله على بقية الصحابة من غير تكفير ، أو تفسيق لأحد ، واعترفوا بصحة إمامة المفضول مع الفاضل وقالوا ليس بين النبى ﷺ وعلى إلا مرتبة النبوة وأعطيا عليا ما عداها من الفضل المشترك .

أما الغالون المتطرفون ، فلم يكتفوا بتفضيله على الخلفاء وعصمته بل رفعوه إلى مرتبة النبوة ، ومنهم من ألهه ، ومنهم من زعم حلول الإله فيه ، ومنهم من قال : كل روح حلت فيه الألوهية تنتقل إلى الإمام الذى يليه .

وكان هذا التشيع مباءة خصبة لظهور الرجعة والحلول والتناسخ ، والتجسيم والتشبيه وعدم ختم النبوة .

والحقيقة التى لا جدال فيها أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من يريد هدم الاسلام لعداوة أو حقد ، ومن يريد ادخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها ومن يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته .

كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم (١) .

الزيدية :

من أشهر فرق الشيعة ، وتنسب إلى امامها : زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان تلميذا لواصل بن عطاء ، ومذهبهم أقرب مذاهب الشيعة إلى الجماعة الاسلامية فهى لم تغل فى عقائدها ولم يكفر الأكثرون منها أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ولم ترفع الأئمة إلى مرتبة الألوهية ، ولا مرتبة النبوة وقد خرج امامهم على هشام بن عبد الملك فقتله وصلبه سنة ١٢١ هـ ، وخرج من بعده ابنه يحيى فقتل سنة ١٢٥ هـ ، ولا يزال مذهب الزيدية فى اليمن (٢) .

مذهبهم :

(١) ان الامام منصوص عليه بالوصف لا بالاسم وأوصاف الامام أن يكون فاطميا ورعا تقيا ، سخيا شجاعا ، يخرج داعيا للناس ولا يقول بالتقية أى المداراة والمصادقة .

(٢) يرون أن المهدى المنتظر من ولد الحسين رضى الله عنه دون ولد الحسن ، ومن خالف فى ذلك فقد أخطأ .

(٣) يجوز أمامة المفضول لأن هذه الصفات للإمام الأمثل فهو بها أولى من غيره ، فإن اختار أهل الحل والعقد إماما لم يستوف الشروط وبايعوه صحت بيعته ، وبنى على

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١٠٨ وراجع فى هذا أيضاً المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية – مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ، والشهرستانى : ١ /١٥٩ . وصبح الأعشى جـ ١٣ ، ص ٢٢٧ .

هذا صحة بيعة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما ، وقد خذل زيدا أكثر الشيعة لقوله بهذا الأصل .

(٤) يجوز خروج امامين فى قطرين مختلفين ، ولايجوز خروج امامين فى قطر واحد .

(٥) تخليد مرتكب الكبيرة فى النار ما لم يتب توبة نصوحا وهذا من أثر تلمذة امامهم لواصل بن عطاء ، ومن اسباب خروج الشيعة عليه (١) .

(٦) إن نص الأذان بعد الحيعلتين : " حى على خير العمل " يقولونها فى آذانهم مرتين بدل الحيعلتين ، وربما قالوا قبل ذلك : " محمد وعلى خير البشر ، وعترتهما خير العتر " ومن رأى أن هذا بدعة ، فقد حاد عن الجادة .

(٧) إن تسليم الحسن الأمر لمعاوية كان لمصلحة اقتضاها الحال وإن كان الحق له (٢) .

فرقة الامامية :

هم القائلون بأن امامة على ثابتة بالنص عليه بالذات من النبى ﷺ نصا ظاهرا من غير تعريض بالوصف بل إشارة بالعين وسموا امامية لتركيز آرائهم حول الامامة وهى منتشرة فى ايران والعراق والهند وتلقب هذه الفرقة بالاثنى عشرية أيضا ، لقولهم : بإمامة اثنى عشر إماماً ، وبالموسوية ، لقولهم : بانتقال الخلافة بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم .. ، وبالقطعية لقولهم : بموت إسماعيل المذكور فى حياة أبيه الصادق ، والقطع بانتقال الإمامة إلى موسى .

وهم مسلمون إلا أنهم أهل بدعة كبيرة سبابة (٣) .

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١٠ .

(٢) صبح الأعشى : ١٣ / ٢٢٨ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٢٩ .

مذهبهم :

(١) النص على الامام بالذات ، ولهذا نص النبى ﷺ على إمامة على لأنه ليس فى الدين أمر أهم من تعيين الامام حتى تكون مفارقة النبى ﷺ للدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة لأنه بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا ، بل يجب عليه أن يعين شخصا يرجع إليه ويستدلون على تعيين على بالذات بما يروونه عن النبى ﷺ مثل :

(من كنت مولاه فعلى مولاه) ومثل (اقضاكم على) وغير ذلك مما يدّعون صدقه ويشك فيه علماء الحديث ويحتجون بقول النبى ﷺ : " من يبايعنى على ماله ؟ فبايعه جماعة ثم قال من يبايعنى على روحه وهو وصىٌ وولى هذا الأمر من بعدى فلم يبايعه أحد حتى مد أمير المؤمنين على رضى الله عنه يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك " .

قال فى العبر : وهذه الوصية لا تعرف عن أحد من أهل الأثر ، بل هى من موضاعتهم ، ويخصونه بوراثة علم النبى ﷺ (١) .

(٢) يقولون : ببقاء حكم المتعة : وهى النكاح المؤقت الذى كان فى صدر الاسلام .

(٣) يعتمدون فى القرآن الكريم على مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه دون المصحف الذى أجمع عليه الصحابة رضى الله عنهم ، فلا يثبتون ما لم يثبت فيه قرآنا .

(٤) قالوا : باستحقاق على للخلافة دون سائر الصحابة ، وحكموا بتكفير كل الصحابة وعلى رأسهم : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

(٥) إن الاعتراف بالامام جزء من حقيقة الايمان وبدونه يكون الشخص كافرا .

---

(١) المرجع نفسه .

(٦) القول باختفاء الأئمة ورجعتهم ، كما يشترطون العصمة فى الأئمة ، فلا يكون من ليس بمعصوم عندهم إماما .

(٧) جعل سلسلة الخلافة بعد على فى أولاد فاطمة فاتفقوا على إمامة الحسن والحسين واختلفوا بعد ذلك فى تسلسل الأئمة إلى فرق متعددة من أشهرها

(١) الاثنا عشرية . (٢) الاسماعيلية (١) .

الاثنا عشرية (٢) :

تطلق هذه التسمية على طائفة من الشيعة الامامية يعتقدون أن النبى ﷺ أوصى بالخلافة لعلى بالذات ويبالغون فى النيل ممن سبقه ، ويحصرون الحق فيها من بعده فى أولاد فاطمة رضى الله عنها خاصة .

ويقوم مذهبهم على أن محمد المهدى الامام الثانى عشر لم يمت ، وإنما اختفى عن الدنيا سنة ٢٦٠ هـ وسيعود إليها فى آخر الزمان ليملأها عدلا وأمنا ولحصرهم الأئمة فى اثنى عشر سموا بالاثنا عشرية وعقيدتهم هى العقيدة الرسمية لدولة ايران .

اشهر مبادئهم :

(١) العصمة :

فالأئمة معصومون لا يجوز عليهم خطأ أو نسيان ، وهم وسطاء بين الله والناس والاعتقاد فيهم يمحو السيئات ، وهذا المبدأ باطل ، لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ، كما لا يغفر الذنوب إلا الله سبحانه وتعالى .

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١٠ ، والشهرستانى : ٢ /٢ .

(٢) الشهرستانى : ٢ /٧ ، والفرق بين الفرق ص ٣٦ ، ٦٤ .

(٢) المهدية :

وصف امام كل فرقة من فرق الشيعة ، ومعناها الامام المنتظر و قد كانت فكرة المهدية سببا فى إثارة الفتن فى كثير من البلاد الاسلامية .

(٣) الرجعة :

ومعناها أن الأئمة سترجع ويرجع خصومهم لينتقم منهم ثم يموت الجميع ثانية ، وذلك عند ظهور الامام المهدى ورجوعه لإقامة العدل .

(٤) التقية :

ومعناها المداراة والمصانعة وهى النظام السرى الذى يكتمونه عن الناس ويسيرون على تعاليمه فى دعوتهم فهم يظهرون الطاعة لمن بيدهم الأمر حتى تقوى شوكتهم فيثورون فى وجه الدولة القائمة والأخذ بالتقية عندهم جزء من الدين ويجب فداؤها بكل ما فى استطاعتهم والله يعلم أن عليا وذريته : بريئون من هذا فليتقوا الله فى أئمتهم (١) ، وليقولا قولا سديدا .

الإسماعيلية :

أطلق عليهم هذا الاسم لأنهم يوقفون الأئمة عند إسماعيل بن جعفر الصادق دون أخيه موسى الكاظم .. ويقولون : إن الإمامة انتقلت بعد أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى ابنه الحسن ، ثم إلى أخيه الحسين ، ثم إلى ابنه على زين العابدين ، ثم إلى ابنه محمد الباقر ، ثم إلى ابنه جعفر الصادق ، ثم إلى ابنه اسماعيل الذى تنسب إليه هذه الفرقة بالنص من أبيه ..

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١١ ، والرافضة تجعل التقية أصلا من أصول دينها وحكوا عن جعفر الصادق قوله : التقية دينى ودين آبائى وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم ، وكان دينهم التقوى لا التقية وقول الله تعالى : (الا أن تتقوا منهم تقاة) إنما هو الأمر بالاتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب .
راجع مقالات الاسلاميين : ١ / ص ٨٩ هامش ١ .

وفائدة هذا النص ثبوتها فى بنيه من بعده (١) .

ويقولون بتعيين اسماعيل بن جعفر هذا بالنص من أبيه ، كما يطلق عليهم أيضا الباطنية ، لقولهم : إن للقرآن ظاهرا وباطنا ، ولاعتقادهم بالإمام الباطن ومن أئمتهم : عبيد الله المهدى الذى انتسب إلى إسماعيل ابن جعفر وملك المغرب ، واستولى بنوه على مصر ، ولم يثبت تاريخيا صحة هذا النسب وقد أثبت التاريخ أن من وضعوا أساس مذهب الاسماعيلية من أولاد المجوس وضعوا تعاليم لهدم الاسلام درجوها تسع درجات تبتدئ بالتشكيك فى الدين كقولهم : ما معنى رمى الجمار ؟ ولم كانت الصبح ركعتين ؟ والظهر أربعا ؟ وهكذا ، وتنتهى بهدم الإسلام والتحلل من قيوده وأولوا ايات القرآن ، وسنة النبى ﷺ بما يوافق ميولهم وهكذا .

افتراق الاسماعيلية :

هذه الطائفة افترقت إلى فرقتين : مستعلوية ، ونزارية .

فأما المستعلوية فيقولون : إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله إلى ابنه المستعلى بالله أبى القاسم أحمد سادس الخلفاء بمصر .. وهكذا إلى حادى عشر خلفائهم بمصر أيضا وهو العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ وهو آخر هذه الطائفة حتى مات (٢) .

أما النزارية فيقولون : إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله إلى ابنه نزار بالنص دون ابنه المستعلى .. ويزعم النزارية أن نزار المذكور خرج من الاسكندرية حملا فى بطن جارية تقية على نفسه ، وخاض بلاد الأعداء حتى صار إلى الموت أى أنه صار إلى بلاد المغرب وصارت الإمامة فى بنيه هناك .

---

(١) صبح الأعشى : ١٣ / ٢٣٦ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٣٧ .

لكن المستعلوية ينكرون ذلك ويقولون : فر إلى الإسكندرية ، وسار إليه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلى ، وحاصره بالاسكندرية فظفر به ، وأتى به إلى المستعلى الذى قتله شر قتله ، إذ بنى عليه حائطين فمات ، ومن فر من النزارية استقر بالمغرب والقائمون بها الآن من ولده ، كما تشهد بذلك كتب التواريخ كمُغرب بن سعيد وغيره (١) .

ومن العجيب أن الاسماعيلية من مستعلوية ونزارية يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية ، لأن اسماعيل إمامهم المذكور كان يسمى صاحب الدعوة الهادية ومع أنهم يظهرون الإسلام ... إلا أنهم طائفة كافرة يعتقدون التناسخ والحلول (٢) .

عقيدتهم :

أ- يرون أن الأرواح مسجونة فى هذه الأجسام المكلفة بطاعة الإمام المطهر على زعمهم فإذا انتقلت على الطاعة كانت قد تخلصت وانتقلت للأنوار العلوية ، وإن انتقلت على العصيان هوت فى الظلمات السفلية .

ب- أن منهم من يدعى ألوهية الإمام بنوع الحلول .

جـ- ومنهم من يدعى رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ والرجعة ومنهم من ينتظر مجئ من يقطع بموته ، ومنهم من ينتظر عودة الأمر إلى أهل البيت .

وتتفق المستعلوية والنزارية فى :

١- أنه لابد من إمام معصوم ظاهر ، أو مستور ، فالأئمة الظاهرون هم الذين يظهرون أنفسهم ويدعون الناس إلى إمامتهم ، والمستورون هم الذين يستترون ويظهرون دُعاتهم ، وآخر الظاهرين عندهم إسماعيل الذى ينسبون إليه وأول المستورين ابنه المكتوم .

---

(١) المقريزى : ١ /٤٢٣ .
(٢) صبح الأعشى : ١٣ / ٢٣٨ .

٢- يرون أن من مات ولم يعرف إمام زمانه ، أو لم يكن فى عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية .

٣- يرون أن العلم لا يكون إلا بالتعليم من الأئمة خاصة ، وأن الأئمة هم هداة الناس (١) .

٤- يقولون بموالاة أهل البيت ، ويتبرءون ممن خالفهم ، وينسبونه إلى الأخذ بالباطل والوقوع فى الضلال .

٥- من أكبر الكبائر عندهم وأعظم العظائم أن يرمى أحد من آل بيت النبى ﷺ لا سيما الأئمة بكبيرة ، أو ينسبها أحد إليهم أو يوالى لهم عدوا ، أو يعادى وليا (٢) .

أصل فرقة الاسماعيلية :

يرجع أصل هذه الطائفة إلى المائة الثانية وما بعدها فى البحرين ، ومنهم كانت القرامطة الذين خرجوا من البحرين حينئذ ، وهم ينتسبون إلى رجل منهم يدعى قرمط ، ظهر منهم وادعى النبوة ، وأنه أنزل عليه كتاب ، ثم ظهروا بالمشرق " بأصبهان" فى أيام السلطان (ملكشاه) السلجوقى واشتهروا هناك بالباطنية (٣) .

لأنهم يبطنون خلاف ما يظهرون ، كما يطلق عليهم صفة الملاحدة ، لأن مذهبهم كله إلحاد ، ثم صاروا إلى الشام ، ونزلوا فيما حول طرابلس ، وأظهروا دعوتهم هناك ، وإليهم تنسب قلاع الاسماعيلية المعروفة بقلاع الدعوة فيما حول طرابلس كمصياف والخوابى والقدموس وغيرها .

---

(١) المرجع نفسه ١٣ / ٢٣٩ .

(٢) المرجع نفسه ١٣ / ٢٤٢ .

(٣) المرجع نفسه ١٣ / ٢٤٥ . وانظر المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية ص ١٤٣ وما بعدها .

ولما افترقوا إلى مستعلوية ونزارية ، أخذ منهم من ببلاد المشرق بمذهب التزارية ، وأخذ من منهم بالشام بقلاع الاسماعيلية بمذهب المستعلوية وصاروا شيعة لمن بعد المستعلى من خلفاء الفاطميين بمصر واشتهروا باسم الفداوية لمفاداتهم بالمال على من يقتلونه .

وفى مسالك الأبصار : أن كل من ملك مصر كان مظهرا لهم ، يرون إتلاف نفسوهم فى طاعته ، لأنهم يزعمون أنهم ينتقلون إلى النعيم الأكبر .

كما يرون أن ملوك مصر كالنواب لأئمتهم لقيامهم مقامهم .

مبادئهم :

(١) القول بقدم العالم وأن له مدبرين : الأول : الله ، والثانى : النفس .

(٢) الامام يعين بالنص لا بالانتخاب ، وهو معصوم من الصغائر والكبائر .

(٣) تكفير من اغتصبوا الخلافة من على .

(٤) للقرآن معنى ظاهر ومعنى باطن لا يعلم باطنه إلا الأئمة ، لأنهم ورثوا علم الباطن ، ولا معنى للتمسك بحرفية القرآن ، ويجب فهمه على طريقة التأويل والمجاز .

(٥) لا يؤمنون بعلم ولا بحديث الا ما روى عن أئمتهم .

(٦) الأنبياء سواس العامة ، وأما الخاصة فانبياؤهم الفلاسفة فالشعائر الدينينة للعامة وأما الخاصة فلا يلزمهم العمل بها .

(٧) الجنة نعيم الدنيا ، والعذاب اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام وغيرهما .

(٨) انكار معجزات الأنبياء .

(٩) اباحة المحرمات والمحارم ، فأباحوا شرب الخمر ، والبنات والأخوات وجميع الملذات .

وقد ظهرت هذه الطائفة فى عهد الدولة العباسية ولا يزال لها بقايا إلى اليوم فى الهند ، وفارس ، وزنجبار والشام ، والخليج الفارسى وكان يتزعم فريق منهم أغاخان الزعيم المشهور ، وخلفه أحد أحفاده ، ويقدم إليه أتباعه الأموال والهدايا كل عام .

وزعماء هذه الطائفة يغيرون ويبدلون فى المبادئ حسب أهوائهم ، وأتباعهم يعتقدون أن لهم التصرف فى أمور الدنيا والآخرة ولهذا تجمع الأموال للإمام لا للفقراء وكلما امتد الزمان زاد مذهبهم فسادا ، ولحق الناس والمجتمعات من أعمالهم شر كبير (١) .

النصيرية :

بضم النون ، وفتح الصاد ، إحدى فرق الشيعة ، وهم اتباع نصير غلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهم يدعون ألوهية على رضى الله عنه مغالاة فيه ينتسبون إلى محمد بن نصير من موالى بنى نمير وكان شيعيا إماميا من أتباع إمامهم الحادى عشر الحسن العسكرى الذى أسس طائفة النصيرية .

قال الشهرستانى :

لهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن أصحاب مقالاتهم (٢) .

ومن مزاعم النصيرية قولهم :

أ- إن مسكن على السحاب ، إذا مر بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن .

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١١ وما بعدها ، والشهرستانى : ١ /٢ ، ٢٤ ، ٢٦ .
(٢) الملل والنحل : ص ١٠٩ .

ب- إن الرعد صوته ، والبرق ضحكه ، وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب .

جـ- إن سلمان الفارسى رسول على .

د- يحبون عبد الرحمن بن ملجم قاتل على رضى الله عنه ويقولون : إنه خلص اللاهوت من الناسوت ، ويخطئون من يلعنه .

هـ- وهم يخفون مقالاتهم ، ومن آذاعها فقد أخطأ عندهم ، ويرون أنهم على الحق وأن مقالتهم مقالة أهل التحقيق .

و- يعتقدون أن الخمر من النور ، فعظموا شجرة العنب التى هى أصل العنب

ز- يزعمون أن الصديق ، وأمير المؤمنين عمر ، وأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنهم تعدوا على على رضى الله عنه ومنعوه حقه من الخلافة .

الحكم عليهم :

هم طائفة ملعونة ، مرذولة مجوسية العقيدة لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات(١) .

مبادئهم :

(١) الديانة عندهم سر من الأسرار ولا تلقن للنساء لعدم استطاعتهن حفظ الاسرار أما الرجل فلا يباح له بسر دينه الا بعد أن يبلغ التاسعة عشر ويقسم اليمين أنه لا يبوح به ولو أريق دمه(٢) .

---

(١) صبح الأعشى : ١٣ / ٢٥٠ .

(٢) إذن فبين هذه الطائفة وبين الماسونية شبه كبير ، فمن أهداف الماسونية : القسم المفروض على المنخرطين فيها أن يرددوه على مسامع القائمين عليها ... وهو أقسم بمهندس الكون الأعظم أننى لا أفشى أسرار الماسونية ، ولا شعاراتها ، ولا أقوالها وتعاليمها ، وأن أصونها مكتومة فى صدرى إلى الأبد . أقسم بمهندس الكون الأعظم ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام والحروف ولا أكتب شيئاً فيها ولا أنشره بالطبع أو بالحفر وبالرسمو التصوير... =

(٢) يدعون الوهية على والأئمة من بعده ، ويزعمون أن عليا مسكنه السحاب فإذا مر بهم قالوا السلام عليك يا أبا الحسن .

(٣) يقولون بتناسخ الأرواح ، فالخيرة تحل فى النجوم ، والشريرة فى أجسام الحيوانات النجسة .

(٤) يستعملون الأسماء الاسلامية ما عدا اسم عمر وأبى بكر ، ولا يصومون رمضان ، ويحتفلون بالأعياد المسيحية .

(٥) الجنة والنار رمز دنيوى والصلوات الخمس أسماء على والحسن والحسين ومحسن وفاطمة ، وذكر هذه الاسماء يغنى عن غسل الجنابة وعن الوضوء وسائر شروط الصلاة ، إباحة الخمر وإن أكبر الأبالسة عمر ، ويليه أبو بكر ، فعثمان ، وهؤلاء أخطر على الإسلام من اليهود ، وقد أفتى ابن تيمية فى زمانه بوجوب قتالهم (١) .

البابية :

ظهـرت هذه النحـلة فى دولة ايران على يــد المرزا مـحـمد على الملقـب بالباب المولود فى شيراز سنة ١٨١٩ م .

=وأرضى إن حنثت فى قسمى أن تحرق شفتاى بحديد ملتهب ، وأن تقطع يدى وتجز عنقى وتعلق جثتى فى محفل ماسونى ، ثم يحرق ويذرى رمادها فى الهواء . من كتاب الماسونية منشئة ملك اسرائيل : لمحمد الزغبى .

فلماذا كل هذا التكتم الشديد ، والحرص على عدم إذاعة سر من أسرارها ألا يدل هذا علي أنها منظمة في منتهي الخطورة علي المجتمعات التي تعيش فيها ، ومن ثم فإن العضو العادى لايقبل فيها إلا بعد اختبار شديد وامتحان عسير ، أما العضو البارز فإنه لا يكون إلا من اليهود ، أو تربي في أحضان اليهودية ، ويرهن علي أنه لا يكترث بدين ولا وطن . وفوق هؤلاء فريق الحكماء يرأسهم الحكيم الذي يعتبر مصدر السلطة علي جميع المحافل الماسونية غير أن أعضاء هذا الفريق لا يعرفهم أحد ولا أين بجتمعون ؟

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١٣ .

وقد ادعى أنه المهدى المنتظر ، ثم ادعى النبوة والرسالة ، وإن الله أوحى إليه بكتاب (البيان) الناسخ للتوراة والانجيل والقرآن ، ثم ادعى أنه المسيح المنتظر ثم ارتقى إلى ادعاء الالوهية ،وقد عهد بالخلافة من بعده إلى أحد اتباعه ، وهو مرزا يحى الملقب بصبح أزل ، ومن بعده إلى أخيه حسين الملقب بالبهاء .

ولما قتل الباب بفتوى من العلماء سنة ١٨٥٠م تنازع الأمر من بعده : يحى وأخوه حسين وقام كل منهما يدعى بأن الله أوحى إليه بكتاب يصدق دعواه ، ويكذب دعوة أخيه ، وكانت الغلبة مع البهاء وأتباعه فظهرت البهائية خلفا للبابية (١) .

البهائية :

أتباع المرزا حسين على الذى لقب نفسه بالبهاء المولود فى بلدة نور من ضواحى (مازندران) سنة ١٢٢٣هـ قام فى أول الأمر بخلافة الباب ثم تدرج إلى المهدوية ثم النبوة والرسالة ، ثم الربوبية والألوهية .

وقد عهد بالخلافة من بعده إلى ابنه عباس المسمى عبد البهاء ، وقد دان البهائيون لكل خليفة بعد البهاء وقدسوه وعبدوه مثل عبادتهم للبهاء ، وقد نزل خليفتهم فى مصر سنة ١٨٩٢ م وأسس فيها الدعوة البهائية ، وهلك البهاء فى مدينة عكا سنة ١٣٠٩ هـ ، ١٨٩٢ م .

دين البابية والبهائية :

(١) أن للوحى تأويلات سامية ومفاهيم خفية لا يجليها الا ربها (الباب) أو (البهاء) وما يعلم تأويله إلا الله أى الباب أو البهاء .

(٢) ادعى البهاء المهدوية ، ثم الرسالة ، وإنه نزل عليه كتاب " الأقدس" الذى نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية ثم ادعى الالوهية ، وأمر بعبادة البشر .

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق بين الفرق ص ١١٣ ، وراجع البابية والبهائية فى الميزان ملحق مجلة الأزهر شعبان ١٤٠٥ هـ .

(٣) القول بموت عيسى صلبا وعدم عودته بنفسه ، وإنما تحل روحه في غيره والغير هنا رئيس المذهب الباب ثم البهاء .

(٤) انكار معجزات الأنبياء والبعث والحشر والوعد والوعيد والجنة والنار ولهذا ارتكبوا تأويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين .

(٥) نسخ جميع الأديان ، ورسوم عبادتها ، والحدود الواردة فيها لعدم صلاحيتها للعالم في عصر التقدم ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد الأحمر والأسود وقد ورد في أحكامه :

أن الصلاة تسع ركعات في البكور والزوال والأصال ، وقد بطلت صلاة الجماعة ، والقبلة عكا ، والحج إليها للرجال دون النساء ، وتحريم الحجاب وإباحة السفور والاختلاط ، وجعل الحدود عقوبات مادية وغير ذلك من مفترياتهم وكذبهم (١) قال الله تعالى :

" ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (٢).

طريقتهم في الدعوة إلى مذهبهم :

مخاطبة أهل كل ملة ودين بما يوافق هواهم فتجد الداعية منهم مسلما مع المسلمين ، ويهوديا مع اليهود يوهم أهل كل دين بأنه منهم ، وأنه يريد الاصلاح وإزالة الضغائن والتوفيق بين أهل المذاهب ، فإذا أنس الضعف من أحد أخذ يشككه في دينه ، وأورد عليه الشبه ، وأول الايات بما ينطبق على مزاعمه ثم يدعوه إلى عبادة البشر والعياذ بالله .

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١٤ وما بعدها ، وراجع البابية والبهائية في الميزان ، مرجع سابق .
(٢) الانعام : ٩٣ .

وهذا شأنهم فى ممالك الشرق خداع ونفاق مع المسلمين يظهرون الايمان ويبطنون [1] الكفر ، أما فى أوربا وأمريكا فدعوتهم جهارا ولا يخشون لوما ولا تثريبا ..

حكم الإسلام على البهائية والبابية :

بما أن البهائية مذهب البابية ، والبابية نسبة إلى الباب وهو لقب مؤسس الحركة الميرزا على أحمد الشيرازى (١٨٢٤م)

أطلق عليه اسم البهائية نسبة إلى (بهاء الله) خليفة (البابى) مؤسس هذا المذهب الجديد وهو الذى نفى إلى عكا لما نكلت الدولة الفارسية بأتباعه .

وقد جاد حكم لجنة الفتوى بالأزهر الشريف أن : البهائيين مرتدون وخارجون عن دين الاسلام .

فقد ورد إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف الاستفتاء الآتى :

أ- ما رأيكم فى النحلة البهائية ومعتنقيها من الاسلام ؟

ب- هل يورث معتنق البهائية من المسلم ؟

على محمد الوقاد

١٢٩ شارع السد البرانى : قسم السيدة زينب .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة السلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١٤ وما بعدها .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى البيان المرافق الذى شرح به المستفتى مبادئ المذهب البهائى .

ونفيد بأن البهائية مذهب باطل ليس من الاسلام فى شئ ، بل إنه ليس من اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتدا خارجا عن دين الاسلام .

فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الاسلام ويأباها كل الإباء منها : ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب والكفر هو مخالفته وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان إلى غير ذلك . ومن المقرر شرعا أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره .

وعلى ذلك فمعتنق مذهب البهائية لا يرث غيره مطلقا وبهذا علم الجواب عن السؤال

والله اعلم (١) .

القديانية (الأحمدية) :

اتباع غلام أحمد المولود فى (قديان) مركز بنجاب مديرية كورداسور بالهند سنة ١٢٥٢ هـ وقد ظلت القديانية فرقة واحدة مدة حياته ، وأيام خليفته نور الدين وفى آخر حياة نور الدين ابتدأ الخلاف وكان من أثره انقسامهم بعد وفاته إلى شعبتين :

(١) شعبة قديان ورئيسهم محمود بن غلام أحمد .

(٢) شعبة لاهور وزعيمهم محمد على الذى ترجم القرآن إلى اللغة الانجليزية .

والشعبة الأولى تدين بنبوة أحمد ، والثانية تعتقد أنه مصلح وهذا خلاف ماورد فى كتب مبتدع النحلة من أنه مهدى ثم نبى مرسل ثم عيسى الموعود به .

---

(١) نقلا عن البابية والبهائية فى الميزان ، مرجع سابق .

وتوفى غلام أحمد بعد حياة صاخبة كان منها ادعاء النبوة التى تحرم الجهاد وتدعو إلى مساعدة الانجليز لأنهم أرباب نعمته وأصحاب الفضل عليه فى حماية ونشر دعوته .

مبادئ القديانية :

(١) القول بعدم ختم النبوة وتأويل ما يدل على ختمها .

(٢) غلام أحمد هو المهدى والنبى المؤيد لشريعة محمد ﷺ وهو المسيح الموعود به .

(٣) باب الوحى مفتوح للناس وقد نزل عليه ويسمعه بعض اتباعه .

(٤) تحريم الجهاد والدعوة لطاعة ولاة الأمر الانجليز .

(٥) قديان ومسجدها تماثل مكة ومسجدها ، والحج إلى مكة فهى ثالث الأماكن المقدسة .

(٦) تكفير من لا يصدق به من المسلمين ، وتمثيلهم باليهود الذين كذبوا المسيح فى السلسلة الموسوية ، وهؤلاء كذبوا المسيح (يعنى نفسه فى السلسلة المحمدية) .

(٧) تفضيله وأتباعه على جميع الأنبياء وأتباعهم .

(٨) ادعاؤهم أن المعنى المقصود من الآيات لا يدركها الا المسيح القديانى ، وانكارهم ان سنة الرسول أصل فى التشريع وهم يدعون الناس عن طريق انهم مسلمون مصلحون .

والحقيقة التى لا ينبغى ان تغيب عند المسلمين : أن القديانية والبهائية من أخطر أصحاب المذاهب على الأمم ، والاسلام ، وأشد كفرا وجحودا من اليهود والنصارى والمجوس ، ويبطل دعوتهم ما قد ثبت من الكتاب والسنة والاجماع من عموم رسالة محمد ﷺ وأنه خاتم الانبياء والمرسلين وأن كتابه خاتم الكتب أجمعين .

ولا يخفى على أحد أنهم منتشرون فى البلاد الاسلامية يعاونهم الاستعمار بسلطانه الخفى ، وماله ، لأنهم أعوانه فى إشاعة الفساد بين المسلمين (١) .

ومما لاريب فيه أن هؤلاء فى ميزان الإسلام عقول أضلها الله وأعمى أبصارهم فراحوا يضربون فى الأرض على غير هدى فضلوا وأضلوا .

الدروز :

تنسب هذه الطائفة إلى محمد بن عبد الله الدرزى صاحب دعوة الحاكم أبى على المنصور بن العزيز خليفة مصر ، وكانوا كما قال فى التعريف من الإسماعيلية ، ثم خرجوا عن كل ما اعتقدوه ، وهدموا كل ما أسسوه ..وكان مبدأ ظهور هذه الطائفة فى الديار المصرية أيام الحاكم .. وسموا أنفسهم موحدين ، وكانوا يوافقون الحاكم على ادعائه الألوهية ، ولم تصلح أرض مصر لدعوتهم ، فانتقلوا إلى الشام حيث وجدوا من يقبل هذه الدعوه وهم يقولون : برجعة الحاكم ، وأن الألوهية انتهت إليه ، وهو يغيب ويظهر بهيئته ، ويقتل أعداءه ، كما يقولون بقول الطبائعية إن الطبائع هى المولدة ، والموت بفناء الحرارة الغريزية كإنطفاءالسراج بفناء الزيت ، فيقولون : دهر دائم ، وعالم قائم ، أرحام تدفع وأرض تبلع بعد أن ذكر أنهم يستبيحون فروج المحارم فهم أشد كفرا ونفاقا من النصيرية السابق ذكرهم .

وأبعد من كل خير ، وأقرب من كل شر (٢) .

مبادئهم :

(١) عقائدهم سر من الأسرار لا يبيحون بها ولولا استيلاء (ابراهيم بن محمد على) على معابدهم فى جبل (حاصبيا) ما علم شئ عن ديانتهم .

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١٥ .

(٢) صبح الأعشى : ١٣ / ٢٤٨ .

(٢) كلمة الشهادة عندهم " ليس فى السماء إله موجود ، ولا على الأرض رب معبود إلا الحاكم بأمره "

(٣) كانت بسملتهم أيام الحاكم (باسم الحاكم الله الرحمن الرحيم) .

ولما انتقدوا قالوا : "باسم الله الحاكم الرحمن الرحيم" ، فجعلوا فى الأول الله صفة للحاكم وفى الثانى العكس .

(٤) يكوهون عبادة الأصنام ، والنفوس تثاب وتعاقب يوم الميعاد بحسب أعمالها وهى خالدة تتقمص الأجساد البشرية .

يوافقون الاسلام فى الختان والزواج والطلاق والصلاة على الجنازة لكن لا يتزوج الشخص أكثر من واحدة والطلاق لا رجعة فيه .

ولهم عيدان : عيد رمضان ، وعيد الأضحى ، ويجتمعون ليلة الجمعة فى معابدهم ، ولهم أماكن عبادة يسمونها خلوات للذين ينقطعون للعبادة ، والوصية عندهم نافذة للقريب والبعيد ، قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

إن قتالهم وقتال النصيرية أولى من قتال الأرمن ، لأنهم عدو فى دار الإسلام وشر بقائهم أضر (١) ومن ثم كان الاحتراس والحذر من ألاعيبهم واجب المسلمين ، فى كل زمان ومكان .

أقسام الدروز :

تنقسم هذه الفرقة إلى قسمين :

(١) الطائعون (العقال) وتفوض إليهم الأحكام الدينية ويجب أن يتحلوا بجميع الفضائل ، ويبتعدوا عن المنكرات والمساخر ، ولا يجوز للعاقل أن يخلو بامرأة

---

(١) المرجع نفسه : ٢٤٩ .

أجنبية ما لم يكن بينهما ثالث ومن يرتكب اثما انما يطرد من مجلس العقال حتى يتوب .

(٢) الشراحون (الجهال) وهم الذين ينغمسون فى الملذات والشهوات ولهذا يمنعون من مطالعة القرآن ، وكتب الحكمة ، لأن هذه الكتب مقدسة لا يمسها الا المطهرون من المعاصى ، ولا يباح لهم الا قراءة شروح الكتب الدينية ، وبما أنهم يؤمنون بألوهية الحاكم ، وأنه مختف وسيرجع ويأمر بهدم الكعبة ويفتك بالنصارى ، والمؤمنين ، ويملك اتباعه الأرض ، ويفسرون القرآن على هواهم فهم كافرون وأخطر على المؤمنين من الكفار (١) .

وهناك فرق أخرى من الشيعة ذكرها الشهرستانى فى كتابه (٢) مثل :

الهاشمية :

اتباع أبى هاشم بن محمد بن الحنفية الذى انتقل إلى رحمة الله ، وانتقلت الامامة إلى ابنه هاشم . ومن أقوالهم : أن لكل ظاهر باطنا ، ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويل .. ولهم فى الخلافة حق لاتصال النسب وقد توفى رسول الله ﷺ ، وعمه العباس أولى بالوراثة . وهذه الفرقة تضم خمس فرق ..

البنانية :

اتباع بنان بن سمعان النهدى ، انتقلت الامامة إليه من أبى هاشم ، وهومن الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين على رضى الله عنه ..

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق ص ١١٦ .

(٢) الملل والنحل جـ ١ /١٥٥ ، ١٥٧ .

الرزامية :

أتباع رزام ، قالوا : بانتقال الامامة من على إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه أبى هاشم ، ثم منه إلى على بن عبد الله بن عباس بالوصية ، ثم ساقوها إلى محمد ابن على وأوصى محمد إلى ابنه ابراهيم الامام صاحب أبى مسلم وهؤلاء ظهروا بخراسان زمن أبى مسلم ومن أقوالهم :

ادعاء حلول روح الاله فيه .. كما قالوا : بتناسخ الأرواح ..

وقالوا : الدين معرفة الامام فقط ..

ومنهم من قال : الدين أمران :

معرفة الامام ، وأداء الأمانة ، ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى حال الكمال وارتفع عنه التكليف (١) .

الجارودية :

أصحاب أبى الجارود زياد بن المنذر : ومن مزاعمهم أن النبى ﷺ نصّ على علىٍّ – رضى الله عنه – بالوصف دون التسمية ، والامام من بعده ، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف ، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك .. ثم اختلفت الجارودية فى الامامة بعد على رضى الله عنه (٢) .

السليمانية :

هم أصحاب سليمان بن جرير ومن أقواله : الامامة شورى فيما بين الخلق ، ويصح انعقادها بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وأنها تصح فى المفضول مع وجود الأفضل ،

---

(١) الشهرستانى : ١ /١٥٩ .

(٢) المرجع نفسه : ١ / ١٦٣ والفرق بين الفرق ص ٣٠ .

وأثبت امامة أبى بكر وعمر حقا باختيار الأمة حقا اجتهاديا ، ومع هذا فقد وقع فى المحظور حين قال :

بتكفير عثمان رضى الله عنه بسبب الأحداث التى أحدثها ، كما كفر عائشة رضى الله عنها ، والزبير ، وطلحة ، باقدامهم على قتال علي (١) ..

الصالحية :

أصحاب الحسن بن صالح بن حى ، قالوا فى الامامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر ؟ قالوا : إذا سمعنا الأخبار الواردة فى حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة ، قلنا يجب أن يحكم بصحة اسلامه وايمانه ، وكونه من أهل الجنة ، وإذا رأينا الأحداث التى أحدثها من استهتاره بتربية بنى أمية وبنى مروان ، واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة قلنا : يجب أن يحكم بكفره ، فتحيرنا فى أمره ، وتوقفنا فى حاله ، ووكلناه إلى أحكم الحاكمين (٢) .

وبعد :

فقد تـم الكلام فى الغلاة والامـامية من الشيعة ، أما عـلى رضى الله عنه فهـو أفـضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأولاهم بالامامة ، ولكنه سلم الأمر لهم راضيا ، وفوض الأمر إليهم طائعا ، وترك حقه راغبا فنحن راضون بما رضى مُسلّمون لما سلم لا يحل لنا غير ذلك .

قول الروافض فى التجسيم :

اختلف الروافض فى التجسيم وهم ست فرق :

(١) الشهرستانى : ١ /١٦٥ ، ١٦٦ ، والفرق بين الفرق : ٣٢ .
(٢) الشهرستانى : ١ / ١٦٦ .

الهاشمية :

أصحاب هشام بن الحكم الرافضي . ومن مزاعمهم :

أن معبودهم جسم ، وله نهاية وحد ، طويل عريض عميق ، طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه .. ولم يعينوا طولا غير الطويل ، وقولهم : طوله مثل عرضه على المجاز دون التحقيق كما زعموا أنه نور ساطع له قدر من الاقدار في مكان دون مكان ، كالسبيكة الصافية ، يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبه ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، لونه هو طعمه وطعمه هو رائحته ، ورائحته هي مجسته ، وهونفسه لون ، ولم يعينوا لونا ولا طعما هو غيره ، وزعموا أنه هو اللون ، وهو الطعم ، وأنه قد كان لا في مكان ، ثم حدث المكان بأن تحرك الباري فحدث المكان بحركته فكان فيه وزعم أن المكان هو العرش (١) ..

وذكر عن (هشام) هذا أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل : زعم مرة أنه كالبللورة ، وزعم مرة أنه كالسبيكة ، وزعم مرة أنه غير صورة ، وزعم مرة أنه - بشبر نفسه - سبعة أشبار ، ثم رفع عن ذلك وقال : هو جسم كالأجسام .

الفرقة الثانية من الرافضة :

يزعمون أن ربهم ليس بصورة ، ولا كالأجسام وإنما يذهبون في قولهم إلى " أنه جسم" موجود ..

ويزعمون أن الله عز وجل على العرش مستو بلا مماسة ولا كيف (٢) .

الفرقة الثالثة من الرافضة :

يزعمون أن ربهم على صورة الانسان ، ويمنعون أن يكون جسما .

(١) مقالات الاسلاميين : ١ /١٠٦ ، والشهرستاني : ٢ /٢٠ .
(٢) مقالات الاسلاميين : ١ / ١٠٨ ، والفرق بين الفرق .

الفرقة الرابعة من الرافضة الهاشمية :

أصحاب "هشام بن سالم الجواليقى" ، ومن مزاعمهم : أن ربهم على صورة الانسان ، وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون : هو نور ساطع يتلألأ بياضا ، وأنه ذو حواس خمس كحواس الانسان له : يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم ، وأنه يسمع بغير ما يبصر به ، وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم (١) .

الفرقة الخامسة من الرافضة :

يزعمون أن رب العالمين ضـياء خالـص ونور بحت ، وهو كالمصبـاح الذى من حيث ما جئته يلقاك بأمر واحد ، وليس بذى صورة ولاأعضاء ولا اختلاف فى الأجزاء ، وأنكروا أن يكون على صورة الإنسان ، أو صورة شئ من الحيوان .

الفرقة السادسة من الرافضة :

يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ، ولا يتحرك ولا يسكن ، ولا يماس .

وغاب عن هؤلاء وذهلت عقولهم عن قول الله تعالى : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير "(٢) .

وقوله سبحانه : " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "(٣) .

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١ / ١٠٩ .
(٢) الأنعام : ١٠٣ .
(٣) الشورى : ١١ .

الخوارج وفرقها

يقال لهذه الطائفة : الخوارج ، والحرورية ، والنواصب ، والشراة.

فأما **الخوارج** : فجمع خارج ، وهو الذى خلع طاعة الامام الحق ، و أعلن عصيانه وألب عليه ، وعلماء الفقه الاسلامى يسمون من فعل ذلك وصارت له شوكة " الباغى" وجمعه بغاة .

وأما **الحرورية** فنسبة إلى حروراء ، قرية بظاهر الكوفة ، نزل بها الخوارج الذين خالفوا على بن أبى طالب " رضى الله عنه" فنسبوا إليها ، وبها كان التحكيم ، وقال ياقوت : الحرورية فرقة من الخوارج كانوا يوجبون على الحائض إذا طهرت قضاء الصلاة .

وأما **النواصب** ، فجمع ناصبى وهو : الغالى فى بغض على بن أبى طالب ، قال المقريزى(١) : " الفرقة العاشرة الخوارج ويقال لهم : النواصب ، والحرورية ، نسبة إلى حروراء موضع خرج فيه أولهم على علىٍّ " رضى الله عنه" ، وهم الغلاة فى حب أبى بكر، وعمر وبغض علىٍّ بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين .. ولا أجهل منهم ، فإنهم القاسطون المارقون ، خرجوا على علىٍّ " رضى الله عنه" وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤوا منه ، ومنهم من كان فى زمنه ،وهم جماعة دوّن الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة " ١هـ .

وأما **الشراة** بضم الشين مثل رماة ، وهم أنفسهم يفسرون ذلك ويسموا بذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى على أن لهم الجنة إشارة إلى قوله تعالى : " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » (٢) .

والخوارج قوم كانوا مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولكنهم حملوه على أن يرضى بالتحكيم بينه وبين معاوية ، كما أشاروا بإقامة أبى موسى

---

(١) خطط المقريزى : ٢/٣٥٤ .

(٢) التوبة : ١١١ .

الأشعرى حكما عن على وإقامة عمرو بن العاص حكما عن معاوية ، فخدع عمرو أبا موسى ، بأن اتفق معه على أن يخلعا عليا ومعاوية جميعا ، ويقيم المسلمون لهم خليفة يختارونه ، فتقدم ، أبو موس وأشهد من حضر أنه خلعهما ، فوافق عمرو على خلع علىٌ ، ولم يخلع معاوية ، وبقى الأمر لمعاوية ، فأنكروا ذلك حينئذ ورفضوا التحكيم و ومنعوا حكمه ، وكفروا عليا ومعاوية ، ومن كان معهما بصفين ، وقالوا :

لا حكم إلا لله ورسوله وخرجوا على علىٌ فسموا بالخوارج ، ثم فارقوه وذهبوا إلى النهروان ، فأقاموا هناك ، وكانوا أربعة آلاف غوغاء لا قائد لهم ، فذهب إليهم على رضى الله عنه ، فقاتلهم فلم يفلت منهم سوى تسعة أنفس :

ذهب منهم اثنان إلى عمان ، واثنان إلى كرمان ، واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى اليمن فظهرت بدعتهم بتلك البلاد وبقيت بها .

تعاليمهم ومذهبهم :

١- منع التحيكم وتخطئة على وأصحابه ، ومعاوية وأصحابه وتكفيرهم .

٢- يمنعون التأويل فى كتاب الله ، ومنهم من يقول : سورة يوسف ليست من القرآن ، إنما هى قصة من القصص ، ومن أدخلها فى القرآن فقد زاد فيه ماليس منه .

٣- إمارة بنى أمية كانت ظلما ، وكل مارتبوه على التحكيم باطل .

٤- يخطئون عمرو بن العاص ، وأبى موسى الأشعرى فيما اتفقا عليه عند تحكيمهما ، ويشنعون على معاوية وأصحابه ويقولون : استباحوا الفروج والأموال بغير حق .

٥- منهم من يكفر أصحاب الكبائر ، ومنهم من يكفر بالإصرار على الصغائر بخلاف الكبائر من غير إصرار ويصوبون فعلة عبد الرحمن بن ملجم ، ومن

ينكر ذلك من الشيعة يعد كافرا ، كما يصوبون فعل عمرو بن بكر الخارجى الذى قتل خارجة بن أبى حبيب صاحب شرطة عمرو بن العاص بمصرحين قتله على ظن أنه عمرو بن العاص .

٦- يجوزون كون الإمام غير قرشى ، بل يجوزون إمامة الحر والعبد وينسبون من خالفهم إلى الخطأ ، ويستبيحون دمه (١) .

اجماع الخوارج : أجمعت الخوارج على تكفير على بن أبى طالب " رضى الله عنه " بسبب التحكيم ، وهم مختلفون : هل كفره شرك أم لا ؟ .

كما أجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا " النجدات" فإنها لا تقول ذلك . وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما ، الا (النجدات) أصحاب نجدة - سيأتى الحديث عنهم -

أول من أحدث الخلاف بين الخوارج نافع بن الأزرق الحنفى ، خرج بالبصرة فى أيام عبد الله بن الزبير(٢)

وفى سنة خمس وستين اشتدت شوكة نافع لاشتغال أهل البصرة واختلافهم ، وكثرت جموعه ، فخرج أمير البصرة إليه فدفعه عن أرض البصرة حتى بلغ الأهواز واقتتلوا ثم انتهت المعركة بقتل نافع ، وتولية عبد الله بن الماحوز التميمى أميرا على الخوارج (٣) . وكان نافع بن الأزرق تبرأ من القعدة ، وهم قوم يرون تزيين التحكيم ، قال فى تاج العروس : (القعدة قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة على بن أبى طالب " رضى الله عنه ومقاتلته ، ومن يرى رأيهم قعدى .. وهم يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .ا.هـ

---

(١) راجع صبح الأعشى : ١٣ / ٢٢٣ ، والكامل لابن الأثير : ٣ /١٧١ ، والملل والنحل : ٦٩ .
(٢) خطط المقريزى : ٢ /٣٥٤.
(٣) ابن الأثير : تاريخ الكامل : ٤ / ٨١ وما بعدها .

والأزارقة لا تتبرأ ممن تقدمها من سلفها من الخوارج ، كما لا تبرأ ممن تركوا كفار القعدة .. ويقولون : هذا تبين لنا وخفى عليهم .

ومن أقوالهم : أن كل كبيرة كفر ، وإن الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم ، وأن كل مرتكب معصية كبيرة ففى النار خالدا مخلدا ، ويكفرون عليا رضى الله عنه فى التحكيم ويكفرون الحكمين : أبا موسى وعمرو بن العاص ، ويرون قتل الأطفال !

واستحلوا خفر الأمانة التى أمر الله سبحانه بأدائها ، وقالوا : قوم مشركون لا ينبغى أن تؤدى الأمانة إليهم ، ولم يقيموا الحدود على قذف المحصنين من الرجال ، وأقاموها على قذف المحصنات من النساء ، وقالوا : ما كف أحد يده عن القتال منذ أنزل الله عز وجل البسط الا وهو كافر (١) .

ويرى الأزارقة أن أطفال المشركين فى النار ، وأن حكمهم حكم آبائهم ، وكذلك أطفال المؤمنين حكمهم حكم آبائهم ، وزعمت الأزارقة أن من أقام فى دار الكفر كافر لا يسعه إلا الخروج .

فرق الخوارج :

النجدات : ينسبون إلى نجدة بن عامر الحنفى ، خرج من اليمامة فى نفر من الناس ، وأقبل إلى الأزارقة يريدهم ، فأستقبلهم نفر من أهل عسكر نافع ، وأخبروه ومن معه بأحداث نافع التى أحدثها ، وأنهم برئوا منه ، وفارقوه ، وأمّروا نجدة بالمقام وبايعوه ، فمكث نجدة زمانا ، ثم بعث بعثا إلى أهل القطيف ، واستعمل عليهم ابنه فقتل وسبى وغنم .

ومن أقوالهم : الدين أمران : أحدهما – معرفة الله ومعرفة رسله عليهم السلام.

آخرهما : تحريم دماء المسلمين وأموالهم ، وتحريم الغصب ، والاقرار بما جاء من

(١) مقالات الاسلاميين : ١ / ١٧٣ وما بعدها .

عند الله جملة ، فهذا واجب ، وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة ..

ومن أقوالهم أيضا : لا ندرى لعل الله يعذب المؤمنين بذنوبهم ، فان فعل فإنما يعذبهم فى غير النار بقدر ذنوبهم ، ولايخلدهم فى العذاب ، ثم يدخلهم الجنة .

وزعموا أن من نظر نظرة صغيرة ، أو كذب كذبة صغـيرة ثم أصر عليها فهو مشرك ، وأن من زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم . يكفرون من يصر على الصغائر دون فعل الكبائر من غير إصرار ، ويستحلون دماء أهل العهد والذمة وأموالهم فى دار التقية ، ويتبرءون ممن حرمها .

ونقم عطية بن الأسود على نجدة ، لأنه بعثه إلى سجستان ، فاظهر مذهبه بمرو ، فعرفت أصحابه بالعطوية وأنه أنفذه فى غزو البر ، وغزو البحر .. ونقم عليه أصحابه لأنه عطل حد الخمر ، وقسم الفئ ،وأعطى مالك بن مسمع وأصحابه ، وحكم بالشفاعة .. كما نقموا على نجدة أيضا أنه فرق الأموال بين الأغنياء وحرم ذوى الحاجة منهم ، فبرئ منه " أبوفديك" فوثب عليه فقتله وبويع له ، فأنكر أصحاب نجدة على أبى فديك ، فكتب عطية إلى أبى فديك أن يبايع له من قبله ، وأبى ذلك أبو فديك ، فبرئ كل واحد منهما من صاحبه ، وصارت الدار لأبى فديك ، وصاروا معه إلا من تولى نجدة ، فصاروا ثلاث فرق : "النجدية" و"العطوية" و"الفديكية" .(١)

العطوية :

فأمـــا عطية بن الأســود الحنـفى وأصحابه الذين يسمون " العطوية" فإنه لم يحدث قولا أكثر من أنه أنكر على نافع ما أحدثه من أقاويله ، ففارقه ، ثم أنكر على نجدة ماحكينا عنه ، ففارقه ، ومضى الى سجستان(٢) .

(١) مقالات الاسلاميين : ١٧٥/١ ، والشهرستانى : ١ / ١٣٠ ، وصبح الاعشى حـ ١٣ ص ٢٢٤ .
(٢) مقالات الاسلاميين : ١٧٧/١ .

العجاردة وفرقها :

من العطوية أصحاب عبد الكريم بن عجرد ويسمون العجاردة وهم الذين ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ، ويقولون : إنما هى قصة من القصص ويوجبون التبرى من الطفل فإذا بلغ دعى الى الاسلام . وهم خمس عشرة فرقة :

الفرقة الاولى : يزعمون أنه يجب أن يدعى الطفل اذا بلغ ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى الى الاسلام ويصفه هو .

الفرقة الثانية : من العجاردة « الميمونية » :

يشبهون المعتزلة فى القول بالقدر ، ومن مزاعمهم : أن الله سبحانه فوض الاعمال الى العباد ، وجعل لهم الاستطاعة الى كل ماكلفوا به ، فهم يستطيعون الكفر والايمان جميعا ، وليس لله سبحانه وتعالى فى أعمال العباد مشيئة وليست اعمال العباد مخلوقة لله ، فبرئت منه « العجاردية » وسموا الميمونة .

ومن أقوالهم : إن الله تعالى يريد الخير دون الشر ، ويجوزون نكاح بنات البنات ، وبنات أولاد الإخوة والأخوات .

الخلَفية : الفرقة الثالثة من العجاردة الخلفية : ينسبون الى رجل يقال له : (خلف) فارقوا الميمونية فى القول بالقدر ، وقالوا : بالاثبات .

الفرقة الرابعة منهم : الحمزية : أصحاب رجل يقال له : حمزة .

ثبتوا على قول الميمونية بالقدر ، وأنهم يرون قتال السلطان خاصة ، ومن رضى بحكمه ، فأما من أنكره فلا يرون قتله ، الا اذا أعان عليهم ، أو طعن فى دينهم ، أو صار عونا للسلطان أو دليلا له .

الفرقة الخامسة من العجاردة : الشعيبية : ينتسبون الى رجل يقال له شعيب برئوا من ميمون ، ومن قوله ، فقال : انه لايستطيع احد أن يعمل الا ماشاء الله وأن أعمال العباد مخلوقة لله .

وكان سبب فرقة الشعبية والميمونية أنه كان لميمون على شعيب مال ، فتقاضاه فقال له شعيب : أعطيكه ان شاء الله ، فقال ميمون : قد شاء الله أن تعطينيه الساعة ، فقال شعيب ، لو شاء لم أقدر ألا أعطيكه ، فقال ميمون : فان الله قد شاء ما أمر ، وما لم يأمر لم يشأ ، وما لم لم يأمر لم يشأ ، فتابع ناس ميمونا ، وتابع ناس شعيبا ، فكتبوا الى عبد الكريم بن عجرد – وكان فى الحبس – يعلمونه قول ميمون وشعيب فكتب عبد الكريم : انا نقول ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ولا نلحق بالله سوء ، فوصل الكتاب اليهم ، ومات عبد الكريم ، فادعى ميمون أنه قال بقوله حين قال : « لانلحق بالله سوء » وقال شعيب : لا ، بل قال بقولى حيث قال : « ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » فتولوا جميعا عبد الكريم ، ويرئ بعضهم من بعض .(١)

الفرقة السادسة من العجاردة : الخازمية :

قالوا فى القدر بالاثبات ، وبأن الولاية والعداوة صفتان لله عز وجل فى ذاته ، وأن الله يتولى العباد على ماهم صائرون اليه ، وان كانوا فى أكثر أحوالهم مؤمنين .

الفرقة السابعة من العجاردة ، الثانية من الخازمية ، يدعون : المعلومية : من أقوالهم : من لم يعلم الله بجميع اسمائه فهو جاهل به ، وان افعال العباد ليست مخلوقة ، وان الاستطاعة مع الفعل ، ولايكون الا ماشاء الله .

الفرقة الثامنة من العجاردة ، الثالثة من الخازمية : المجهولية » :

من أقوالهم : ان من علم الله ببعض أسمائه ، فقد علمه ولم يجهله ، كما قالوا : باثبات القدر .(٢)

الصلتية : التاسعة من العجاردة أصحاب : عثمان بن أبى الصلت .

تفرد بقوله : اذا استجاب لنا الرجل وأسلم توليناه ، وبرئنا من أطفاله ، لأنه ليس لهم اسلام حتى يدركوا فيدعون الى الاسلام فيقبلونه .

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١٧٩/١ .

(٢) مقالات الاسلاميين : ١٧٩/١ .

الثعالبة : العاشرة من العجاردة ، ومن أقوالهم : ليس لأطفال الكافرين ولا لأطفال المؤمنين ولاية ، ولا عداوة ، ولا براءة حتى يبلغوا فيدعوا الى الاسلام فيقروا به أو ينكروه .

الأخنسية : الفرقة الحادية عشرة من العجاردة الأولى من الثعالبة : يتوقفون عن جميع من فى دار التقية من منتحلى الاسلام وأهل القبلة ، الا من قد عرفوا منه ايمانا فيتولونه عليه ، أو كفرا فيتبرءون منه لأجله ، ويحرمون الاغتيال والقتل فى السر ، وأن يبدأ أحد من أهل البغى من أهل القبلة بقتال حتى يدعى ، الا من عرفوه بعينه فبرئت منهم الثعلبية وسموهم الاخنسية نسبة الى رجل يسمى الأخنس .

المعبدية : الفرقة الثانية عشرة من العجاردة : الثانية من الثعالبة ، كانوا يرون أخذ زكاة أموال عبيدهم اذا استغنوا ، واعطائهم من زكاتهم اذا افتقروا ، ثم رأوا أن ذلك خطأ ، ولم يتبرءوا ممن فعل ذلك ، فقال لهم رجل يدعى (معبد) ان كنتم لاتتبرءون ممن فعل ذلك فإنا لا ندعه وأقام على ذلك وبرئت منه الثعالبة ومن أصحابه .(١)

الشيبانية : الفرقة الثالثة عشرة من العجاردة الثالثة من الثعالبة ينتسبون الى رجل يقال له : شيبان بن سلمة :

ومن قصتهم : أن شيبان لما أحدث احداثا برئت منه الخوارج ، فلما قتل شيبان ، جاء قوم فذكروا توبته ، فلم تقبل الثعلبية منهم توبة شيبان ، قائلين : ان أحداث شيبان كانت قتل المسلمين ، وأخذ أموالهم وضربهم ، فان كنتم دفعتم من دار العلانية فانا لانقبل من القاتل فى دار العلانية توبة حتى يعفوا عنه ولى المقتول ، ولا نقبل توبة من ضرب المسلمين حتى يقص من نفسه ، أو يوهب ذلك له ، وحتى يرد أموالهم ، وشيبان لم يفعل ذلك .. لكن قوما منهم قبلوا توبته فسموا الشيبانية ، ثم خرج منهم قوم ثبتوا على قول الثعلبية سموا (الزيادية) .(٢)

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١/١٧٩ ، ١٨٠ .
(٢) مقالات الاسلاميين : ١/١٨١ .

وهكذا تتفرع الفرق وتتنوع ، ثم تتعارض فيما بينها وتتشقق . ولا غرابة البتة نحو هذه العقول التى أضلها خالقها فراحت تضرب فى الأرض على غير هدى .

الرشيدية العشرية : **الفرقة الرابعة عشرة** من العجاردة ، الرابعة من الثعالبة : انفردوا بأداء الزكاة نصف العشر عما سقى بالعيون والأنهار الجارية ، ثم رجعوا عن ذلك ، فكتبوا الى « زياد بن عبد الرحمان » فأجابهم ثم أتاهم فأعلمهم أن فى ذلك العشر ، لكن رجلا منهم يسمى (رشيدا) ثبت هو ومن معه على الفعل الذى يعملون به فبرئت منهم الثعالبة ، وسموهم (العشرية) ...

المكرمية : **الفرقة الخامسة عشر** من العجاردة الخامسة من الثعالبة ، وهم أصحاب أبى مكرم ، ومن مزاعمهم أن تارك الصلاة كافر ، وكفره ليس بسبب ترك الصلاة ولكن بسبب جهله بالله ، وكذلك الحكم فى سائر الكبائر ، فالجهل كفر لابسبب المعصية ، ولكن بسبب جهله بالله ، فبرئت منهم الثعالبة .

ومن قول الثعالبة فى الأطفال : أنهم يشتركون فى عذاب آبائهم ، لأنهم ركن من أركانهم أى بعض من أبعاضهم .(١)

الفديكية : **مــن الخوارج** : أصــحاب أبى فديك ، لم يتفردوا بقول اكثر من انكارهم على نافع ونجدة(٢) . كما تقدم .

الصفرية من الخوارج : أصحاب زياد بن الأصفر ، يختلفون عن الأزارقة فى عدم موافقتهم لقتل الاطفال ، ولايجيزون ذلك .. وأصل قول الخوارج انما هو قول الأزارقة والاباضية والنجدية ، فإنما تفرعوا من الصفرية .

الإباضية : يرون أن مرتكب الكبيرة كافر للنعمة لامشرك ، ويرون أن دار مخالفيهم من المسلمين دار توحيد ، ودار السلطان منهم دار بغى .

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١٨٢/١ ، والشهرستانى : الملل والنحل : ١٣٩/١ .

(٢) مقالات الاسلاميين : ١٨٢/١ ، ١٩٨٣ .

فرق الاباضية :

الفرقة الاولى منهم : الحفصية : نسبة الى امامهم : حفص بن أبى المقدام كان من مزاعمه : أن بين الشرك والايمان معرفة الله وحده ، فمن عرف الله سبحانه ، ثم كفر بما سواه من رسول ، أو جنة أو نار أو عمل بجميع الخبائث : من قتل النفس أو استحلال الزنا وسائر ماحرم الله من فروج النساء فهو كافر برئ من الشرك ، وكذلك من اشتغل بسائر ماحرم سبحانه مما يؤكل ويشرب فهو كافر برئ من الشرك ، ومن جهل الله سبحانه وأنكره فهو مشرك فبرئ منه جل الاباضية الا من صدّقه منهم ، وتأولوا فى عثمان نحو ماتأولت الشيعة فى أبى بكر وعمر ، وزعم أن عليا هو الحيران الذى ذكره الله فى القرآن : « كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى إئتنا » وأن أصحابه الذين يدعونه الى الهدى أهل النهروان ، وزعم أن عليا هو الذى أنزل الله سبحانه فيه : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا » . وأن عبد الرحمان بن ملجم هو الذى أنزل الله فيه : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) ثم قال بعد ذلك : الايمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله .

الفرقة الثانية : اليزيدية : ينسبون الى يزيد بن أنيسة ..

ومن مزاعمه : أن الله سبحانه سيبعث رسولا من العجم ، وينزل عليه كتابا من السماء يكتب فى السماء ، وينزل عليه جملة واحدة ، فترك شريعة محمد ، ودان بشريعة غيرها ، وزعم أن ملة ذلك النبى الصابئة ، وليس هذه الصابئة التى عليها الناس اليوم وليس هم الصابئين الذين ذكرهم الله فى القرآن ولم يأتوا بعد .

الفرقة الثالثة من الاباضية أصحاب **حارث الاباضى** . قالوا فى القدر بقول المعتزلة ، وخالفوا فيه سائر الاباضية ...

ومن مزاعمهم : أن مخالفيهم من أهل الصلاة كفار ، وليسوا بمشركين ، حلال مناكحتهم وموارثتهم حلال غنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب ، حرام ماوراء ذلك ..

وزعموا أن دار التقية هى دار مخالفيهم دار توحيد الا عسكر السلطان فانه دار كفر يعنى عندهم ...

الفرقة الرابعة منهم يقولون : بطاعة لايراد الله بها على مذهب **أبى الهذيل** ، ومعنى ذلك أن الانسان قد يكون مطيعا لله اذا فعل شيئا أمره الله به ، وان لم يقصد الله بذلك الفعل ولا اراده به . ثم اختلفوا فى النفاق فصاروا ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : يزعمون أن النفاق براءة من الشرك ، واحتجوا فى ذلك بقول الله عز وجل : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » .

والفرقة الثانية : يقولون : ان كل نفاق شرك لأنه يضاد التوحيد .

والفرقة الثالثة : يقولون : لسنا نزيل اسم النفاق عن موضعه ، وهو دين القوم الذين عناهم الله بهذا الاسم فى ذلك الزمان ، ولانسمى غيرهم بالنفاق .

وقالوا : من سرق خمسة دراهم فصاعدا قطع ، وقال القوم الذين زعموا أن المنافق كافر وليس بمشرك : ان المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا موحدين ، وكانوا أصحاب كبائر .

وقالوا : كل شئ أمر الله به عباده فهو عام ليس بخاص ، وقد أمر الله به الكافرين والمؤمنين ...

وقال بعضهم : ليس على الناس مشى الى الصلاة والركوب الى الحج ولاشئ من أسباب الطاعات التى يتوصل بها اليها ، وانما عليهم فعلها بعينها فقط .

ومن أقوالهم : ان الواجب أن يستتيبوا من خالفهم فى تنزيل أو تأويل ، فان تاب والا قتل ، ومن زنى أو سرق أقيم عليه الحد ثم استتيب ، فان تاب والا قتل ، وبعضهم قال : ليس من جحد الله وأنكره مشركا ، حتى يجعل معه إلها غيره .. ، وقالوا : العالم يفنى كله اذا أفنى الله أهل التكليف ، ولا يجوز الا ذلك لأنه انما خلقه لهم فاذا أفناهم لم يكن لبقائه لهم معنى .

وقال كثير منهم : ان الله كلف العباد مالايقدرون عليه لتركهم له لا لعجزهم عنه .

وكل الخوارج يقولون بخلق القرآن ..

والاباضية يقولون : ان جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه ايمان ، وان كل كبيرة فهى كفر نعمة ، لا كفر شرك ، وان مرتكبى الكبائر فى النار خالدون مخلدون فيها .

الضحاكية : ويقال : ان اسمها **الواقفة** : اجازوا ان يزوجوا المرأة المسلمة عندهم من كفار قومهم فى دار التقية .. ثم انقسموا الى فرقتين : الناكحة وهم الذين يتبرأون من المرأة الناكحة من كفار قومهم ، وفرقة تنسب الى عبد الجبار بن سليمان .(١)

البيهسية : احدى فرق الخوارج ينسبون الى أبى بيهس واسمه الهيصم بن جابر يرون أنه لاحرام الا ماوقع عليه النص بقوله تعالى : « قل لاأجد فيما أوحى إلى محرما » الآية ويكفرون الرعية بكفر الامام .

ومن مزاعم أبى بيهس : أنه لايسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله ومعرفة رسوله ، ومعرفة ماجاء به محمد جملة ، والولاية لأولياء الله سبحانه ، والبراءة من أعداء الله ...

ومن البيهسية فرقة يقال لهم : العوفية ، ومن البيهسية فرقة يقال لهم : أصحاب شبيب النجرانى ، يعرفون : بأصحاب السؤال ويعرفون بالشبيبية لانتسابهم الى شبيب بن يزيد ... يقولون بجواز امامة المرأة وخلافتها حتى استخلف شبيب أمه غزالة .. فدخلت الكوفة وقامت خطيبة ، وصلت الصبح بالمسجد الجامع ، فقرأت فى الركعة الاولى بالبقرة ، وفى الثانية بآل عمران .. وأخبار شبيب(٢) طويلة .

ومن أقوال البيهسية : الناس مشركون بجهل الدين ، مشركون بمواقعة الذنوب .. السكر من كل شراب حلال موضوع عمن سكر منه ، وكل ماكان فى السكر من ترك

(١) مقالات الاسلاميين ١/١٨٤ ، ١٩٠ .

(٢) خطط المقريزى ٢/٣٥٥ ، والذهبى فى تاريخ الاسلام ٣/١٦٠ ، وصبح الاعشى جـ ١٣ ص ٢٢ .

الصلاة أو شتم الله سبحانه ، فهو موضوع لاحد فيه ولاحكم ، ولايكفر أهله بشئ من ذلك ماداموا فى سكرهم .

ومن البيهسية فرقة يسمون أصحاب التفسير صاحب بدعتهم رجل يدعى الحكم بن مروان من أهل الكوفة زعم : أنه لو شهد أربعة على رجل منهم بالزنا لم تجز شهادتهم حتى يشهدوا كيف هو ...

ومن الخوارج : أصحاب صـالح وأنه كان صفريا ومن قول الصفرية وأكثر الخوارج : أن كل ذنب مغلظ كفر ، وكل كفر شرك ، وكل شرك عبادة للشيطان .

الحسينية : ينسبون الى رجل يعرف بأبى الحسين ، يرون الدار دار حرب وأنه لايجوز الاقدام على من فيها الا بعد المحنة ، ويقولون بالارجاء فى موافقيهم خاصة .

الشمراخية : ينسبون الى عبد الله بن شمراخ ، كان يقول : ان دماء قوته حرام فى السر ، حلال فى العلانية ، وان قتل الابوين حرام فى دار التقية ودار الهجرة ، وان كانا مخالفين ، والخوارج تبرأ منه ...[1]

الراجعة : صنف من الخوارج ، رجعوا عن صالح بن مسرح ، وبرئوا منه لأحكام حكم بها .. ومنها أنه قتل رجلا ادعى الاسلام ، فبرئت منه ...

الشبيبية : (مرجئة الخوارج) يرجئون أى يؤخرون امر شبيب ولايكفرونه ولايثبتون له الايمان . لما قام به من أعمال لم يقروه عليها وبرئوا منه .[2]

الأمور التى اتفقت فيها الأباضية مع المعتزلة :

١- ان القرآن مخـلوق ، واستحـالة رؤية الله فى الآخرة ، وخلود مرتكب الكبيرة فى النار اذا مات بغير توبة ، وتأويل الميزان والصراط ومايشبهه تأويلا مجازيا .[3]

---

(١) مقالات الاسلاميين : ١٩٤/١ ومابعدها .

(٢) مقالات الاسلاميين : ٢٠٣/١ .

(٣) نشأة الاراء والمذاهب ٨٧/١ .

٢- ومن المسائل التى تكلم فيها واصل .. المنزلة بين المنزلتين (كما سبق) أما المسألة الثانية ففى (القدر) سلك فيها مسلك : معبد الجهنى ، وغيلان الدمشقى فقال : ان البارى تعالى حكيم عادل لايجوز أن يضاف اليه شر ولا ظلم ، ولايجوز أن يريد من العباد خلاف مايأمر ، ويحتم عليهم شيئا ، ثم يجازيهم ، فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدر على ذلك كله[١] .

٣- أما المسألة الثالثة فمقالته غير النضيجة أى غير محكم الرأى فيها وهى نفى صفات البارى تعالى من العلم والقدرة والارادة والحياة ، وكان واصل يشرع فى مقالته تلك على أساس هذا القول الظاهر ، وانما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة ، وانتهى نظرهم الى أقوال مختلفة ، وتجتمع كلها عند رد الصفات الى كونه تعالى عالما[٢] ، قادرا ....

اذن فـقد تكلم واصل فى : المنزلة بين المنزلتين ، والعدل ، والتوحيد ، وهذه أصول ثلاثة من أصول المعتزلة ، أما الأصل الرابع فهو الخاص بالوعد والوعيد ، وأما الخامس : فهو خاص بالأمر بالمعروف ...

فرق المعتزلة[٣] :

افترقت المعتزلة الى عشرين فرقة ، كل فرقة منها تكفر سائرها وهذه أسماء فرقها : الواصلية ، والعمروية ، والهذلية ، والنظامية ، والمردارية ، والمعمرية ، والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية ، وأصحاب صالح قبة ، والمريسية ، والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية المنسوبة الى أبى هاشم الجبائى فهى ثنتان وعشرون فرقة ثنتان منها ليستا من فرق الاسلام وهما : الخابطية ، والحمارية وسنذكرهما فى الفرق التى انتسبت الى الاسلام وليست منها ويلاحظ أن بعض الفرق تخرج منها فرقة أخرى أو أكثر .

---

(١) ، (٢) الشهرستانى الملل والنحل ١/٥٧ .

(٣) أطلق الاسفرائينى على القدرية المعتزلة عن الحق .

وأما المرجئة فثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء فى الايمان ، وبالقدر على مذهب القدرية فهم معدودون فى القدرية والمرجئة ، كأبى شمر المرجئى ، ومحمد بن شبيب البصرى والخالدى .

وصنف منهم قالوا بالإرجاء فى الايمان ، ومالوا الى قول جهم فى الأعمال والاكساب ، فهم من جملة الجهمية والمرجئة .

وصنف منهم خالصة فى الارجاء من غير قدر ، وهم فرق : يونسية ، وغسانية ، وثوبانية ، وتومنية ، ومريسية ونجارية ، وبكرية ، وكرامية ، وجهمية .

فأما النجارية فانها اليوم بالرى أكثر من عشر فرق ، ومرجعها فى الاصل الى ثلاث فرق : برغوثية ، وزعفرانية ، ومستدركة .

وأما البكرية ، والضرارية فكل واحد منهما فرقة واحدة ليس لها تبع كثير ، والجهمية أيضا فرقة واحدة .

والكرامية بخراسان ثلاث فرق : حقائقية ، وطرائقية ، واسحاقية ، لكن هذه الفرق الثلاث منها لايكفر بعضها بعضا فعددناها كلها فرقة واحدة .

فهذه الجملة التى ذكرناها تشتمل على ثنتين وسبعين فرقة ، منها عشرون روافض ، وعشرون خوارج ، وعشرون قدرية ، وعشرون مرجئة ، وثلاث نجارية ، وبكرية ، وضرارية ، وجهمية ، وكرامية ، فهذه ثنتان وسبعون فرقة ،[1] كما أخبر الحديث الشريف أما الفرقة الناجية فهى فرقة أصحاب الحديث ، وتلاحظ على العدد السابق مايلى :

أربعة أصناف كل صنف منها عشرون فرقة فيكون العدد ثمانون فرقة ، وأربعة أصناف كل صنف منها ثلاث فرق فذلك اثنتا عشرة فرقة فيكون العدد اثنتين وتسعين فرقة ، فلعل الامام الاسفرائينى – صاحب الفرق بين الفرق – يرى صنفين من ذوى العشرين صنفا واحدا له اسمان كالقدرية والمرجئة وعلى هذا يصح الحساب .

---

(١) راجع الفرق بين الفرق ص ٢٤ ، ٢٥ .

أما بيان هذه الفرق فكما يلى : فرقتان منها من جملة فرق الغلاة فى الكفر وهما : الخابطية ، والحمارية . وسنفرد لهما حديثا خاصا بعد الانتهاء من الحديث عن فرق القدرية المعتزلة ان شاء الله .

الواصلية : اتباع واصل بن عطاء الغزال وأظهر بدعته فى المنزلة بين المنزلتين حتى وصف الناس واصلا بأنه قدرى كافر ، كما وافق واصل الخوارج فى تأبيد عقاب صاحب الكبيرة فى النار ، مع قولهم بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر ، ولهذا قيل للمعتزلة : انهم مخانيث الخوارج لأن الخوارج رأوا خلود أهل الذنوب فى النار وسموهم كفرة والمعتزلة رأت نفس الرأى ، كذلك فارق واصل السلف فى موقفه من على وأصحابه ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة ، وسائر أصحاب الجمل فترى الخوارج : أن طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم يوم الجمل كفرة لقتالهم عليا ، أما أهل السنة فيقولون بصحة اسلام الفريقين فى حرب الجمل ، أما واصل فزعم أن فرقة من الفريقين فسقة ، وأنه لايعرف الفسقة منهما .. وقاس على هذا الحكم على المتلاعنين فقال : لا أحكم بشهادة أحد المتلاعنين لعلمى بأن أحدهما فاسق لا(1) بعينه .

العمروية : اتباع عمرو بن عبيد ، مولى بنى تميم ، شارك عمرو هذا واصلا فى بدعة القدر ، وفى ضلالة قولهما بالمنزلة بين المنزلتين ، وردهما شهادة رجلين أحدهما من أصحاب على والآخر من أصحاب الجمل .. ومن قال بتكفير الفريقين أو أحدهما فهو كافر دونهما .(2)

الهذلية : أتباع الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف شيخ المعتزلة ومقرر طريقتهم والمناظر عليها والذاب عنها كان مولى لعبد القيس ، ومن فضائحه تكفير سائر الفرق ، وقوله بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لايكون بعد فناء مقدوراته قادرا على شئ ، وزعم أن نعيم الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ، ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين لايقدرون على شئ ، ولا يقدر الله عز وجل فى تلك الحال على احياء ميت ، ولا

---

(1) الفرق بين الفرق ١٢٠ والشهرستانى : ٤٩/١ .
(2) الفرق بين الفرق ١٢١ والشهرستانى : ٤٩/١ .

على اماتة حى ، ولا على تحريك ساكن ، ولا على تسكين متحرك ، ولا على احداث أو افناء شئ .. وهو بهذا يقول بقول الدهرية(١) الذين يقولون بفناء مقدورات الله عز وجل بقولهم للموحدين : اذا جاز أن يكون بعد كل حركة حركة سواها الى آخر ، وبعد كل حادث حادث آخر لا الى غاية ، فهلا صح قول من زعم أن لا حركة الا وقبلها حركة ولا حادث الا وقبله حادث لا عن أول ولا حالة قبله ، وأجاب عن هذا الالزام بتسويته بينهما .

وقال : كما أن الحوادث لها ابتداء لم يكن قبلها حادث ، كذلك لها آخر لايكون بعده حادث ، ولأجل هذا قال بفناء مقدورات الله عز وجل ، وهكذا يتفق أبو الهذيل مع الدهرية ، وهناك فضائح أخرى لأبى الهذيل تركناها خوف الاطالة ...(٢)

النظّامية : أتباع أبى اسحاق بن سيار المعروف بالنظّام ، والمعتزلون يموهون على الاغمار بدينه ، ويوهمون أنه كان نظاما للكلام المنثور والشعر الموزون ، وانما كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ، وكان يوصف بالذكاء المتوقد وبيانه المتدفق واطلاعه على الكثير من كتب الفلاسفة الطبيعيين ، الى أن ذهب المذهب الذى أنكره عليه عامة المسلمين اذ أنكر اعجاز القرآن فى نظمه ، وأنكر ماروى من معجزات نبينا ﷺ : من انشقاق القمر وتسبيح الحصى فى يده وسماعه له ﷺ ونبوع الماء من بين أصابعه ، ليتوصل بانكار معجزات نبينا ﷺ الى انكار نبوته ، فانكر لأجل ذلك حجة الاجماع والقياس فى الفروع الشرعية ...

وأما كتب أهل السنة والجماعة فى تكفيره فلا يحصيها الا الله تعالى(٣) .. ثم ان النظّام مع ضلالته طعن فى أخبار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد وهذا النضال كان يظن أنه بافترائه سيهدم الاسلام ونبى الاسلام ، والشواهد ترد عليه أنه هو الذى هدم وهلك ، ومازال الاسلام يجد قلوبا محبة له ولرسوله ﷺ ولصحابته الكرام

(١) يقال : رجل دهرى لا يؤمن بالآخرة ، يقول ببقاء الدهر . المعجم الوسيط مادة : دهر وراجع ما كتبه المؤلف عن هذه الطائفة فى فجر الدعوة الإسلامية ص ٢١٨.

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٢٤ ومابعدها .

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٣٢ ومابعدها ، الشهرستانى الملل والنحل ١/٥٣ ، ومقالات الاسلاميين : ١/٢٢٧ .

رضوان الله عليهم وعلماء المسلمين لايزالون يقولون بشرعية حجية الاجماع وحجية القياس . وأجمعوا على اعجاز القرآن الكريم فى نظمه وتحديه لمخالفيه ..

المردارية : اتباع عيسى بن صبيح : المعروف بأبى موسى المردار ، من علماء المعتزلة ، وكان من أحسن عباد الله قصصا ، وأفصحهم منطقا ، وكان يقال له راهب المعتزلة ، ومن مزاعم المردار هذا : أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، وبما هو أفصح منه ، كما قال بمثله النظّام ، وفى هذا عناد منهما لقول الله عز وجل :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا(١) » ..

وزعم المردار أن من أجاز رؤية الله تعالى بالابصار بلا كيف فهو كافر والذين أثبتوا الرؤية مجمعون على تكفير المردار ، وهو أكفر أبا الهذيل فى قوله بفناء مقدورات الله عز وجل ، وأكفر أستاذ بشر بن المعتمر من المعتزلة كما أكفر النظام فى قوله بأن المتولدات من فعل الله ، وقال : يلزمه أن يكون قول النصارى : « المسيح ابن الله » من فعل الله .

فهذا راهب المعتزلة ، قد قال بتكفير شيوخه ، وقال شيوخه : بتكفيره وكلا الفريقين محق بتكفير صاحبه(٢) .

المعمرية : يقولون : ان الامام بعد أبى الخطاب صاحب فرقة الخطابية الذى ادعى لنفسه بالالهية ، وكانت الخطابية يبيحون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم ، وكان جزاء أبى الخطاب أن الخليفة المنصور أمر بقتله ، فأسر وصلب ، ولما جاءت المعمرية المنتسبين الى رجل يسمى معمر أخذوا فى عبادته كما كانوا يعبدون أبا الخطاب .

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٨٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٦٤ ، الملل والنحل : ٦٨/١ ، ومقالات الاسلاميين : ٢٥٢/١ .

ومن مزاعمه : أن الدنيا لاتفنى ، وأن الجنة هى التى تصيب الناس من خير ونعمة وعافية ، وأن النار هى التى تصيب الناس من شر ومشقة وبلية ، واستحلوا المحرمات ، وتركوا الفرائض وينكرون القيامة ، ويقولون بتناسخ الارواح .(١)

الثمامية : أتباع ثمامة بن أشرس النميرى ، كان زعيم القدرية فى زمان المأمون ، والمعتصم ، والواثق .. انفرد ببدعتين : احداهما : أن من لم يضطره الله الى معرفته لم يكن مأمورا بالمعرفة ولامنهيا عن الكفر ، وكان مخلوقا للسخرة والاعتبار فحسب كسائر الحيوانات التى ليست بمكلفة . وزعم لأجل ذلك أن عوام الدهرية ، والنصارى والزنادقة يصيرون فى الآخرة ترابا .

وزعم أن الآخرة إنما هى دار ثواب أو عقاب ، وليس فيها لمن مات طفلا ، ولا لمن لايعرف الله تعالى بالضرورة طاعة يستحقون بها ثوابا ، ولا معصية يستحقون عليها عقابا .

اخراهما : أن الافعال المتولدة أفعال لافاعل لها ، ويترتب على هذه الضلالة أن الكون لاصانع له ، لأنه لو صح وجود فعل بلا فاعل لصح وجود كل فعل بلا فاعل ...

ويرد عليه : اذا كان كلام الانسان عندك متولدا ، ولا فاعل له عندك فلم تلوم الانسان على كذبه وعلى كلمة الكفر ؟ وهو عندك غير فاعل للكذب ولا لكلمة الكفر ؟(٢) الى غير ذلك من فضائح ثمامة التى بسببها أكفرته الأمة كلها ، فباء بالخسران المبين والطرد واللعنة الدائمتين .

الجاحظية : اتباع عمرو بن بحر الجاحظ ، كان بحرا فى العلم ، ورأسا فى الكلام والاعتزال ، أخذ عن القاضى أبى يوسف ، وثمامة بن أشرس اغتر اتباعه بحسن بيانه خاصة فى كتبه .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٤٨ ، ومقالات الاسلاميين : ١/٧٧ ، والملل والنحل : ١/١٨٠ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٧٢ ، والملل والنحل : ١/٧٠ .

ومن ضلالته : قوله : ان المعارف كلها طباع وهى مع ذلك فعل للعباد وليست باختيار لهم ، ووافق ثمامة فى أن لافعل للعباد الا الارادة وأن سائر الأفعال تنسب الى العباد على معنى أنها وقعت منهم انطباعا ، وأنها وجبت بإرادتهم .... ومن ضلالاته وفضائحه القول : باستحالة عدم الاجسام بعد حدوثها وهذا يوجب القول : بأن الله سبحانه وتعالى يقدر على خلق شئ ولايقدر على افنائه ، وأنه لايصح بقاؤه بعد أن خلق الخلق منفردا كما كان منفردا قبل أن يخلق الخلق .

وان الله سبحانه لايفنى الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها فليس معنى ذلك أن الله غير قادر على افنائهما ، وإنما نقول : بدوام الجنة ، والنار بطريق الخبر .

ومن فضائح الجاحظ أيضا : قوله بأن الله لايدخل النار أحدا ، وانما النار تجذب أهلها الى نفسها بطبعها ، ثم تمسكهم فى نفسهم على الخلود .

والرد عليه أن يقال عن الجنة انها تجذب أهلها الى نفسها بطبعها ، وأن الله لايدخل أحدا الجنة .

فان قال بذلك قطع الرغبة الى الله فى الثواب ، وأبطل فائدة الدعاء ، وان قال : ان الله تعالى هو يدخل أهل الجنة الجنة لزمه القول بأن الله يدخل النار أهلها .[1] الى غير ذلك مما ورد من فضائح الجاحظ ...

الخياطية :

أتباع أبى الحسين الخياط كان فقيها صاحب حديث واسع الحفظ لمذاهب المتكلمين.[2]

شارك الخياط سائر القدرية فى أكثر ضلالاتها وانفرد عنهم بقول لم يسبق اليه فى

(١) الفرق بين الفرق ص ١٧٥ ، والملل والنحل : ١/٧٥ .
(٢) طبقات المعتزلة : ص ٨٥ .

المعدوم ، وذلك أن المعتزلة اختلفوا فى تسمية المعدوم شيئا .. فزعم أن الجسم فى حال عدمه يكون جسما ، لأنه يجوز أن يكون فى حالة حدوثه جسما ، ولم يجز ان يكون المعدوم متحركا ، لأن الجسم فى حال حدوثه لايصح أن يكون متحركا عنده .. ويلزمه على هذا الاعتلال ان يكون الانسان قبل حدوثه انسانا لأن الله تعالى على صورة الانسان بكاملها من غير نقل فى الاصلاب والارحام ومن غير تغيير له من صورة الى صورة اخرى يصح ذلك .

وكان هؤلاء الخياطين يقال لهم : (المعدومية) لافراطهم بوصفهم المعدوم بأكثر أوصاف الموجودات ، وهذا اللقب لائق بهم [١] .

الشحامية :

اتباع أبى يعقوب الشحام ، كان من أصحاب أبى الهذيل ، واليه انتهت رياسة المعتزلة فى البصرة ، وكان من أصحاب الدواوين فى عصر الواثق العباسى ، ومن أقواله : جواز مقدور واحد لقادرين ، يصح أن يحدثه كل واحد منهما على البدل[٢] .
وهذه احدى فرق الضلال من القدرية المعتزلة عن الحق .

اتباع صالح قبة :

احدى فرق المرجئة القدرية ، له كتب كثيرة وخالف الجمهور فى أمور منها : كون المتولدات فعل الله ابتداء ، وكون الادراك معنى .. اختلف مع فرق المرجئة فى الايمان ، فالايمان عند صالح قبة هو : المعرفة بالله تعالى فقط ، والكفر هو الجهل به فقط ، وأن قول القائل : « ان الله تعالى ثالث ثلاثة » ليس بكفر ، لكنه لايظهر الا من

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٧٩ .
(٢) الفرق بين الفرق ص ١٧٨ .

كافر ، ومن جحد الرسل لايكون مؤمنا ، لا من أجل أن ذلك محال ، لكن الرسول قال : « من لايؤمن بى فليس مؤمنا بالله تعالى »

وزعم أن الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج طاعات وليست بعبادة لله تعالى ، وأن لاعبادة له الا الايمان به وهو معرفته ، والايمان عنده خصلة واحدة لاتزيد ولاتنقص ، وكذلك الكفر خصلة واحدة .

فهذا قول أحد المرجئة ، ولأجل تأخيره العمل عن الايمان سمى مرجئيا .(١)

المريسية :

مرجئة بغداد ، من اتباع بشر المريسى مبتدع ضال ، قال : بخلق القرآن فهجره أبو يوسف صاحب أبى حنيفة بعد أن كان يسمح له بالجلوس معه ، كما هجرته الصفاتية لقوله بخلق القرآن ، وهجرته المعتزلة لقوله : ان الله تعالى خالق اكساب العباد ، فصار مهجور الصفاتية والمعتزلة معا . قوله فى الايمان : انه هو التصديق بالقلب واللسان جميعا ، كما قال ابن الراوندى فى أن الكفر : هو الجحد والانكار ، وزعما أن السجود للصنم ليس بكفر ، ولكنه دلالة على الكفر .(٢)

الكعبية :

أتباع ابى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى المعروف بالكعبى ، شيخ من شيوخ المعتزلة كان رأسا لطائفة الكعبية المعروف عنه أنه خالف البصريين من المعتزلة فى أمور منها :

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٠٧ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٠٥ .

أ- ان البصريين منهم أقروا بأن الله تعالى يرى خلقه من الأجسام والألوان ، وأنكروا أن يرى نفسه كما أنكروا أن يراه غيره . وزعم الكعبى أن الله تعالى لايرى نفسه ولاغيره الا على معنى علمه بنفسه وبغيره ، وتبع النظام فى قوله : ان الله تعالى لا يرى شيئا فى الحقيقة .

ب- ومنها ان الكعبى زعم أن المقتول ليس بميت ، وعاند قول الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيام فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور[1] » .

ومنها أن الكعبى سار على قول من أوجب على الله تعالى فعل الاصلح فى باب التكليف .

حـ- ومنها أن البصريين يرون أن الاستطاعة معنى غير صحة البدن والسلامة من الآفات ، وزعم الكعبى أنها ليست غير الصحة والسلامة .

وكلا الفريقين يذهب الى تكفير الاخر ، وهذا هو القول الصدق عليهما .[2]

الجبائية :

اتباع أبى على الجبائى[3] نسبة الى جبى - بضم الجيم وتشديد الباء - بلد من أعمال خوزستان فى طرف من البصرة والأهواز ، البصرى شيخ المعتزلة .. كان معروفا بقوة الجدل . كانت المعتزلة البصرية فى زمانه على مذهبه ، ثم انتقلوا من بعده الى مذهب ابنه أبى هاشم .

ومن ضلالات الجبائى أنه سمى الله عز وجل مطيعا لعبده اذا فعل مراد العبد ، وكان سبب ذلك أنه قال يوما لشيخنا أبى الحسن الأشعرى رحمه الله : مامعنى الطاعة

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٨١ .

(٣) طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٨٠ - ٨٥ ، وشذرات الذهب : ٢/ ٢٤ .

عندك ؟ فقال : موافقة الأمر ، وسأله عن قوله فيها ، فقال الجبائى : حقيقة الطاعة عندى موافقة الارادة ، وكل من فعل مراد غيره فقد أطاعه فقال شيخنا أبو الحسن رحمه الله : يلزمك على هذا الأصل أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده اذا فعل مراده فالتزم ذلك فقال شيخنا رحمه الله : خالفت إجماع المسلمين وكفرت برب العالمين ، ولو جاز أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده لجاز أن يكون خاضعا له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثم ان الجبائى زعم أن أسماء الله تعالى جارية على القياس ، وأجاز اشتقاق اسم له من كل فعل فعله ، وألزمه شيخنا أبو الحسن رحمه الله أن يسميه بمحبل النساء ، لأنه خالق الحبل فيهن ، فالتزم ذلك ، فقال له : بدعتك هذه أشنع من ضلالة النصارى فى تسمية الله أبا لعيسى مع امتناعهم من القول بأنه محبل مريم(١) . الى غير ذلك من الضلالات التى أخرجته من الحق وأسلمته للضلال .

البهشمية :

أتباع أبى هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائى السابق ذكره ، كان حريصا على أخذ العلم من أبيه ، وأكثر المعتزلة على مذهبه لدعوة الصاحب بن عباد وزير آل بويه اليه ، ويقال لأتباع أبى هاشم هذا الذمية ، لقولهم باستحقاق الذم لا على فعل ، وقد شاركوا المعتزلة فى أكثر ضلالاتهم وانفردوا عنهم بفضائح لم يسبقوا اليها .

فضائح البهشمية :

منها : أنه سمى من لم يفعل ما أمر به عاصيا ، وان لم يفعل معصية ، ولم يوقع اسم المطيع الا على من فعل طاعة ، ولو صح عاص بلا معصية لصح مطيع بلا طاعة ، ولصح كافر بلا كفر .

---

(١) الشهرستانى : ٧٨/١ ، والفرق بين الفرق ص ١٨٣ ومابعدها .

ومع هذه البدعة الشنيعة ، زعم أن هذا المكلف لو تغير تغيرا قبيحا يستحق بذلك قسطين من العذاب ، أحدهما : للقبيح الذى فعله ، والثانى : لأنه لم يفعل الحسن الذى أمر به ، ولو تغير تغيرا حسنا وفعل مثل أفعال الأنبياء ، وكان الله تعالى قد أمره بشئ فلم يفعل ولا فعل ضده لصار مخلدا .

وسائر المعتزلة يكفرونه فى هذه المواضع الثلاثة :

الأول : استحقاق العقاب لا على فعل .

الثانى : استحقاق قسطين من العذاب اذا تغير تغيرا قبيحا .

الثالث : فى قوله : أنه لو تغير تغيراً حسنا وأطاع بمثل طاعة الأنبياء عليهم السلام ، ولم يفعل شيئا واحدا مما أمره الله تعالى به ولا ضده لاستحق الخلود فى النار .

والرد عليه أنه يلزمه فى الحدود مثل قوله فى القسطين حتى يكون عليه حدان : حد الزنى الذى قد فعله ، والثانى : لأنه لم يفعل ماوجب عليه من ترك الزنى . وكذلك القول فى حدود القذف ، والقصاص ، وشرب الخمر ، وألزموه ايجاب كفارتين على المفطر فى شهر رمضان ، احداهما : لفطره الموجب للكفارة ، وثانيهما : بأنه لم يفعل ماوجب عليه من الصوم والكف عن الفطر .(١)

ومن مناقضاته ماخالف فيه الاجماع ، بفرقه بين الجزاء والثواب ، حتى أنه قال : يجوز أن يكون فى الجنة ثواب كثير لايكون جزاء ، ويكون فى النار عقاب كثير لايكون جزاء ، وانما امتنع من تسميته جزاء ، لأن الجزاء لايكون الا على فعل ، وعنده أنه قد يكون عقاب لا على فعل ، وقيل له : اذا لم يكن جزاء الا على فعل فما تنكر أنه لا ثواب ولا عقاب الا على فعل ؟(٢)

ومن فضائح ابى هاشم قوله فى باب الفناء : ان الله تعالى لايقدر على أن يفنى من

---

(١) الفرق بين الفرق : ١٨٧ .
(٢) الفرق بين الفرق : ١٨٩ .

العالم ذرة مع بقاء السماوات والأرض ، وبناء على أصله فى دعواه بأن الاجسام لاتفنى الا بفناء يخلقه الله تعالى لا فى محل ، يكون ضدا لجميع الاجسام ، لأنه لايختص ببعض الجواهر دون بعض ، اذ ليس هو قائما بشئ منها ، فاذا كان ضدا لها نفاها كلها ، وحسبه من الفضيحة فى هذا قوله بأن الله يقدر على فناء جملة لايقدر على إفناء بعضها .(١)

ولاحظ هذه المحادثة التى رواها بعض أصحاب أبى هاشم عن هذه المسألة : قال : من قال لنا أيصح وقوع مايقدر الله تعالى عليه من الظلم والكذب ؟

قلنا له : يصح ذلك ، لأنه لو لم يصح وقوعه منه ما كان قادرا عليه ، لأن القدرة على المحال محال ، فان قال : أفيجوز وقوعه منه ؟ قلنا : لايجوز وقوعه منه لقبحه وغناه عنه وعلمه بغناه عنه ، فان قال : أخبرونا لو وقع مقدوره من الظلم والكذب كيف يكون حاله فى نفسه ؟ هل كان يدل وقوع الظلم منه على جهله أو حاجته ؟ قلنا : محال ذلك لأنا قد علمناه عالما غنيا ، فان قال : فلووقع منه الظلم أو الكذب هل كان يجوز ان يقال ان ذلك لا يـدل على جهـله وحاجته ؟ قلنا : لايوصف بذلك ، لأنا قد عرفنا دلالة الظلم على جهل فاعله أو حاجته ، فان قال : فكأنكم لاتجيـبون عن سـؤال من سـألكم عن دلالة وقوع الظلم والكذب منه على جهل وحاجة باثبات ولانفى ، قلنا : كذلك نقول .

فهؤلاء زعماء القدرية أقروا بعجزهم وعجز أسلافهم عن الجواب فى هذه المسألة ، ولو وفقوا للصواب فيها لرجعوا الى قول أهل السنة والجماعة بأن الله قادر على كل مقدور ، وان كل مقدور له لو وقع منه لم يكن ظلما منه ، ولو أحالوا الكذب عليه كما أحاله أهل السنة لتخلصوا عن الالزام الذى توجه عليهم فى هذه المسألة.

وكان الجبائى يعتذر فى امتناعه عن الجواب فى هذه المسألة بنعم أولا بأن يقول مثل هذا : ان قائلا لو قال أخبرونى عن النبى لو فعل الكذب لكان يدل على أنه ليس بنبى أو لا يدل على ذلك ؟ وزعم أن الجواب فى ذلك مستحيل وهذا ظن منه على أصله ، فأما على أصل أهل السنة فان النبى كان معصوما عن الكذب ، والظلم ، ولم يكن قادرا

---

(١) الفرق بين الفرق : ١٩٧ .

عليهما ، والمعتزلة ، قد وصفوا الله تعالى بالقدرة على الظلم والكذب ، فلزمهم الجواب عن سؤال من سألهم عن وقوع مقدوره منها ، هل يدل على الجهل والحاجة أم لا يدل على ذلك ؟ بنعم أولا . وأيهما أجابوا به نقضوا به أصولهم .(١)

ونختم الحديث عن فرقتين من قدرية المعتزلة المشبهة إحداهما الخابطية ومن عدها من فرق الاسلام كمن عد النصارى من فرق الاسلام ، أما الأخرى فهى الحمارية وليست الأخرى من طوائف الاسلام ومن عدها من أمة الاسلام كان كمن عد المجوس من فرق الامة الاسلامية .

الخابطية :

فرقة من القدرية المشبهة تنسب الى أحمد بن خابط ، كان من المعتزلة(٢) المنتسبة الى النظّام ، ثم انه شبه عيسى ابن مريم بربه ، وزعم أنه الاله الثانى وانه هو الذى يحاسب الخلق فى القيامة ، وهذا كله افتراء وضلال ، وقد سبق قول عيسى عليه السلام وأنه برئ مما قاله المضلون .(٣)

ومن بدعة ابن خابط : بدعته فى الطفرة(٤) ، وفى نفى الجزء الذى لايتجزء ، وفى نفى قدرة الله تعالى على الزيادة فى نعيم أهل الجنة ، أو فى عذاب أهل النار ، وزاد على النظّام فى ضلالته فى التناسخ . فالانسان - فى زعمه - المأمور المنهى المنعم عليه هو الروح التى فى الجسم ، وان الاجسام قوالب للأرواح . وأن الروح هى الحى القادر العالم ، وأن الحيوان كله جنس واحد .. وأن الروح لايزال فى هذه الدنيا يتكرر فى قوالب وصور مختلفة مادامت طاعته مشوبة بذنوبه وعلى قدر طاعته وذنوبه يكون منازل قوالبه فى الانسانية والبهيمية ، ثم لايزال من الله تعالى رسول الى كل نوع من الحيوان ، وتكليف للحيوان أبدا الى ان يتمخض عمل الحيوان طاعات فيرد إلى دار

---

(١) غير النظّام والأسوارى ، راجع الفرق بين الفرق ص ٢٠١ .
(٢) المرجع نفسه ص ٢٢٨ وانظر ص ٨٣ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٧٥ .
(٤) الطفرة أن الجسم يصير من المكان الأول الى الثالث أو العاشر من غير ضرورة الى الوسط . الفرق بين الفرق ص ١٩٨ .

النعيم الدائم وهى الدار التى خلق فيها أو يتمخض عمله معاصى فينقل الى النار الدائم عذابها ، فهذا قول ابن خابط فى تناسخ الارواح ذكرناه باختصار .

وزعم هذا الخابط على غير هدى : أن الله تعالى خلق الخلق كله دفعة واحدة !!

ومن مزاعم هذا الضال : أن للخلق ربين وخالقين : أحدهما قديم وهو الله سبحانه ، والآخر مخلوق وهو عيسى ابن مريم ، وأن المسيح ابن الله على معنى دون الولادة ، وأن المسيح يحاسب الخلق فى الآخرة وهو الذى عناه الله بقوله : « وجاء ربك والملك صفا صفا » ، وهو الذى يأتى « فى ظل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الامور » وهو الذى خلق آدم على صورته ، وزعم أنه هو الذى عناه النبى ﷺ بقول : (ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر) وهو الذى عناه بقوله : « ان الله تعالى خلق العقل فقال له : اقبل ، فأقبل ، وقال له : أدبر فأدبر فقال : ماخلقت خلقا أكرم منك ، وبك أعطى وبك آخذ » ، وقال : « ان المسيح تدرع جسدا ، وكان قبل التدرع عقلا »[1] .

قال عبد القاهر : شارك هذا الكافر الثنوية ، والمجوس فى دعوى خالقين ، بل قوله شر من قولهم . لأن الثنوية والمجوس أضافوا اختراع جميع الخيرات إلى الله تعالى ، وانما أضافوا فعل الشرور إلى الظلمة وإلى الشيطان ، اما ابن خابط فأضاف فعل الخيرات كلها إلى عيسى ابن مريم ، كما أضاف اليه محاسبة الخلق فى الآخرة ، والعجب قوله : ان عيسى خلق جده آدم عليه السلام ، فياعجبا من فرع يخلق أصله ، ومن عد هذا الضال ومن يسلك مسلكه وينهج منهجه من فرق الاسلام كمن عد النصارى من فرق الاسلام .[1]

الحمارية :

احدى فرق القدرية الخارجة عن فرق الأمة ، اختاروا من بدع القدرية ضلالات مخصوصة .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٧٧ ومابعدها .

اخذوا من ابن خابط قوله بتناسخ الأرواح فى الأجساد والقوالب . وأخذوا من عباد بن سليمان الضمرى قوله : بأن الذين مسخهم الله قردة وخنازير . كانوا قبل المسخ ناسا ، وكانوا معتقدين للكفر بعد المسخ .

وأخذوا من جعد بن درهم قوله : بأن النظر الذى يوجب المعرفة أن تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعل لها .

ثم زعموا بعد ذلك أن الخمر ليست من فعل الله تعالى ، وإنما هى من فعل الخمار ، لأن الله تعالى لا يفعل ما يكون سبب المعصية .

وزعموا أن الإنسان قد يخلق أنواعاً من الحيوانات ، كاللحم إذا دفنه الإنسان أو يضعه فى الشمس فيقدد ، أو يصيبه الدود ، وزعموا أن تلك الديدان من خلق الإنسان ، وكذلك العقارب التى تظهر من التبن تحت الآجُرّ زعموا أنها من اختراع من جمع بين الآجُرّ والتبن .

وهؤلاء شر من المجوس الذين أضافوا اختراع الحيات والحشرات والسموم إلى الشيطان ، ومن عدهم من فرق الأمة كان كمن عد المجوس من فرق أمة الإسلام(١) .

تعقيب :

تبين لنا مما سبق من الحديث عن فرق المعتزلة ، وكيف تشعبت ثم تشققت ، وكيف اشتط بها العقل الذى اعتمدت عليه حتى أوقعها فى حبائل الضلال والغى ، فوضح الشبه بينها وبين فرق اليهود والنصارى ...

ومما لا ريب فيه أن هذه الفرق أضرت بالمسلمين كثيراً ، وتسببت فى تأخر مجتمعاتهم مما غرسته فيها من الشحناء والبغضاء ، والجرأة على الدين ورب الدين سبحانه ، ورسوله ﷺ كما عاقت سير الإسلام نحو التقدم والانتشار .

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٧٨ وما بعدها ، وخطط المقريزى : ٣٤٧١٢ .

فهل يتنبه المسلمون ؟

وبعد هذا نعرج بالحديث عن وقت ظهور المعتزلة ، وسبب هذه التسمية ، ومساندة بعض الخلفاء لها ، وعقيدة الاعتزال ... بإيجاز شديد .

ظهور المعتزلة وسبب تسميتهم بهذا الإسم :

ظهرت المعتزلة بعد المائة الأولى من الهجرة بالبصرة فى حلقة درس الحسن البصرى – رضى الله عنه – على يد واصل بن عطاء ، وذلك أن واحدا دخل على الحسن البصرى ، فقال : يا إمام الدين ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة .. والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ولايضر مع الايمان معصية ، كما لاينفع مع الكفر طاعة .. فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقادا فتفكر الحسن فى ذلك ، وقبل أن يجيب ، قال واصل بن عطاء[1] : أنا لاأقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو فى منزلة بين المنزلتين لامؤمن ولا كافر ثم قام من مجلس الحسن البصرى واعتزل الى مكان فى المسجد ، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فسمى هو وأصحابه معتزلة ، وتفسيرا لقول عطاء : ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا ، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ، فلا يسمى مؤمنا ، وليس هو بكافر مطلق أيضا ، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ، لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدا فيها اذ ليس فى الآخرة الا الفريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار ، وتابع على ذلك عمرو بن عبيد ..[2]

فهذا سبب تسميتهم معتزلة ، وقيل : ان سبب التسمية يرجع الى الوقت الذى بايع الحسن بن على رضى الله عنه معاوية وسلم اليه الأمر ، فاعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك أنهم كانوا من أصحاب على ولزموا منازلهم ومساجدهم ، وقالوا : نشتغل

---

(١) شيخ المعتزلة وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين كان يجلس فى سوق الغزالين فلقب لذلك بالغزال . نقلا عن الفرق بين الفرق ص ٢٠ هامش ٢ ، وراجع شرح الطحاوية ص ٥٢٨ .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل : ٥٦/١ .

بالعلم والعبادة فسموا معتزلة.(١)

ويطلق عليهم القدرية أيضا ، لقولهم : لاقدر سابق ، وأن الامر أنف يعنى مستأنفا ، ولما سمعوا قول النبى ﷺ :

« القدرية مجوس هذه الأمة »(٢) قلبوا الدليل وقالوا : بموجب الحديث ، القدرية اسم لمن يقول بسبق القدر ، ثم غلب عليهم اسم :

المعتزلة ، لأن واصل بن عطاء أحد أئمتهم كان يقرأ على الحسن البصرى فاعتزله بمسألة خالفه فيها ، وهم يسمون أنفسهم :

أهل التوحيد ، وأهل العدل ، ويعنون بالتوحيد : نفى الصفات القديمة عن الله تعالى كالحياة والعلم والإرادة والقدرة ، وأنه تعالى حى بذاته مريد بذاته ، قادر بذاته لابحياة ، وعلم وإرادة وقدرة زائدة على الذات ، ويعنون بالعدل أنهم يقولون :

إن العبد إنما يستحق الثواب والعقاب بفعله الطاعة والعصيان باعتبار أنه الخالق لأفعال نفسه دون الله تعالى ، تنزيها له تعالى عن أن يضاف اليه خلق الشر : من كفر ومعصية ، وإذا كان العبد هو الخالق لأفعال نفسه الموجد لها فليس قدر سابق(٣) . فهم بهذا مجوس لنفيهم القدر.

---

(١) نقلا عن نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية : ٢٠١/١ .

(٢) رواه أبو داود عن ابن عمر عن النبى ﷺ ، وبقية الحديث : « إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلاتشهدوهم » اسناده ضعيف لكن له طرق يتقوى بها . راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٤ .

(٣) وقولهم : بالتوحيد ستروا تحته القول بخلق القرآن اذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء !! ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وسائر صفاته مخلوقة أو التناقض ، وأما قولهم بالعدل ، فستروا تحته نفى القدر ، وقالوا : إن الله لايخلق الشر ولايقضى به اذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جورا !! والله تعالى عادل لايجور ، ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون فى ملكه مالايريده ، فيريد الشئ ولايكون ، فيلزم وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك ، ومن الأصول الثابتة عندهم أيضاً : الوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف .

أما الوعيد : فقالوا : إذا أوعد بعض عبيده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده ، لأنه لا يخلف الميعاد ، فلا يعفو عمن يشاء ، ولا يغفر لمن يريد عندهم !!

وأما المنزلة بين المنزلتين : أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر !!

وأما الأمر بالمعروف : فقالوا : علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به ، وأن نلزمه بما يلزمنا ، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا !! راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٩ .

أئمتهم : واصل بن عطاء ، وأبو الهذيل العلاف ، وإبراهيم النظام وبشر بن المعتمر ، ومعمر بن عباد ، وأبو عثمان الجاحظ ، وأبو على الجبائى ، وابنه أبو هاشم وغيرهم وعندهم أنه لاقدر سابق بل الأمر أنف وأن الله تعالى إنما يخلق الأفعال والمشيئة وأن العبد هو المكتسب لأفعاله كما سبق .

مساندة بعض الخلفاء لهم : علت رتبة الجعد بن درهم فوصل الى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وأخذ عنه مروان مذهبه فى القول بالقدر ، وخلق القرآن ، وعلت رتبته عنده ، كما كانت له موقعة مع هشام بن عبد الملك بن مروان .

عقيدتهم : إنهم يستعظمون الإيمان بالقدر : خيره وشره ، ويتبرءون منه ، وينكرون القول بأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

ويقولون : إذا كان أمر مفروغ منه ففيم يسدد الإنسان ويقارب ؟

ويطعنون فى رواة حديث : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »(١) .

ويتأولون قوله تعالى : « وإنه فى أم كتاب لدينا لعلى حكيم »(٢) .

ويرون من يبرء من اعتقادهم أمرا عظيما "(٣) .

---

(١) رواه مسلم ، راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٥ .
(٢) الزخرف : ٤ .
(٣) صبح الاعشى : جـ ١٣ / ٢٢٥١ ، ٢٥٢ .

ميزان الفرق فى الإسلام :

هـذه الفرق الضالة التى أفسدت فى البلاد طولا وعرضا ، ماموقف الإسلام منها ؟

لقد جاء الإسلام بميزان دقيق يزن به أقوال الخلائق وأعمالهم حتى إذا حاسبهم لم يظلمهم لقوله سبحانه : «إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها .. » النساء ٤٠ .

« إن الله لا يظلم الناس شيئاً » يونس : ٤٤ .

وفى الحديث القدسى الذى رواه أبو ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

يقول الله عز وجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها ، أو أغفر ، ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن مشى إلى ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة » (١).

نعم جاء الإسلام فلم يجبر الناس أو يكرهم على الإيمان ، بل قال :

« من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » الكهف ٢٩ ورصد لكل جزاءه .

أما أصحاب النار : فقسمان : قسم مخلد فيها ، وقسم عاص يستحق النار

أما المخلد فى النار فهو المرتد عن الاسلام(٢) ، والعياذ بالله ، سواء كان الارتداء بسبب قوله فى الله ، أو النبى ، أو الاسلام بحيث يخرجه عن الملة ، أو بفعل مناف للإسلام ، كالسجود إلى صنم ، أو وثن ، أو تعليق لصليب فى عنقه ، أو ما شابه ذلك من أفعال الجاهلية ، وهو عالم بحرمته ، غير مكره .

أو أنكر متواترا ، أو استحله ، أو أنكر ماكان من الدين بالضرورة ، أو استحل ما حرم الله من غير تأويل بعد علمه بحكمه الشرعى ، فهؤلاء الأصناف يسمون مرتدين عن

---

(١) رواه الإمام مسلم .

(٢) تثبت الردة بشهادة شرعية معتبرة ، ويقتل المرتد بحكم الحاكم - انظر حقيقة الفرقة الناجية صفحة ٦٠ .

الإسلام مهدوري الدم ، ولا عصمة لهم ، ولا يرثون ولا يورثون ولا يغسلون ، ولا يكفنون ، ولا يصلى عليهم ، ولا يدفنون في مقابر المسلمين ويقتلون كفرا لاحدا ، لقول النبي ﷺ :

« من بدل دينه فاقتلوه »(١) .

ويدخل في أحكام المرتدين من انتمى إلى حزب من الأحزاب التي تتنافى عقائدها مع الإسلام ... والمرتد مخلد في النار أبدا لقوله تعالى :

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٢) .

ويكون بذلك انتقل بردته من أمة الإجابة إلى أمة الدعوة ، بدليل استتابته ، فإن قبل الاستتابة عاد لأمة الإجابة ، وإن لم يقبل وأصر على ردته طبق عليه حكم الله في الدنيا وكان في الآخرة خالدا مخلدا في النار (٣).

أما القسم الآخر من أصحاب النار : فهم العصاة من المسلمين ، والحكم فيهم يوم القيامة دخولهم وخلودهم في النار :

فكل مسلم تعدى حدود الله ، ولم يستحله فهو عاص استحق النار إن شاء الله غفر له ، وإن شاء عذبه بقسط عدله ، كما هو مبين وموضح في تفسير آيات الأحكام وفي كتب الأحكام .

---

(١) أخرجه البخاري ، وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ، وغيرهم .

(٢) البقرة : ٢١٧ .

(٣) راجع كتب الأحكام : المجموع شرح المهذب للنووي ، والمغني لابن قدامة ، والمحلى لابن حزم وغيرها .

وإن كان المتعدى لحدود الله مستحلا لها ، فهذا خالد مخلد فى النار ، لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة (١).

لقوله سبحانه وتعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٢).

فمن تعامل بالربا ، وكان مستحلا له دخل فى اللعنة مثله فى هذا مثل اليهود الذين لعنهم الله عز وجل بقوله : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون » المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

ولعنة رسول الله ﷺ لليهود فى قوله ﷺ :

« لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا أثمانها » وقوله ﷺ :

« لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه ومانع الصدقة »(٣).

وقوله سبحانه وتعالى « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »(٤) .

وقوله جل جلاله : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما »(٥) .

---

(١) انظر حقيقة الفرقة الناجية صفحة ٦١ .
(٢) البقرة : ٢٧٥ .
(٣) أخرجه الإمام أحمد والنسائى .
(٤) النساء : ١٤.
(٥) النساء : ٩٣.

كذلك من تعدى حدود الله فى قسمة المواريث بخلاف ماقسمه الله سبحانه وتعالى فيما ذكر فى الآيات التى قبل هذه الآية ، فإن كان متعديا لحدود الله عامدا فهو مخلد فى النار ، وإن كان جاهلا ، أو متأولا فهو معذب على قدر ذنبه ، وإن شاء الله غفر له .

ويوضح ذلك أن النبى ﷺ قال : « يدخل الله أهل الجنة الجنة ويدخل من يشاء فى رحمته ، ويدخل أهل النار النار ثم يقول : انظروا من وجدتم فى قلبه حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها ويدخلون فى نهر الحياة ، أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة الى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية »(١) .

لقد خلق الله الإنسان وكرمه منذ أن وجد على ظهر الأرض ، وحتى يظل هذا التكريم مستمرا قال سبحانه فى آخر كتاب أنزله إلى البشرية :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » الإسراء ٧٠ .

فآمـــن به من آمـن ، وكفر به من كفر ، أمـــا من آمن فهـــو من أهـــل القبلة ، وهو ممن شهد شهادة التوحيد ومثل هذا وأضرابه.أجمع علماء المسلمين على عدم تكفيرهم إلا فى حالة ما إذا رئى منه كفرا بواح لقول النبى ﷺ

« إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان »(٢) . لكن الخوارج شذوا عن هذه القاعدة ، إذ كفروا مرتكب الكبيرة .

أصل الكفر : التكذيب المتعمد لشئ من كتاب الله تعالى المعلوم أو لأحد من رسله عليهم الصلاة والسلام ، أو لشئ مما جاءوا به إذا كان ذلك الأمر معلوما من الدين بالضرورة ، ولا خلاف أن هذا القدر كفر ، ومن صدر عنه فهو كافر إذا كان مكلفا مختارا غير مختل العقل ولا مكره ، وكذلك لا خلاف فى كفر من جحد ذلك المعلوم من

---

(١) أخرجه الشيخان عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

الدين بالضرورة وكذلك من تستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة فى تأويل جميع الأسماء الحسنى ، بل جميع القرآن والشرائع ، والميعاد الأخروى : من البعث والقيامة والجنة والنار ، ومنهم الزنادقة(١).

---

(١) لقول النبى ﷺ فى حديث أبى يعلى الذى صححه الحافظ بن حجر « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة وهى الزنادقة » والزنادقة إحدى نحل الملحدين عرفت فيما قبل الإسلام فى الفلسفة الزرادتشتية والمانوية ، والثنوية ، والذى جدد الدعوة للزندقة **ابن الراوندى وبشار** وذلك فى عصر الدولة العباسية ، ثم دعا لها كثير من بعدهم فى المشرق والمغرب إلى يوم الناس هذا .

ومن تعاليم هذه النحلة : تركيزها فى الدعوة إلى الإلحاد ، ومآل أتباعها فى النار ، وكان ظهورها فى عصر الدولة العباسية عندما عمل كثير من الزنادقة على ترجمة ونشر كتب الزنادقة المانوية والمزدكية من كتب الفرس وأديانها على يد ابن المقفع الذى كان أديبا مترجما قتل بالبصرة سنة (٧٥٩ م) – وغيره ممن استهوتهم الزندقة لكي يشبعوا غرائزهم الحيوانية ، ومن دعاة الزندقة : أبو العلاء المعرى–كان فيلسوفا شاعرا نباتيا–وبشار بن برد – كان شاعرا وخطيبا ، وكاتبا اشتهر بالهجاء والخلاعة والزندقة–ثم جسدها بالدعوة الصريحة ابن الراوندى–كان متكلما ثم ألحد وتزندق وهاجم الإسلام .

موقف ابن الراوندى من الإسلام : كان ابن الراوندى متأثرا بشسيخه ابى عيسى الوراق شيخ الزنادقة وهو يهودى الأصل وهو : محمد بن هارون الوراق (ت سنة ٨٦١ م) كان متكلما زنديقا مانويا يتمثل فكره فى كتابه (المشرقى) النوح على البهائم .

هاجم الاسلام وجميع الأديان المنزلة ، وهو يذهب إلى أن العقائد الدينية لا يسلم بها العقل ، ولذلك يجب إنكارها ، وأن المعجزات التى تنسب الى الأنبياء بدع محض ، وأن القرآن ليس كتابا منزلا بحال ، وهولايتسم بالجلال أو بالجمال الذى لا يضارع ، وأن الأنبياء يمكن تشبيههم بالعرافين والسحرة.

ودون فى هذه الموضوعات كتابين : الأول : كتاب الدافع الذى انتقد فيه القرآن ، والآخر كتاب الزمرد ، وفى هذا الكتاب ينقد **ابن الراوندى** فكرة النبوة عامة ونبوة نبينا محمد ﷺ خاصة ، وقد تولى الرد على الزنادقة أئمة الإسلام منهم : الخياط ، والجبائى ، وأبو هاشم ، والأشعرى ، وأبو مسهل النوبختى وغيرهم .

راجع مروج الذهب للمسعودى ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وكتاب الزندقة والشعوبية لسميرة مختار الليثى ، والملل والنحل للشهر ستانى ، والمجتمع العربى ومناهضة الشعوبية ، وحقيقة الفرقة الناجية .

فهل انتهى أمر الزندقة ، وانقضى نحبهم ؟ كلا ، فقد استمرت دعوتهم على أيدى دعاة جدد مثل ماركس ، وداروين ، ومصطفى كمال أتاتورك ، وجورجى زيدان ، وسلامة موسى ، وطه=

. . . .

=حسين ، وسارتر وميشيل عفلق ، وجورج حبش ، وغيرهم من كتاب قصاصين وروائيين ، ثم صارت الزندقة تأخذ شكلا آخر لإلهاء الشعوب وعزلها عن الدين القيم والخلق الحسن بوضع نظريات الشيوعية الماركسية ، والاشتراكية ، والديمقراطية ، والرأسمالية ، والقومية ، والوطنية ... وكل هؤلاء الذين يعتنقون هذه المبادئ إذا علموا بمخالفتها لشريعة الإسلام ، وظلوا عليها مختارين مقتنعين ، فإنهم من أهل النار لما علمت من الأدلة السابقة .

ولقد تصدى لهؤلاء بالرد كثير من العلماء المسلمين فى مؤلفاتهم مثل : السيد محمد باقر الصدر ، والدكتور محمد البهى ، والشهيد سيد قطب ، والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله .

وقد يأخذ العجب منك كل مأخذ حين تسمع هذه الأسماء الإسلامية الرنانة فى سماء المجتمعات لكنها لخبث طويتها ضربت المسلمين ضربة نكراء : فمصطفى كمال أتاتورك أى أبو الأتراك كما أطلق على نفسه ، اشترك فى ثورة حزب تركيا الفتاة ضد الخلافة الإسلامية العثمانية وأسقطها سنة ١٩٢٢ م وأعلن الدولة العلمانية فى تركيا واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية فى اللغة التركية ، وسلخ تركيا عن الاسلام ، وألغى الشريعة الإسلامية ، واستبدل بها الأنظمة الغربية ، وهو يهودى الأصل توفى سنة ١٩٣٨ م .

أما سلامة موسى : فهو نصرانى ، وهو كاتب مصرى كان شديد الإعجاب بالثقافة العلمية الغربية وكان يدعو الى الأفكار الاشتراكية فى الاجتماع والسياسة والأدب ، اشترك فى تحرير : الهلال ، والبلاغ ، والمصور ، وأخبار اليوم ، وأسس المجلة الجديدة ، ومن مؤلفاته : نظرية التطور ، وأحلام الفلاسفة ، وتربية سلامة موسى ، والأدب والحياة وكلها تدعو الى الزندقة .

لكن طه حسين : تلميذ الأزهر مالذى جعله يترك رسالة الأزهر ، ويقلب له ظهر المجن ، فمع كونه أديبا وكاتبا ، لكنه عرف بزندقته ودعوته الى التغريب ، والاستخفاف بالدين والتشكيك فيه . انظر كتاب محاكمة طه حسين لأنور الجندى .

أما سارتر : فكاتب فرنسى زنديق فيلسوف ، زعيم الفلسفة الوجودية فى القرن العشرين ، ولد سنة ١٩٠٥م له كتاب : الوجود والعدم ، والوجودية ، وله عديد من الروايات تصب كلها فى فكرته الوجودية ، وقد سار على طريقه العديد من كتاب الشرق العربى .

ميشيل عفلق : مسيحى سورى أسس حزب البعث مع صلاح البيطار ، وهو حزب علمانى قومى فصل الدين عن الحياه ، له كتاب : فى سبيل البعث ، يعيش حاليا ببغداد ويطلق عليه اسم الزعيم المؤسس !

جورج حبش : نصرانى فلسطينى من مؤسسى حركة القوميين العرب ، وهذه الحركة تدعو الى معاداة الإسلام ، وأخيرا تبنت الفكر الماركسى .

أما خطر المذاهب الحديثة فمدمر والدليل هذه الشيوعية : مصطلح يدعو الى وضع الملكية فى

والمجسمة [(١)] ، والمشبهة[(٢)] ، والقدرية[(٣)] للأدلة الواردة فيها .

يد الدولة ، والشيوعية دعوة قديمة حديثة ، تبناها كارل ماركس اليهود ى كان من أهم كتبه : كتاب رأس المال ، أما إعلان الشيوعية الحديثة فكان بعد البيان الذى أذيع عام ١٨٤٨ م ، وسيطر الشيوعيون على مقاليد الأمور فى روسيا فى ثورة ١٩١٧ م وإمتدت الى بعض دول أوربا الشرقية والصين ، والهند الصينية ، ودعوتها تدعو العمال للسيطرة على السلطة ومحاربة الرأسمالية والأديان ، وتتمثل خطورة الشيوعية فى أنها دعوة الحادية .

الاشتراكية : تعد مرحلة أولى للشيوعية بكافة ألوانها : سواء أكانت اشتراكية ديمقراطية ، أو فابية ، أو عربية ، أو غيرها ، وترفع شعار الكفاية والعدل ، وتختلف كل اشتراكية عن الأخرى فى مفهومها بتنازع الطبقات وفى نهاية المطاف ثبت كذب شعاراتها ، ولم تنجح فى التطبيق ، وبدأ أصحابها اليوم ينسلخون منها .

الديمقراطية : كلمة من أصل يونانى معناها : حكم الشعب ، وإذا أطلقت تنصرف الى كل نظام سياسى يكون الشعب فيه مصدر السلطة وصاحب السيادة ، من أنواعها : أن يمثل الشعب نوابا عن طريق الانتخابات وأخذت الدولة بعدة مفاهيم من أنواع الديمقراطية المبينة فى الدساتير وقررتها فى دساتيرها

الرأسمالية : نظام اقتصادى غربى يقوم على الملكية الخاصة بموارد الثروة ، ويطلق المجال لحريات الأفراد والمشروعات الخاصة ، وبهذا النظام أخذت الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، واليابان ، والمانيا الغربية وكل من يدور فى هذا الفلك .

القومية : تهدف الى الإنتماء الي أمة معينة ، والتعلق بها ، وتقوم على عنصرين : عنصر موضوعى يتمثل فى الروابط المشتركة التى تجمع بين أفراد شعب هذه الأمة كالاشتراك فى الأصل أو اللغة ، أو العقيدة ، وعنصر معنوى أو شعورى يتمثل فى الحالة النفسية التى يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالوحدة بناء على هذا الانتماء ظهرت حركة القوميات فى أوربا خلال القرن التاسع عشر ، وانتشرت فى العالم الإسلامى فى خلال القرن العشرين ، ومن أهم الدعوات للقوميات : القومية العربية

الوطنية : هى دعوة تعصبية لقطر أو اقليم متطورة عن التعصب القبلى الذى نهى عنه الاسلام عندما قال : لا عصبية فى الاسلام ، فمن استدل بحديث « حب الوطن من الإيمان » قال عنه الصنعانى : إنه حديث موضوع انظر كشف الخفاء . وراجع حقيقة الفرقة الناجية صفحة ٨٧ – ٨٩

(١) المجسمة : جاء الرد عليها من قوله تعالى : « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » الشورى : ١١

والمجسمة جعلوا الله عز وجل كالمخلوقات له جسم وجهة والله عز وجل نفى ذلك عن نفسه كما ورد فى الآية ، فمن جسمه فقد كفر بالدليل ، راجع شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٣٩ .

(٢) يدل على كفرهم تشبيههم الله بالمخلوقات والله منزه عن ذلك « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » الشورى : ١١ .

(٣) القدرية : قول النبى ﷺ : « القدرية مجوس هذه الأمة » أخرجه أبو داود والطبرانى ، والقدرية هم منكرو القدر وهو ركن من أركان الإيمان ، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة ، وأصل القدر : سر الله تعالى فى خلقه .

ومن لا دليل على كفره من كتاب ، ولا سنة لا يكفر بالقياس ، لأن القياس عند المحققين من علماء المعقولات لا يكون قاطعا ، لأن الأمرين إن استويا فى جميع الوجوه لم يكن قياسيا وإن وجد بينهما فارق جاز أن يكون متاثرا فى عدم استوائهما فى الحكمة ولم يقم دليل قاطع على أنه وصف ملغى لا تاثير له .

وبهذا ليس القياس حجة فى التكفير ، لقول الرسول ﷺ :

« إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها »(١) .

وأيضا فإن القياس ظن فى إصدار الحكم ، وتكفير المسلم لا يحصل بالظن ، والنبى ﷺ نهانا عن اتباع الظن حيث قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك » . اخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وأحمد ومالك عن أبى هريرة .

حكم الإسلام على هؤلاء ومن على شاكلتهم :

وحكم الإسلام على هولاء وعلى الخارجين على دعوته يتلخص فيما يلى :

أ- ماأخرجه الإمام مسلم من حديث طويل : عن حذيفة بن اليمان قال :

قلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » .

ب- وما أخرجه الإمام مسلم من حديث طويل أخر عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس ».

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ، وقال النووى فى شرح مسلم : « والإباء بالكفر » وفى رواية « وجب عليه أحدهما » .

راجع حقيقة الفرقة الناجية صفحة ٦٧ هامش .

جـ- وحديث انس الذى رواه الحارث الأشعرى عن رسول الله ﷺ قال : « من دعا بدعوة الجاهلية(١) فانه من جثى جهنم ، قال رجل : يارسول الله وإن صام وصلى ؟ قال : نعم وإن صام وصلى ، فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله » .

نخلص مما تقدم أنه لا يجوز لمسلم أن يكفر أحدا من أهل القبلة وأن العصاة من المسلمين لهم عقاب فى الآخرة ثم يعفى عنهم

« أما أهل الجماعة »

« أما ماعليه الرسول ﷺ وصاحبته فهم أهل السنة والجماعة وكل من سار على طريقتهم .

توضيح حديث « ماأنا عليه وأصحابى » .

تعريف الصحابى والإسلام ومن هو المسلم ؟

أما ماعليه هو ﷺ وماجاء به فهو التوحيد ، ففى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لإله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلابحقها وحسابهم على الله »(٢)

أما الصحابى : فهو كل من رأى النبى ﷺ ، أورآه النبى ﷺ وهو مسلم ، ومات وهو مسلم .

---

(١) ودعوى الجاهلية يفسرها ما جاء عن أبى مالك الأشعرى الى النبى ﷺ قال « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لايتركونهن : الفخر فى الأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والأستسقاء بالنجوم ، والنياحة » .

أخرجه الإمامان : مسلم وأحمد فى باب الجنائز .

(٢) متفق عليه .

أما المسلم فهو من شهد بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وآمن بأصول الإسلام الواردة فى حديث جبريل عليه السلام ، الذى رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. إذ قال : بينما نحن جلوس عند النبى ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال يامحمد ! أخبرنى عن الإسلام ؟ قال :

« الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاه ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ».

قال صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : فأخبرنى عن الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ».

قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال : فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون فى البنيان ».

ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى : « ياعمر ! أتدرى من السائل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » أى أمور دينكم .[1]

وهذا الحديث الشريف يعرف فى الأوساط العلمية بالجامع ، وبحديث الإسلام والإيمان والإحسان .

أما الإسلام بالمعنى العام فهو إسلام الوجه لله والخلوص من الشرك وأهله ، أى التوجه الكامل إلى الله والخضوع الكامل لأوامره[2] سبحانه وتعالى بدليل قوله جل فى

---

(١) أخرجه الإمام مسلم .

(٢) حقيقة الفرقة الناجية ص ٤٩.

علاه : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون » . البقرة ١١٢.

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » النساء ١٢٥ وراجع الآيات من سورة البقرة ١٣٠ – ١٣١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، والمائدة ٤٤ ، يوسف ١٠١ ، الحج ٧٨ ، وآل عمران ١١٠.

ومما سبق يظهر لنا بوضوح أن المسلم هو :

من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن من كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه هو كلمة التوحيد .

وأن من قال لا إله إلا الله ومات عليها كان من أهل الجنة ، كما عصم دمه وماله ، بهذا يتبين لنا الفئة المؤمنة الناجية ، أما من أشرك بكلمة التوحيد ، فقد انتقل من أمة الإجابة الى أمة الدعوة ، وأن علم به الإمام وثبت عليه الإشراك هدر دمه وقتل ردة ، ولا غسل له ولا تكفين ، ولا صلاة عليه ، ولا دفن له فى مقابر المسلمين(١) .

فالإسلام هو دعوة الأنبياء والرسل جميعا منذ أن خلق الله البرية ، والأرض ومن عليها ورسله ورسائله تتابع الى الثقلين حتى رسالة خاتم الأنبياء وسيد الرسل نبينا محمد ﷺ ، كما ورد ذلك على ألسنة الأنبياء جميعا .

راجع سورة يونس آية : ٧٢ ، وآل عمران : ٦٧ ، والبقرة : ١٢٨ ، ١٣٣ ، ويوسف : ١٠١ ، ويونس : ٨٤ ، والنمل : ٣١ ، ٤٤ ، وآل عمران : ٥٢.

وكلمة التوحيد هى أيضا دعا لها سائر الأنبياء ، وأخذ الله العهد على ذرية بنى آدم بالانصياع لها ، فمن انقاد لها فهو من أمة الإجابة ، ومن أهل الجنة ، ومن تولى عنها وأعرض فهو من أهل النارخالدا مخلداً فيها .

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٤ ، ٥٥.

قال سبحانه : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون .

وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون . واتل عليهم ... الخ[1] ».

أهل السنة والجماعة

والآن نستحث الخطى الى الفرقة الناجية ، فرارا من ضلالة المضلين وبهتان الأفاكين الى رحاب أهل السنة والجماعة الى ظل أهل الحديث دون من يشترى لهو الحديث ، وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ، ومحدثوهم ، ومتكلموا أهل الحديث منهم كلهم متفقون على مقالة واحدة فى توحيد الصانع وصفاته ، وعدله وحكمته ، وفى اسمائه وصفاته ، وفى أبواب النبوة والامامة ، وفى أحكام العقبى ، وفى سائر أصول الدين ، وانما يختلفون فى الحلال والحرام من فروع الأحكام ، وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية ، ويجمعها الاقرار بتوحيد الصانع وقدمه ، وقدم صفاته الأزلية ، وإجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل ، مع الاقرار بكتب الله ورسله وبتأييد شريعة الاسلام ، واباحة ما أباحه القرآن ، وتحريم ما حرمه القرآن مع قبول ما صح من سنة رسول الله ﷺ ، واعتقاد الحشر والنشر ، وسؤال الملكين فى القبر والإقرار بالحوض والميزان .

فمن قال بهذه الجهة التى ذكرناها ، ولم يخلط إيمانه بشئ من بدع الخوارج ، والروافض والقدرية وسائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرق الناجية ، إن ختم الله له بها ، ودخل فى زمرة جمهور الأمة ، وسوداها الأعظم من أصحاب المذاهب الفقهية .

---

(١) راجع الآيات : ١٧٢ – ١٧٥ من سورة الأعراف .

أصحاب المذاهب الفقهية :

ومما تجدر الإشارة إليه أن أصحاب المذاهب الفقهية التى ظهرت بعد عصر الصحابة ، وكبار التابعين ، يعدهم بعضهم ثلاثة عشر مذهبا ، وينسب جميع أصحابها إلى مذهب « أهل السنة » الذى كان وبقى مذهب جماهير المسلمين وعامتهم ، ولكن لم ينل حظ التدوين من هؤلاء الأئمة سوى ثمانية أو تسعة ومن هؤلاء التسعة من حظى فقهه بتدوينه كله ، على حين اقتصر على بعضه بالنسبة للآخرين ، ومما دون لهؤلاء وهؤلاء وعرفت أصول مذاهبهم ومناهجهم الفقهية هم :

١- الإمام أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى (ت ١١٠ هـ).

٢- الإمام أبو حنيفه النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ).

٣- الإمام الأوزاعى أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد (ت ١٥٧ هـ).

٤- الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى (ت ١٦٠ هـ).

٥- الإمام الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ).

٦- الإمام مالك بن أنس الأصبحى (ت ١٧٩ هـ).

٧- الإمام سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ).

٨- الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤ هـ).

٩- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).

وهناك الإمام داود بن على الاصبهانى البغدادى المشهور بالظاهرى نسبة الى الأخذ بظاهر ألفاظ الكتاب والسنة (ت ٢٧٠ هـ).

---

(١) راجع للدكتور طه جابر فياض العلوانى : أدب الاختلاف فى الاسلام ص ٨٩ ، ٩٠ .
كتاب الأمة جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ . قطر .

وغير هـــؤلاء كثير مثل : اســحاق بن راهـــويه (ت ٢٣٨ هـ) وأبى ثور ابراهيم بن خالد الكلبى (ت ٢٧٠ هـ).

بالإضافة إلى أخرين غير ماتقدم لم تنتشر مذاهبهم ، ولم يكن لهم أتباع ، أو اعتبروا مقلدين لأصحاب المذاهب المشهورة[١] .

وسنقصر الحديث على بعض أصحاب المذاهب متوخين الإيجاز مثل :

الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه :

إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر ابن عمرو بن الحارث الأصبحى من سادة اتباع التابعين ، ومن جلة الفقهاء والصالحين وقد كثرت عنايته بالسنة وجمعه لها وذبه عن حريمها وقمعه لمن خالفها أو رام الانحراف عنها ، وهو صاحب « (الموطأ) » ولد فى سنة ٩٣ هـ ، يقول الامام الشافعى : اذا ذكر العلماء فمالك النجم[١] .

الإمام الشافعى :

عالم قريش ، فقيه عصره : أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شـافع بن السائب الشافعى المطلبى ، الذى لم ترعينه مثل نفسه ، ولم ترعين من رآه مثله ، ناصر الحديث ، ولد بغزة ونقل الى مكة وله سنتان ، أخذ العلم عن مالك بن أنس ومسلم بن خالد الزنجى وطبقتهما .. توفى فى مصـر[٢] سنة ٢٠٤ هـ .

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٦ ، وتهذيب التهذيب : ١/٥.
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٧ ، وشذرات الذهب : ٢/٩.

الإمام أبو حنيفة :

فقيه أهل العراق ، العابد ، الورع ، السخى :

أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى ولد فى سنة ٨٠ هـ ، وروى عن عطاء بن رباح وطبقته ، وتفقه على حماد بن أبى سليمان ، وكان من المبرزين المتفوقين فى الذكاء ... قال عنه الشافعى : الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة ، وقال يزيد بن هارون : مارأيت أروع ولا أعقل من أبى حنيفة[١] .

والأوزاعى : امام الشاميين : أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى الفقيه ... كان رأسا فى العلم والعمل كثير المناقب ...

والثورى : الامام العالم : أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حمزة بن حبيب الثورى .. الكوفى الفقيه سيد أهل زمانه علما وعملا ولد فى سنة ٩٥ هـ قال عنه الامام أحمد بن حنبل : لا يتقدم سفيان فى قلبى أحد ، وقال يحيى بن معين : سفيان أمير المؤمنين فى الحديث .

قال سفيان عن نفسه : ما استودعت قلبى شيئا قط فخاننى[٢] (توفى سنة ١٦١ هـ)

وأهل الظاهر : وهم أتباع داود بن على بن خلف الأصبهانى[٣] .

ويعتبر الأئمة الثلاثة : مالك ، والشافعى ، وأحمد ، فقهاء حديث وأثر ، فهم الذين تلقوا فقه أهل المدينة ، وحملوا علومهم ، أما الإمام أبو حنيفه فهو وارث « أهل الرأى » ومقدم مدرستهم فى عصره[٤] . ثم نأتى الى تفصيل وبيان الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة والجماعة :

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٧ ، وتاريخ بغداد : ٣٢٣/١٣.
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٧ ، وفيات الأعيان : ٢٥٢ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٨ ، وفيات الأعيان : ٢٠٩.
(٤) أدب الاختلاف فى الإسلام ص ٩١.

أركان الدين عند أهل السنة وردهم على المخالفين لهم :

اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقتة . ولكل ركن منها شُعب ، وفى شعبها مسائل اتفق أهل السنة فيها على قول واحد وضللوا من خالفهم فيها .

الركن الأول :

وأول الأركان التى رآها أهل السنة من أصول الدين اثبات الحقائق والعلوم على الخصوص والعموم .

فقد أثبتوا أن للعلوم معانى قائمة بالعلماء ، وأن حقائق الأشياء ثابتة خلافا للسوفسطائية الذين شكوا فى وجود الحقائق ...

قال أهل السنة : أن علوم الناس ، وعلوم سائر الحيوانات ثلاثة أنواع :

علم بديهى ، وعلم حسى ، وعلم استدلالى ، وقالوا : من جحد العلوم البديهية ، أو الحسية فهو معاند ، ومن أنكر العلوم النظرية نظر فيه : فان كان من فرقة السمنية(١) المنكرة للنظر فى العلوم العقلية فهو كافر ملحد ، وان كان ممن يقول بالنظر فى العقليات وينكر القياس فى فروع الاحكام الشرعية كأهل الظاهر لم يكفر بانكار القياس الشرعى

وقالوا : بأن الحواس التى يدرك بها المحسوسات خمس وهى :

حاسة البصر : لإدراك المرئيات ، وحاسة السمع : لإدراك المسموعات ، وحاسة الذوق : لإدراك الطعوم ، وحاسة الشم : لإدراك الروائح ، وحاسة اللمس : لإدراك الحرارة

---

(١) من فلاسفة الهند ، الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات ، قالوا لجهم بن صفوان : هذا ربك الذى تعبده ، هل يُرى ، أو يشم ، أو سذاق ، أو يلمس ؟ فقال : لا فقالوا : هو معدوم . انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣١ ، وهذه المقولة يرددها الشيوعيون ومن على شاكلتهم اليوم .

والبرودة والرطوبة ، واليبوسة واللين والخشونة بها ، وهناك الحاسة البينية ، لإدراك رقيق الثياب من خشنة ، والحاسة العضلية لإدراك ثقل الأشياء أو خفتها .

وقالوا : ان الإدراكات الواقعة من جهة هذه الحواس معان قائمة بالآلات التى تسمى حواس . وضللوا أبا هاشم الجبائى فى قوله : ان الادراك ليس بمعنى ولا عرض ، ولاشئ سوى المدرك(١) ...

واتفق أهل السنة على أن الله تعالى كلف العباد معرفته وأمرهم بها ، وأنه أمرهم بمعرفة رسوله وكتابه ، والعمل بما يدل عليه الكتاب والسنة ، ومن زعم من القدرية والرافضة أن الله تعالى ماكلف أحدا معرفته فهو كافر عندهم ، وينطبق هذا الحكم على ثمامة ، والجاحظ وطائفة من الرافضة .

أحكام الشريعة عند أهل السنة :

أتفق أهل السنة على أن أصول أحكام الشريعة : القرآن والسنة واجماع السلف وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم فى القرآن والسنة ، لدعواه أن الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه ، كما أكفروا الخوارج الذين ردوا جميع السنن التى رواها نقلة الأخبار لقولهم بتكفير ناقلها ، وأكفروا النظّام فى انكاره حجة الاجماع وحجة التواتر ، وقوله : بجواز اجتماع الأمة على الضلالة ...

الركن الثانى : حدوث العالم فقد أجمعوا على أن العالم كل ما سوى الله عز وجل ، وأن كل ما سوى الله وسوى صفاته الأزلية مخلوق مصنوع ، وأن صانعه ليس بمخلوق ولا مصنوع ، ولا هو من جنس العالم ولا من جنس شئ من أجزاء العالم ...

وأتفق أهل السنة على اختلاف أجناس « الأعراض ، وأكفروا النظّام فى قوله : ان الأعراض كلها جنس واحد ، وانها كلها حركات ، لأن هذا يوجب عليه أن يكون الايمان

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٤.

من جنس الكفر ، والعلم من جنس الجهل ، والقول من جنس السكوت ، وأن يكون فعل النبى ﷺ من جنس فعل الشيطان الرجيم ، وينبغى له على هذا الأصل ألا يغضب على من لعنه وشتمه لأن قول القائل : (لعن الله النظّام) عنده من جنس قوله (رحمه الله) ...

وأجمعوا على جواز الفناء على العالم كله من طريق القدرة والامكان وانما قالوا بتأبيد الجنة ، وتأبيد جهنم وعذابها من طريق الشرع ، وأجازوا أيضا فناء بعض الأجسام دون بعض ومن ثم أكفروا أبا الهذيل بقوله : ان نعيم الجنة وعذاب النار ينقطعان ، وكذلك من قال بفناء الجنة والنار من الجهمية ، كما حكموا بالكفر على الجبائى وابنه أبا هاشم لقولهما : ان الله لا يقدر على افناء بعض الأجسام مع ابقاء بعضها وانما يقدر على افناء جميعها بفناء يخلقه لا فى محل .

الركن الثالث : الكلام فى صانع العالم وصفاته الذاتية التى استحقها لذاته إن الحوادث كلها لابد لها من محدث صانع ، وأكفروا ثمامة وأتباعه من القدرية فى قولهم : ان الأفعال المتولدة لا فاعل لها .

وقالوا : ان صانع العالم خالق الأجسام والأعراض وأدانوا معمرا وأتباعه من القدرية فى قولهم : ان الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض وانما خلق الأجسام ، وان الأجسام هى الخالقة للأعراض فى أنفسها .

وأجمعوا على استحالة وصف الله سبحانه بالصورة والأعضاء وفى هذا رد على غلاة الروافض القائلين بأن معبودهم على صورة الانسان ، ورد على المغيرية من الرافضة فى ادعائهم أن أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا(1) . وأجمعوا على أن الله سبحانه لا يحويه مكان ، ولا يجرى عليه زمان خلافا لمن زعم من الهشامية والكرامية أنه مماس لعرشه ، وقد قال أمير المؤمنين على

(1) الفرق بين الفرق : ٣٣٢ ، وراجع الإبانة عن أصول الديانة تأليف : أبى الحسن الأشعرى .

رضى الله عنه : إن الله تعالى خلق العرش اظهارا لقدرته لامكانا لذاته ، وقال أيضا : قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان .

وأجمعوا (أى أهل السنة) أن صانع العالم واحد ، على خلاف قول الثنوية بصانعين قديمين : احدهما : نور ، والآخر : ظلمة ، وعلى خلاف قول المجوس بصانعين : احدهما : اله قديم اسمه عندهم (يزدان) ، والآخر شيطان رجيم اسمه (أهرمن) وردا على المفوضة من غلاة الروافض القائلين فى أن الله تعالى فوض تدبير العالم إلى على ، فهو الخالق الثانى ، وردا على قول الخابطية من القدرية فى دعواهم أن الله تعالى فوض تدبير العالم الى عيسى ابن مريم ، وانه هو الخالق الثانى .

الركن الرابع : الكلام فى الصفات القائمة بالله عز وجل ، ان علم الله تعالى وقدرته وحياته وارادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له أزلية ونعوت له أبدية، وفى هذا رد قاطع على المعتزلة الذى نفت عنه سبحانه جميع الصفات الأزلية ، وقالوا ليس له قدرة ، ولا علم ولا حياة ، ولا رؤية ، ولا ادراك للمسموعات ، وأثبتوا له كلاما محدثا ، أما البغداديون فقد نفوا عنه الارداة .. كما رد عليهم أهل السنة فقالوا لهم فى نفى الصفة نفى الموصوف ، كما فى نفى الفعل نفى الفاعل ، وفى نفى الكلام نفى المتكلم(1) .

وأجمع أهل السنة على أن علم الله تعالى واحد يعلم به جميع المعلومات على تفاصيلها من غير حس ، ولا بديهة ولا استدلال عليه .

وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئيا للمؤمنين فى الآخرة ، وقالوا بجواز رؤيته فى كل حال ولكل حى من طريق العقل ، ووجوب رؤيته للمؤمنين خاصة فى الآخرة من طريق الخبر ...

وأجمع أهل السنة على أن حياة الله سبحانه وتعالى بلا روح ولا اغتذاء وأن الأرواح كلها مخلوقة ، على خلاف قول النصارى فى دعواها قدم أب وابن وروح ...

(1) الفرق بين الفرق : ٣٣٤ ، وراجع الابانة عن أصول الديانة ، والعقيدة الطحاوية تخريج محمد ناصر الالبانى .

وأجمعوا على أن كلام الله عز وجل صفة له أزلية ، وأنه غير مخلوق ولا محدث ولا حادث ، وهذا رد على القدرية القائلين فى دعواهم : أن الله تعالى خلق كلامه فى جسم من الأجسام ، ورد على الكرامية فى ادعائهم : ان أقواله حادثة فى ذاته ، ورد على قول أبى الهذيل : أن قوله للشئ (كن) لا فى محل ، وسائر كلامه محدث فى أجسام ، ومن ثم لا يجوز حدوث كلامه سبحانه ، لأنه ليس بمحل للحوادث ، ولا فى غيره لأنه يوجب أن يكون غيره به متكلما آمرا ناهيا ، ولا فى غير محل ، لأن الصفة لا تقوم بنفسها فبطل حدوث كلامه ، وصح أنه صفة أزلية .

الركن الخامس : الكلام فى أسماء الله تعالى وأوصافه : فأسماء الله تعالى توقيفية : إما بالقرآن وإما بالسنة الصحيحة ، وإما بإجماع الأمة عليها ولا يجوز اطلاق اسم عليه من طريق القياس ، وهذا رد على على الجبائى حتى سمى الله مطيعا لعبده ، وسماه محبلا للنساء اذا خلق فيهن الحبل وهذه ضلالة من الجبائى وجسارة فاجرة فى غير محلها .

وقد ورد فى السنة الصحيحة : « أن لله تعالى تسعة وتسعين اسما ، من أحصاها دخل الجنة » والمراد بإحصائها : العلم بها واعتقاد معانيها من قولهم : (فلان ذو حصاة واحصاء) . اذا كان ذا علم وعقل .

أقسام الأسماء الحسنى :

(أ) قسم يدل على ذاته سبحانه كالواحد ، والغنى ، والأول ، والآخر ، والجليل وسائر ما استحقه من الأوصاف لنفسه .

(ب) قسم منها يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته كالحى ، والقادر ، والعالم والمريد والسميع ، والبصير ، وسائر الأوصاف المشتقة القائمة بذاته .

وهذا القسم من أسمائه مع القسم الذى قبله لم يزل الله تعالى بهما موصوفا وكلاهما من أوصافه الأزلية .

(ج) قسم منها مشتق من أفعاله كالخالق والرازق ، والعادل ونحو ذلك .

وكل اسم اشتق من فعله لم يكن موصوفا به قبل وجود أفعاله .

وهناك اسماء تحتمل معنيين : احدهما : صفة أزلية ، والآخر : فعل له ، كالحكيم : ان أخذناه من الحكمة التى هى العلم كان من اسمائه الأزلية ، وان أخذناه من احكام أفعاله واتقانها كان مشتقا من فعله ولم يكن من أوصافه الأزلية[١] .

الركن السادس : الكلام فى عدل الاله سبحانه وحكمته : ان الله سبحانه خالق الأجسام والأعراض خيرها وشرها وانه خالق أكساب العباد، ولا خالق غير الله . وهذا رد على من زعم من القدرية أن الله تعالى لم يخلق شيئا من أكساب العباد ، ورد على قول الجهمية فيما ذهبوا اليه من أن العباد غير مكتسبين ولا قادرين على اكسابهم ، فمن زعم أن العباد خالقون لأكسابهم فهو قدرى مشرك بربه لداعوه أن العباد يخلقون مثل خلق الله من الأعراض التى هى الحركات والسكون فى العلوم والارادات والأقوال والأصوات ، وقد قال الله تعالى فى ذم هذا القول : « (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل : الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار »[٢] ... ومن زعم أن العبد لا استطاعة له على الكسب وليس هو بفاعل ولا مكتسب فهو جبرى ، والعدل خارج عن الجبر والقدر ، ومن قال : « إن العبد مكتسب لعمله والله سبحانه خالق لكسبه » فهو سنى عدلى منزه عن الجبر والقدر[٣] .

وقـــال أهل السـنة : ان الهـداية من الله تعالى على وجـــهين : أحدهما : من جهة ابانة الحق والدعاء اليه ونصب الأدلة عليه قال سبحانه لمحمد ﷺ « وإنك لتهدى الى صراط مستقيم »[٤] أى تدعوا اليه وتوضحه .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٣٧ وما بعدها ، والابانة عن أصول الديانة ، والعقيدة الطحاوية.

(٢) سورة الرعد آية رقم ١٩.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٣٨ ومابعدها .

(٤) الشورى : ٥٢.

الوجه الثانى : من جهة أن هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء فى قلوبهم كما فى قوله : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا »(١) ، وهذا النوع من الهداية لا يقدر عليه الا الله تعالى .

والهداية الأولى من الله تعالى شاملة لجميع المكلفين ، والهداية الثانية من خاصة المهتدين « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »(٢) والاضلال من الله تعالى عند أهل السنة على معنى خلق الضلال فى قلوب أهل الضلال مثل « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا »(٣).

وقالوا : من أضله الله فبعدله ، ومن هداه فبفضله ، وهذا خلاف ما ذهبت اليه القدرية من أن الهداية من الله تعالى على معنى الارشاد والدعاء الى الحق وليس اليه من هداية القلوب شئ .(٤)

الركن السابع : المفروض فى النبوة والرسالة ، قالوا : فى الفرق بين الرسول والنبى أن كل من نزل عليه الوحى من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيدا بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبى ومن حصلت له هذه الصفة وخص أيضا بشرع جديد أو بنسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول . وقالوا : ان الأنبياء كثير ، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وأول الرسل أبو جميع البشر وهو آدم عليه السلام ، وآخرهم محمد ﷺ ، وهذا رد على المجوس القائلين : ابو البشر جميعا يسمى (كيومرت) الملقب (بكلشاه) ، ورد على قولهم أيضا أية آخر الرسل (زرادشت) ورد على قول من زعم من الخرمية أن الرسل تترى لا آخر لهم (٥) .

---

(١) الانعام آية رقم ١٢٥.

(٢) يونس : ٢٥.

(٣) الأنعام : ١٢٥.

(٤) الفرق بين الفرق : ٣٤١ . والهداية أيضا على نوعين : هداية دلالة كقوله سبحانه : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى .. » فصلت : ١٧ ، وهداية معونة فمن دخل فى الإسلام وعمل بما فيه أعانه الله : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » طه : ١٢٣ .

(٥) الفرق بين الفرق ص ٣٤٢.

وأنكر أهل السنة قتل عيسى وأثبتوا رفعه الى السماء ، وقالوا : انه ينزل الى الأرض بعد خروج الدجال فيقتل الدجال ، ويقتل الخنزير ، ويريق الخمور ، ويستقبل فى صلاته الكعبة ، ويؤيد شريعة محمد ﷺ ، ويحى ماأحياه القرآن ، ويميت ما أماته القرآن .

الركن الثامن : المعجزة والكرامة : قالوا : ان المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على يدى مدعى النبوة ، مع تحديه قومه بها ومع عجز قومه عن معارضته بمثلها على وجه يدل على صدقه فى زمان التكليف ، وقالوا : لابد للنبى من معجزة واحدة تدل على صدقه ، فاذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها فقد لزمتهم الحجة فى وجوب تصديقه ، ووجوب طاعته ، فان طالبوه بمعجزة سواها فالأمر الى الله عز وجل : ان شاء أيده بها ، وان شاء عاقب المطالبين له لتركهم الايمان بمن قد ظهرت دلالة صدقه ، وهذا خلاف قول من زعم من القدرية أن النبى ﷺ لا يحتاج الى معجزة أكثر من استقامة شريعتة كما ذهب إليه ثمامة .

وقالوا : باعجاز القرآن فى نظمه وهو رد على القدرية الزاعمين : أن لااعجاز فى القرآن ، ورد أيضا على النظّام الذى قال بمقالة القدرية[1] .

الركن التاسع : المضاف الى أركان شريعة الاسلام : ان الاسلام مبنى على خمسة أركان : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ، وأن من أسقط وجوب ركن من هذه الاركان الخمسة أو تأولها على معنى مولاة قوم كما تأولت عنها المنصورية والجناحية من غلاة الرافضة فهو كافر .

ومن أقوال أهل السنة : جواز البيع وتحريم الربا ، وضللوا من أباح الربا ، كما قالوا : بوجوب اقامة حد الزنى ، والسرقة ، والخمر ، والقذف ، وأكفروا من أسقط حد الخمر والرجم من الخوارج .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٤٤.

وقالوا : أصول الشريعة : الكتاب والسنة ، واجماع السلف ، وأن من لم ير اجماع الصحابة حجة فهو كافر كالخوارج الذين ردوا حجج الاجماع والسنن ، كما أن الروافض يشتركون مع الخوارج فى الحكم لردهم حجج الاجماع ، وانما الحجة عندهم فى قول الامام الذى ينتظرونه وهؤلاء اليوم حيارى فى التيه ، وكفاهم بذلك خزيا(١) .

الركن العاشر : المضاف الى الأمر والنهى : تدور أفعال المكلفين حول أقسام خمسة : واجب ومحظور ومسنون ومكروه ومباح :

فالواجب : ما أمر الله تعالى به على وجه اللزوم ، وتاركه مستحق للعقاب على تركه .

والمحظور : ما نهى الله عنه ، وفاعله يستحق العقاب على فعله .

والمسنون : ما يثاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه .

والمكروه : ما يثاب تاركه ، ولا يعاقب فاعله .

والمباح : ما ليس فى فعله ثواب ولا عقاب ، ولا فى تركه ثواب ولا عقاب ، وهذا كله فى أفعال المكلفين ، فأما أفعال البهائم والمجانين والأطفال فانها لا توصف بالاباحة أو الوجوب أو الحظر .

الركن الحادى عشر : المضاف الى فناء العباد وأحكامهم فى الميعاد ، قالوا : ان الله قادر على افناء جميع العالم جملة ، وعلى افناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها ، وفى هذا رد على القدرية الذين زعموا أن الله يقدر على إفناء كل الأجسام بفناء يخلقه لا فى محل ، ولا يقدر على افناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها . وقالوا : باثبات الشفاعة من النبى ﷺ ، ومن صلحاء أمته ، للمذنبين من المسلمين ، ولمن كان فى قلبه ذرة من الايمان ، والمنكرون للشفاعة يحرمون الشفاعة .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٤٦ والإبانة عن أصول الديانة .

الركن الثانى عشر : المضاف الى الخلافة والامامة : ان الامامة فرض على الأمة لأجل اقامة الامام : لينصب لهم القضاة والأمناء ، ويضبط ثغورهم ، ويغزى جيوشهم ، ويقسم الفئ بينهم ، وينتصف لمظلومهم من ظالميهم ، وان طريق عقد الامامة للامام فى هذه الأمة الاختيار بالاجتهاد ، وأن النبى ﷺ لم ينص على امامة واحد بعينه وفى هذا رد على الرافضة الزاعمين أن النبى ﷺ نص على امامة على رضى الله عنه نصا مقطوعا بصحته .

قال أهل السنة : إن من شرط الامامة النسب الى قريش ... ، ومن شرط الامام : العلم والعدالة ، والسياسة ، وأن يكون من أهل الاجتهاد غير مرتكب لكبيرة ولا مصر على صغيرة ، ولا تارك للمروءة ، وليس من شرطه العصمة من الذنوب كلها ، وفى هذا رد على الامامية القائلين : إن الامام معصوم من الذنوب كلها ، وأجازوا فى حال التقية أن يقول « لست بإمام » وهو امام ، كما أباحوا له الكذب فى هذا مع قولهم بعصمته من الكذب ... وهذا تناقض .. أما قولهم فى طلحة والزبير فإنهما تابا ورجعا عن قتال على ، أما عائشة رضى الله عنها فانها قصدت الاصلاح بين الفريقين فغلبها بنو ضبة والأزد على رأيها .

الركن الثالث عشر : المضاف الى الايمان والاسلام : إن أصل الايمان المعرفة والتصديق بالقلب . وان اسم الايمان لا يزول بذنب دون الكفر ، ومن كان ذنبه دون الكفر فهو مؤمن وان فسق بمعصية . وأنه لا يحل قتل امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : من ردة ، أو زنى بعد إحصان ، أو قصاص بمقتول هو كفؤ ، وهذا خلاف قول الخوارج فى اباحة قتل كل عاص لله تعالى ، ويترتب على قولهم هذا أنه لا فائدة من قطع يد السارق ، وجلد القاذف ، ورجم الزانى المحصن مع انها أمور واجبة التنفيذ .

الركن الرابع عشر : المضاف الى الأولياء والأئمة : اختلف أهل السنة فى امامة المفضول مع وجود الفاضل ، فأباها الشيخ ابو الحسن الأشعرى ، وأجازها القلانسى وقالوا : (أى أهل السنة) : بموالاة العشرة المبشرين بالجنة ، وكل من شهد

بدرا وأنهم جميعا من أهل الجنة إلا رجلا اسمه (قزمان) فانه قتل بأحد جماعة من المشركين ، وقتل نفسه ، وأن من شهد بيعة الرضوان بالحديبية من أهل الجنة ، كما انهم يوالون كل من مات على دين الاسلام ، ولم يكن قبل موته على بدعة من ضلالات أهل الأهواء الضالة(١) .

الركن الخامس عشر : المضاف الى احكام أعداء الدين : صنف أهل السنة أعداء الدين إلى صنفين صنف قبل ظهور دولة الاسلام ، وصنف ظهروا فى دولة الاسلام ، واتخذوا الاسلام ستارا ، وكانوا للمسلمين .

أما الذين كانوا قبل الاسلام فأصناف : منهم : عبدة الأصنام والأوثان ، ومنهم من عبد إنسانا مخصوصا كعبدة نمرود بن كنعان ، وكعبدة فرعون ، ومنهم من عبدوا كل ما استحسنوا من الصور على مذهب الحلولية القائلة بحلول روح الاله فى الصور الحسنة ، ومنهم عبدة الشمس أو القمر ، أو الكواكب أو بعضها ، ومنهم : من عبدوا الملائكة وسموها بنات الله ، وفيهم نزل قول الله تعالى : « إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى »(٢) .

ومنهم من عبد شيطانا مريدا ، ومنهم قوم عبدوا البقر ، ومنهم : الذين عبدوا النيران .

وحكم جميع عبدة الأصنام والناس والملائكة والنجوم والنيران تحريم ذبائحهم ، ونكاح نسائهم على المسلمين .

---

(١) الفرق بين الفرق : ٣٥١ – ٣٥٣ والإبانة عن أصول الديانة ، والعقيدة الطحاوية .
(٢) النجم : ٧٧ .

حكم الإسلام فى أصناف من الكفرة :

ومن أصناف الكفرة قبل الاسلام :

السوفسطائية المنكرة للحقائق .. ومنهم :

السمنية القائلون : بقدم العالم مع انكارهم للنظر والاستدلال ، ودعواهم أنه لا يعلم شئ إلا من طريق الحواس الخمس راجع ص ١٧٦ هامش ١ .

ومنهم الدهرية : القائلون : بقدم العالم ، ومنهم : القائلون : بقدم هيولى[1] مع اقرارهم بحدوث الاعراض منها ، ومنهم الفلاسفة الذين قالوا : بقدم العالم وأنكروا الصانع ، ومنهم (فيثاغورس) ، و (باذينوس) ، ومنهم الفلاسفة الذين أقروا بصانع قديم ، ولكنهم زعموا أن صنعه قديم معه ، ومن قال بقدم الصانع والمصنوع : (أبيذ قليس) ، ومنهم الفلاسفة الذين قالوا : بقدم الطبائع الأربع والعناصر الأربع وهى : الأرض ، والماء ، والنار ، والهواء .

وقد أجمع المسلمون على أن هؤلاء الأصناف الذين ذكروا لا يحل للمسلمين أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم ...

أما البراهمة : الذين ينكرون جميع الأنبياء والرسل ، فقال أصحاب الشافعى : لا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم ، وان وافقوا المسلمين فى حدوث العالم وتوحيد صانعه .

وأجمع فقهاء الاسلام على استباحة ذبائح اليهود والسامرة والنصارى وعلى جواز نكاح نسائهم .

وأما الكفرة الذين ظهروا فى دولة الاسلام ، واتخذوه ستارا ، واغتالوا المسلمين فى السر : كالغلاة من الرافضة السبئية ، والبيانية والمغيرية والمنصورية ، والجناحية ،

---

(١) الهيولى : مادة الشئ التى يصنع منها كالخشب للكرسى ، وعند القدماء : مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة ، قابلة للتشكيل والتصوير فى شتى الصور ، وهى التى صنع الله تعالى منها أجزاء العالم المادية . المعجم الوسيط مادة : هال .

والخطابية ، وسائر الحلولية .. ، والذين قالوا : بتناسخ الأرواح من أتباع ابن أبى العوجاء ، ومن قال بقول أحمد ابن خابط من المعتزلة ، ومن قال بقول اليزيدية من الخوارج الذين زعموا أن شريعة الاسلام تنسخ بشرع نبى من العجم ، ومن قال بقول الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنين وبنات البنات ... فان حكم الإسلام فى هذه الطوائف التى سبق ذكرها حكم المرتدين عن الدين ، ولا تحل ذبائحهم ، ولا يحل نكاح المرأة منهم ، وحكمهم فى دار الاسلام استتابتهم فان تابوا والا وجب قتلهم واستغنام أموالهم ، وأما أهل الأهواء : من الجارودية والهشامية ، والنجارية ، والجهمية ، والامامية الذين أكفروا خيار الصحابة ، والقدرية المعتزلة عن الحق ، والبكرية ، والضرارية ، والمشبهة كلها والخوارج فإنا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة ، ولا تجوز الصلاة عليهم ولا خلفهم عند أهل السنة .

حكم الإسلام فى المعتزلة :

واختلف أصحاب الشافعى فى حكم القدرية المعتزلة عن الحق فمنهم من قال : حكمهم حكم المجوس لقول النبى ﷺ فى القدرية : « إنهم مجوس هذه الأمة » - فعلى هذا القول يجوز أخذ الجزية منهم ، ومنهم من قال : حكمهم حكم المرتدين فلا تؤخذ منهم الجزية بل يستتابوا ، فإن تابوا وإلا وجب على المسلمين قتلهم[1] .

---

(١) الفرق بين الفرق : ص ٣٥٣ ، مابعدها ، وانظر تخريج الحديث فى ص ١٦٥ ، ١٧٢ من هذا البحث .

حجة أهل السنة والجماعة وتمسكهم بها

المراد بالسنة : طريقة الرسول ﷺ ، والجماعة : جماعة المسلمين : هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين .

فاتباعهم هدى ، وخلافهم ضلال(١) ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ :

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم(٢) » .

« ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصليه جهنم وساءت مصيرا » النساء : ١١٥.

وقال تعالى « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » النور ٥٤.

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الأنعام ١٥٣.

« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » آل عمران ١٠٥.

« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » الأنعام ١٥٩.

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » يوسف ١٠٨.

فهذه الآية الكريمة دليل الخطباء والدعاة الى الله عز وجل .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٠.

(٢) آل عمران : ٣١.

فإن كان قوله : ومن اتبعنى » معطوفا على الضمير فى « أدعو » فهو برهان على أن أتباعه هم الدعاة الى الله ، وإن كان معطوفا على الضمير المنفصل فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون غيرهم فيكون مقصورا عليهم ، وكلا المعنيين حق .

وقد بلغ الرسول ﷺ البلاغ المبين ، وأوضح الحجة للمستبصرين وسلك سبيله خير القرون .

ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهواءهم ، وافترقوا ، فأقام الله لهذه الأمة من يحفظ عليها أصول دينها(١) كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ بقوله « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم »(٢).

أما أقوال أهل السنة فمنها :(٣)

١- الإقرار بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله ، ومارواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لانرد من ذلك شيئا .

٢- وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو ، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور .

٣- وأن الله استوى على عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » طه ٥ .

٤- وأن له وجها بلا كيف كما قال « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » الرحمن ٢٧ .

٥- وأن له يدين بلا كيف ، كما قال « خلقت بيدى » ص ٧٥ .

---

(١) العقيدة الطحاوية ص٨.

(٢) متفق عليه .

(٣) نقلا عن الإبانة عن أصول الديانة : لأبى الحسن الأشعرى صفحة ١٨ ومابعدها .

وكما قال « بل يداه مبسوطتان » المائدة ٦٤.

٦- وأن له عينا بلا كيف ، كما قال « تجرى بأعيننا » القمر ١٤.

٧- وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا .

٨- وأن لله علما - ليس كعلمنا - كما قال : « أنزله بعلمه » النساء ١٦٦.

« وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » فاطر ١١.

٩- ونؤمن بأن لله سمعا وبصرا ، ولاننفى ذلك ، كما نفته المعتزلة والجهمية ، والخوارج .

١٠- ونؤمن بأن لله قوة كما قال : « أولم يروا أن الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ؟ » فصلت ١٥.

١١- ونقول : إن كلام الله غير مخلوق ، وأنه لم يخلق شيئا إلا وقد قال له : كن فيكون ، كما قال : « إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » النحل ٤٠.

١٢- وأنه لا يكون فى الأرض شئ من خير وشر إلا ماشاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئه الله عز وجل .

وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله الله ، ولا نستغنى عن الله ، ولا نقدر على الخروج من علم الله جل وعز .

١٣- وأنه لا خالق إلا الله ، وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدورة(١) كما قال : « خلقكم وما تعملون » الصافات ٩٦.

وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون كما قال : « هل من خالق غير الله ؟ » فاطر ٣ .

« لا يخلقون شيئا وهم يخلقون » النحل ٢٠.

---

(١) نقلاً عن نفس المرجع .

« أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ » النحل ١٧.

« أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون ؟ » الطور ٣٥ .

إلى كثير من آيات الله المركوزة فى القرآن الكريم .

١٤- ومن أقوال أهل السنة والجماعة أيضا :

إن الله وفق المؤمنين لطاعته ، ولطف بهم ، ونظر إليهم وأصلحهم وهداهم وأضل الكافرين ، ولم يهدهم ، ولم يلطف بهم بالإيمان ، كما زعم أهل الزيغ والطغيان ، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، كما قال الله تعالى : « من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون » الأعراف ١٧٨.

وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن تكونوا كافرين كما علم ، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم .

١٥- وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره ، حلوه ومره ، ونعلم أن ما أخطانا لم يكن ليصيبنا ، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا ، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله كما قال عز وجل : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله » الأعراف ١٨٨.

وأنا نلجأ فى أمورنا إلى الله ، ونثبت الحاجة والفقر فى كل وقت إليه .

١٦- ونقول : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر .

١٧- وندين بأن الله يرى فى الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليله البدر ، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ .

ونقول إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون فى الجنة كما قال الله عز وجل : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » المطففين ١٥.

وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية فى الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى

للجبل فجعله دكا ، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه فى الدنيا .

١٨- وندين بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر ، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون . ونقول : إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة ومأأشبههما مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا .

وإن الاسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل إسلام إيمان .(١)

١٩- وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب « وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن(٢) » ، أنه سبحانه :

« يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع » (٣)

كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ من غير تكييف .

٢٠- وندين بأن لا ننزل أحدا من أهل التوحيد ، والمتمسكين بالإيمان جنة ولا نارا إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، ونرجو الجنة للمذنبين ، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين .

ونقول : إن الله جل وعز يخرج قوما من النار بعد

أن امتحشوا بشفاعة محمد ﷺ تصديقا لما جاء ت به الروايات عن رسول الله ﷺ .(٤)

---

(١) نقلا عن نفس المصدر صفحة ٢٠ - ٢٢.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤) فى باب القدر ، ومسند الإمام أحمد : ١٦٨/٢ ، وابن ماجه (٣٨٣٤) باب الدعاء ، والترمذى (٢١٤١) باب القدر.

(٣) البخارى : ٣٣٥/١٣ باب التوحيد عند قوله تعالى « لما خلقت بيدى » وباب قوله تعالى : « إن الله يمسك السماوات والأرض » ، ومسلم (٢٧٨٦) فى المنافقين باب صفة القيامة والجنة والنار ، والترمذى : (٣٢٣٦ ، ٣٢٣٨) فى التفسير : باب ومن سورة الزمر ، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٤) خروجهم من النار بعد أن امتحشوا .. رواه البخارى : ٣٩٥/١٣ - ٣٩٧ فى التوحيد : باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .. ومسلم (١٩٤) فى الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والبخارى : ٣٦٧/١١ ، ٣٧١ من حديث جابر .

٢١- ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض ، وأن الميزان حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، وأن الله عز وجل يوقف العباد فى الموقف ويحاسب المؤمنين وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ونسلم الروايات الصحيحة فى ذلك عن رسول الله ﷺ التى رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهى الرواية إلى رسول الله ﷺ .

٢٢- وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ، ونثنى عليهم بما أثنى الله به عليهم ، ونتولاهم أجمعين . ونقول إن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين ، وقدمه المسلمون للإمامة ، كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة ، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ ، ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأن الذين قتلوه إنما قتلوه ظلما وعدوانا ، ثم على بن أبى طالب رضى الله عنه فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ وخلافتهم خلافة النبوة .

ونشهد بالجنة للعشرة[(١)] الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها .

ونتولى سائر أصحاب النبى ﷺ ، ونكف عما شجر بينهم ، وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم فى الفضل غيرهم .

٢٣- ونصدق بجميع الروايات التى يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا « وأن الرب عز وجل يقول : « هل من سائل ، هل من مستغفر »[(٢)] وسائر مانقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل .

---

(١) وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة ، رضى الله عنهم أجمعين .

وفى الحديث أن النبى ﷺ قال : « أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعلى فى الجنة وعثمان فى الجنة وطلحة فى الجنة ، والزبير بن العوام فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » رواه الإمام أحمد فى مسنده . راجع شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٤٩١ .

(٢) مسلم : ٧٥٨ صلاة المسافرين ، وأبوداود (٤٧٣٣) ، وأحمد ٢/٢٥٨ عن أبى هريرة .

ونقول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا ﷺ ، إجماع المسلمين ، وماكان فى معناه ، ولانبتدع فى دين الله بدعة لم يأذن الله بها ، ولا نقول على الله مالا نعلم .

٢٤- ونقول : إن الله عز وجل يجئ يوم القيامة كما قال :

« وجاء ربك والملك صفا صفا » الفجر ٢٢.

وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريـد » . ق : ١٦ . وكما قال : « ثم دنا فتـدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » النجم : ٨ ، ٩.

٢٥- ومن ديننا أن نصلى الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وفاجر » كما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يصلى خلف الحجاج .

وأن المسح على الخفين سنة فى الحضر والسفر خلافا لقول من أنكر ذلك .

٢٦- ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والاقرار بإمامتهم ، وتضليل من رأى الخروج عليهم ، إذا ظهر منهم ترك الاستقامة وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف وترك القتال فى الفتنة .

ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ .(١)

٢٧- ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهما المدفونين فى قبورهم ونصدق بحديث المعراج(٢).

---

(١) البخارى : ٨٧/١٣ باب ذكر الدجال ، ومسلم (٢٩٣٣) باب ذكر الدجال وصفاته وأحمد فى المسند : ٤/١ ، ٧ ، ٣٣/٢ .

(٢) رواه البخارى : ٣٩٩/١٣ فى التوحيد باب ماجاء فى قوله عز وجل « وكلم الله موسى تكليما » والنسائى ٢٢١/١ باب فرض الصلاة ، والترمذى (٣١٣٠) فى التفسير باب ومن سورة بنى اسرائيل .

ونصحح كثيرا من الرؤيا فى المنام ونقّر أن لذلك تفسيرا ونرى أن الصدقة عن موتى المسلمين ، والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك .

٢٨- ونصدق بأن فى الدينا سحرا وسحرة ، وأن السحر كائن موجود فى الدنيا . وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوراثهم .

ونقر أن

الجنة والنار مخلوقتان

وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل .

وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل يرزقها عباده حلالا وحراما .

٢٩- وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه خلافا لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عز شأنه.

« الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » البقرة : ٢٧٥.

« من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » الناس : ٤-٦.

٣٠- ونقول : إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات يظهرها عليهم .

٣١- وقولنا فى أطفال المشركين : « إن الله يؤجج لهم فى الآخرة نارا ثم يقول لهم اقتحموها » كما جاءت بذلك الرواية .

لكن اختلف العلماء قديما وحديثا فى أولاد المشركين على أقوال منها :

أ- أنهم يمتحنون فى الآخرة بأن ترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن أبى عذب . رواه البزار من حديث أنس بن مالك ، وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما ، ورواه الطبرانى من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه .

قال الحافظ فى الفتح : ١٩٥/٣ وقد صحت مسألة الامتحان فى حق المجنون ومن مات فى الفترة من طرق صحيحة .

ب- ومن الأقوال : أنهم فى الجنة قال النووى : وهو المذهب الصحيح الذى صار اليه المحققون لقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وانظر للفتح : ١٩٥/٣ ، ١٩٦ .

٣٢- وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون ، وإلى ماهم إليه صائرون ، وما كان وما يكون ، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ، وبطاعة الأئمة ، ونصيحة المسلمين .

٣٣- ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ومجانبة أهل الأهواء .(١)

وبعد :

فقد جمع الإسلام أتباعه على توحيد الله سبحانه فعليهم أن يلتزموا به ، فإن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذى يتضمن توحيد الربوبية ، لأنهم أمة الإجابة ، ويديروا ظهورهم لكل بدعة ضالة مضلة ويتمسكوا بدين الله القيم كما فى قوله سبحانه :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(٢)

« منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون . وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون . أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ؟ »(٣)

وقوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة صفحة ٢٨ - ٢٩.

(٢) الروم : ٣.

(٣) الروم : ٣١ - ٣٥ .

بمجسانه»[1].

أما عن توحيد الربوبية فيتضح من هذه المحاورة :

يحكى عن أبى حنيفة رضى الله عنه : أن قوما من أهل الكلام أرادوا البحث فى تقرير توحيد الربوبية فقال لهم : أخبرونى قبل أن نتكلم فى هذه المسألة : عن سفينة فى دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها ، وتعود بنفسها ، فترسى بنفسها ، وتفرغ وترجع كل ذلك من غير أن يدبرها أحد ؟ ! فقالوا : هذا محال لا يمكن أبدا ، فقال لهم : إذا كان هذا محالا فى سفينة ، فكيف فى هذا العالم كله علوه وسفله[2] !! وصدق الله العظيم حيث يقول : « فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين »[3].

بهذا القدر الذى ختمنا به الحديث عن الفرق ، وما توسعنا فيه وما اختصرنا كان الهدف منه اعطاء صورة لفرق أهل الكتاب من اليهود والنصارى ثم ماكان من الفرق الاسلامية ، وكيف اشتط بها اعتمادها على العقل بعيدا عن الحق ، بل وتعصبها له حتى صور لها الباطل حقا .. ثم ختمنا الكلام عن الفرق بفرقة أهل السنة والجماعة وهو ختام جاء موافقا لموضعه حيث وضحت الحقائق وردت على كل فرقة الشبهة التى وقعت فيها ، وان كنا اختصرنا بعض الردود فذلك راجع إلى خوف الإطالة .

وعلى من يريد التفصيل المفصل فعليه بالمراجع وهى مذكورة فى نهاية الكتاب .

بقى نقطة هامة وهى اذا كانت الفرق المخالفة لفرقة أهل السنة حدث فيها اختلاف وتضارب فى الأقوال والمعتقدات لدرجة تكفير كل طائفة لغيرها فإن هذا - والحمد لله - لم يحدث بين جماعة أهل السنة ، وذلك لأنهم أهل الحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلم يقعوا فى تنابذ وتناقض ، كما حدث لدى الفرق المخالفة ، فما من فرقة إلا وكفر بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض كالخوارج ، والروافض والقدرية حتى اجتمع

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وهو مخرج فى « رواء الغليل » ١٢٠٨ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٢٣.
(٣) الجاثية : ٣٦.

سبعة منهم ذات يوم فى مجلس واحد فما افترقوا حتى لعن بعضهم بعضا ، وكانوا كاليهود والنصارى الذين كفر بعضهم بعضا فقالت : « اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ »(١) . لكن الله عصم أهل السنة من أن يقولوا فى أسلاف هذه الأمة منكرا ، أو يطعنوا فيه طعنا ، فلا يقولون فى المهاجرين ، والانصار وأعلام الدين ، ولا فى أهل بدر وأحد ، وأهل بيعة الرضوان الا أحسن المقال ولا فى جميع من شهد لهم النبى ﷺ بالجنة ولا فى أزواج النبى ﷺ وأصحابه وأولاده وأحفاده ، والمشاهير من ذرياتهم الا الاكبار والاجلال .

ولا يحكمون فى عوام المسلمين الا بظاهر إيمانهم ولا يقولون بتكفير واحد منهم الا أن يتبين منه ما يوجب تكفيره(٢) ... ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من صالحى هذه الأمة كما أمر الله سبحانة فى محكم تنزيله حيث قال :

« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم »(٣) .

(١) البقرة : ١١٣.
(٢) الفرق بين الفرق : ٣٦٢ وما بعدها ، والا بانه عن أصول الديانة ، والعقيدة الطحاوية.
(٣) الحشر : ١٠.

خاتمة

أيها القارئ الكريم :

هذه دراسة عن الفرق أقدمها لك لتمعن النظر والتفكير فيها ، ولتقف على الحقيقة التى غابت عن أصحابها فضلوا وأضلوا ومازالت ضلالاتهم تتوارث جيلا بعد جيل ، فتقذفنا بين الحين والحين بحمم الكفر والالحاد ، تدع المسلم فى حيرة ، كيف يطفو على السطح مثل هذا الفكر الضال المضل ، فاذا نظر الى حقيقة أمة الاسلام علم انها صاحبة ميراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعا وهذا يضعها فى الصدارة فى الدفاع عن الانبياء جميعا ومن ثم فهى مطالبة

بالحفاظ على دينها ، والعمل على تطبيق أحكامه وحدوده ، وهى بعد مكلفة بدعوة الأمم الى دينها اقتداء برسول الله ﷺ فى إرساله الرسائل الى الملوك والرؤساء يدعوهم وشعوبهم الى دين الاسلام ، وتنفيذا لقول الله تعالى :

« قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا »(١)

وقوله : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا »(٢)

فحقيقة هذه الأمة : أنها تجمع المقرين بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه وقدمه ، وصفاته ، وعدله ، وحكمته ، ونفى التشبيه عنه ، وبنبوة محمد ﷺ ، ورسالته الى الكافة ، وبتأبيد شريعته ، وبأن كل ماجاء به حق ، وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة ، وأن الكعبة هى القبلة التى تجب الصلاة اليها ، فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدى الى الكفر فهو السنى الموحد .

ومن ضم الى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نظر : فان كان بدعة الباطنية أو البيانية ، أو المغيرية ، أو الخطابية الذين يعتقدون إلهية الأئمة ، أو بعضها ، أو كان على مذهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات ، وبنات البنين ، أو على مذهب اليزيدية من

---

(١) الاعراف : ١٥٨.

(٢) الفرقان : ١.

الاباضية فى قولها :

بأن شريعة الاسلام تنسخ فى آخر الزمان ، أو أباح مانص القرآن على تحريمه ، أو حرم ماأباحه القرآن نصا لايحتمل التأويل فليس هو من الاسلام ولا كرامة له .

وإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة ، أو الخوارج ، أو الرافضة الامامية ، أو الزيدية ، أو من بدع النجارية ، أو الجهمية ، أو الضرارية ، أو المجسمة فهو من الأمة فى بعض الأحكام ، وهو جواز دفنه فى مقابر المسلمين ، وفى أنه لا يمنع حظه من بيت مال المسلمين ، وفى ألا يمنع من الصلاة فى المساجد ، وليس من الأمة فى أحكام سواها والدليل:

موقف على بن أبى طالب من الخوارج :

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه للخوارج : علينا ثلاث :

أ- لا نبدؤكم بقتال .

ب- ولا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله.

ج- ولا نمنعكم من الفئ مادامت أيديكم مع أيدينا(١).

وعندما قاتل الإمام على رضى الله عنه الخوارج ، وسئل عن قتالهم وتكفيرهم :

١- قال : « من الكفر فروا ».

٢- وعندما سئل عن إيمانهم أجاب : لو كانوا مؤمنين ماحاربناهم .

٣- قيل له : فما هم ؟ قال : إخواننا بالأمس بغوا علينا فحاربناهم حتى يفيئوا الى أمر الله .

وثبت هذا بإقرار الصحابة على عدم تكفيرهم كما نقله حميد فى كتابه عمدة المسترشدين(٢) .

---

(١) الفرق بين الفرق : ص ١٣.

(٢) نقلا عن حقيقة الفرقة الناجية ص ٦٨.

وهذه كلمة أهل السنة والجماعة نختم بها هذا البحث نردده معهم قائلين :

« هذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ، ونحن برآء الى الله تعالى من كل من خالف الذى ذكرناه وبيناه ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ، ويعصمنا من الأهواء المختلفة ، والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة ، والمعتزلة ، والجهمية ، والجبرية ، والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ، ونحن منهم برآء ، وهم عندنا ضلال وأردياء ، وبالله العصمة والتوفيق(١).

و« سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

وسلام على المرسلين . والحمد الله رب العاملين »(٢) .

الفقير الى مرضاة ربه

محمود محمد رسلان

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٥٣٨ .

(٢) الصافات : ١٨٠ – ١٨٢ .

ثبت المراجع

القرآن الكريم	
الابانة عن أصول الديانة	للامام أبى الحسن الأشعرى
أدب الاختلاف فى الاسلام	للدكتور طه جابر فياض العلوانى
أسباب النزول	لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى
أسباب النزول	للامام جلال الدين .. السيوطى
البداية والنهاية	للحافظ بن عماد الدين اسماعيل بن كثير
تاريخ الجدل	للإمام محمد أبى زهرة
تأويل مختلف الحديث	للامام أبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة
تلبيس إبليس	للإمام جمال الدين بن الجوزى
جامع بيان العلم وفضله	لابن عبد ربه
حقيقة الفرقة الناجية	سقاف على الكاف
دراسات فى التوراة	للشيخ عطية الشوادفى
زاد الميعاد	لابن القيم
سوسنة سليمان فى العقائد والأديان	نوفل أفندى نوفل
شرح العقيدة الطحاوية	تخريج محمد ناصر الدين الالبانى
صبح الأعشى	القلقشندى
صلة الاسلام بإصلاح المسيحية	للأستاذ أمين الخولى
العواصم من القواصم القاضى	أبو بكر بن العربى تحقيق محب الدين الخطيب

الفرق بين الفرق — للعالم عبد القاهر البغدادى الاسفراييني

الفصل فى الملل والنحل والأهواء — للامام ابن حزم الظاهرى الاندلسى

كشف الخفاء ومزيل الالباس — للمفسر المحدث الشيخ اسماعيل العجلونى

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — للأستاذ أبى الحسن الندوى

المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية — للدكتور إبراهيم أحمد العدوى

محاضرات فى النصرانية — للأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

مذكرة التوحيد — للأستاذ حسن متولى

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — للأستاذ فؤاد عبد الباقى

المعجم الوسيط — مجمع اللغة العربية

مقالات الإسلاميين — للإمام أبى الحسن الأشعرى

الملل والنحل — للشهرستانى

المنقذ من الضلال — للإمام أبى حامد الغزالى

نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية — للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
السميطية	١٦١
العمارية	١٦١
الواقفة	١٦١
مبادئ الشيعة	١٦٣
الزيدية	١٦٤
مذهبهم	١٦٤
فرقة الإمامية	١٦٥
مذهبهم	١٦٦
الإثنا عشرية	١٦٧
مبادئهم	١٦٧
الإسماعيلية	١٦٨
إفتراق الإسماعيلية	١٦٩
عقيدتهم	١٧٠
أصل فرقة الإسماعيلية	١٧١
مبادئهم	١٧٢
النصيرية	١٧٣
من مزاعم النصيرية	١٧٣
الحكم عليهم	١٧٤
مبادئهم	١٧٤
البابية	١٧٥
البهائية	١٧٦
دين البابية والبهائية	١٧٦

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
أركان الدين عند أهل السنة	٢٣٥
أصول أحكام الشريعة عند أهل السنة	٢٣٦
أقسام الأسماء الحسنى	٢٣٩
الكلام فى عدل الإله وحكمته	٢٤٠
من أقوال أهل السنة	٢٤٠
المفروض فى النبوة والرسالة	٢٤١
المعجزة والكرامة	٢٤٢
المضاف إلى الأمر والنهى	٢٤٣
تعريف الواجب والمحظور	٢٤٣
المسنون	٢٤٣
المكروه	٢٤٣
المباح	٢٤٣
المضاف إلى فناء العباد وأحكامهم فى المعاد	٢٤٣
المضاف إلى الخلافة والإمامة	٢٤٤
المضاف إلى الإيمان والإسلام	٢٤٤
المضاف إلى الأولياء والأئمة	٢٤٤
من أصناف الكفرة قبل الإسلام	٢٤٥
السوفسطائية	٢٤٦
ومنهم السمنية ، والدهرية ، والبراهمة	٢٤٦
حكم الإسلام فى المعتزلة	٢٤٧
حجة أهل السنة والجماعة وتمسكهم بها	٢٤٨
أقوال أهل السنة	٢٤٩

الموضوع	الصفحة
حكم أولاد المشركين فى الآخرة	٢٥٥
توحيد الربوبية	٢٥٧
خاتمة وفيها :	٢٥٩
موقف على بن أبى طالب من الخوارج	٢٦٠
وكلمة أهل السنة والجماعة	٢٦١
ثبت المراجع	٢٦٢
الفهرس	٢٦٤

رقم الإيداع ٤٥/٥/١٩٩٠
T. S. B. N. 977 - 00 - 0335 - 3

كمبيوجرافيك آرت سنتر
امتداد رمسيس رقم ١ - عمارة ١٨
ت : ٢٦٢٠١٧٦